د. الحسينى الحسينى معدّى
أساطير سوريا وبلاد الرافدين
أساطير العالم
كنوز
للنشر والتوزيع

أساطير سوريا

وبلاد الرافدين

سلسلة أساطير العالم
أساطير سوريا وبلاد الرافدين

المؤلف
د/ الحسينى الحسينى معدى

الإشراف العام
ياسر رمضان

الناشر
كنوز
للنشر والتوزيع
37 ش قصر النيل - القاهرة تليفون: 0127717795

التنفيذ الفنى

فور إتش للكمبيوتر

٠١٠٦٦٧٤٣٢٥

رقم الإيداع: ٢٢٨٢٩/ ٢٠٠٩

الترقيم الدولى: 977-5307-82-k

سلسلة أساطير العالم

أساطير سوريا

وبلاد الرافدين

تأليف

د. الحسينى الحسينى معدى

كنوز

للنشر والتوزيع

مقدمة

الأسطورة نص أدبى، وضع فى أبهى حلة فنية ممكنة. أو هى صيغة مؤثرة فى النفوس، وهذا ما زاد فى سيطرتها وتأثيرها. وكان على الأدب والشعر، أن ينتظرا فترة طويلة، قبل أن ينفصلا عن الأسطورة. لقد وضعت معظم الأساطير السورية والسومرية والبابلية فى أجمل شكل شعرى ممكن. وقام هوميروس بصيانة معظم أساطير عصره المتداولة. شعراً فى الأوديسة والإلياذة.

وإلى جانب الشعر والأدب، خلقت الأسطورة فنوناً أخرى كالمسرح، الذى ابتدأ عهده بمثيل الأساطير الرئيسية فى الأعياد الدينية. كما دفعت فنوناً أخرى كالغناء والموسيقى وغيرهما.

رافقت الأسطورة الإنسان منذ نشأته ومازال ترافقه. وما من أمة - ارتفع شأنها أو هان - إلا ولها أساطيرها التى تمثل جزءاً ضخماً من التراث القومى الذى يتلقاه الناس جيلاً بعد جيل، ويمتزج بنفوسهم حتى يصبح جانباً حيوياً فى تكوينهم وحيواتهم. والواقع أن الرغبة الفضولية فى معرفة أمور الحياة جعلت الإنسان فى الماضى متعطشاً دائماً إلى المعرفة، وإلى تنشيط إدراكه العقلى، فعندما كان ذهن الإنسان- فى المرحلة الأسطورية - يعجز عن تغيير أية ظاهرة، ولا يجد لها سبباً مقنعاً، كان يخترع أية قصة لكى يبررها ويفسرها.

وكما يقول الدكتور لانج «لقد كان الناس فى العصور القديمة يؤلفون قصصهم تبعاً لنظرتهم الخاصة للأشياء، وبأسلوبهم فى تفسير الأمور وهذا وضع طبيعى لأنهم لم يكونوا يفكرون على أساس المبادئ التى يصنعها الباحثون فى العصر الحديث أمامهم عند تفسيرهم لهذه الأمور.

وكل ذلك يعطى القارئ حقيقة واضحة من خلال الاطلاع على بعض الأساطير عن تصورات الإنسان لمختلف القيم منذ عصوره القديمة، وهى تصورات تطورت مع تطور الحياة وتقدم العلوم.. لتصل إلى ما وصل إليه الإنسان فى عصوره الحديثة من تقدم فى كل نواحى الحياة.

وأتركك عزيزى القارئ لتستمتع بقراءة أساطير سوريا وبلاد الرافدين، لعلك تجد فيها المتعة العقلية، والخيال الإنسانى المحبب إلى النفس. والخير أردت.. وعلى الله قصد السبيل.

د. الحسينى الحسينى معدّى

الأديان فى بلاد الرافدين وسوريا

تمهيد:

كانت حضارة بلاد الرافدين بالغة الرقى والتطور ومتميزة عما حولها بالثبات والاستقرار وكان السومريون فى طليعة الشعوب الحضارية فى بلاد الرافدين وقد جاؤوا من أواسط آسيا منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة ق.م وامتزجوا بالشعوب السامية الأصيلة وكونوا حضارة سومرية زاهرة عامرة. وجاء بعدهم الأكاديون الذين استوعبوا الحضارة السومرية المتطورة. ثم تكونت الحضارة البابلية ثم الآشورية، وأصبحت بلاد الرافدين مركزاً حضارياً عالمياً انتشرت فيه الأفكار الكونية والأسطورية والعلمية وأبرز مظاهرها الدين والأفكار الدينية وتنوع الآلهة وكثرتها.

وقد أثرت تأثيراً واضحاً فى البلدان المجاورة وصل تأثيرها إلى الحضارة اليونانية التى تدين بمعظم أفكارها لشعوب أرض الرافدين فى كل نواحى الحضارة وفروعها، وقد غابت معظم معالم هذه الأمبراطوريات الحضارية تحت الرمال فترة طويلة من الزمن ويهمنا منها الجانب الدينى الذى سنتناوله بالدراسة والبحث لما له من أثر واضح فى كل مظاهر الحياة حيث كان الدين خلاصة القيم الإنسانية.

١- المعتقدات الدينية فى بلاد الرافدين

(أ) السومريون: آمن السومريون بوجود عدد كبير من الآلهة وعبدوها تقليداً لمن سبقهم من البشر وتعد الديانة السومرية إحدى الديانات المهمة التى انتشرت فى كثير من بقاع الشرق والتى كانت لها آلهة متشابهة، فقد عبد السومريون الإله «دموزى» وهو الإله «تموز» نفسه المذكور فى التوراة أو الإله «أدونيس» الذى

عبده الفينيقيون والسومريون. فالدين عند السومريين يعد عاملاً أسياسياً ومسيطراً على كل ركن من أركان الحياة الإنسانية وأثرت الدوافع الدينية فى كل مظهر من مظاهر الحياة وكانت معتقداتهم بدائية ككل شعب بدائى. فقد عبد السومريون مظاهر الطبيعة وعناصرها، ثم طوروا معتقداتهم البدائية فعبدوا القوى الكامنة وراءها ثم جعلوا الآلهة علي صورة البشر يتصفون بالقوة والضعف، وتعددت الآلهة عندهم بتعدد المدن حتى أصبح لكل مدينة إله يتزعمهم جميعاً أقواها واعظمها مثل «مردوك» عند أهل بابل «وآشور» عند الآشوريين ومن أهم الآلهة عند السومريين: «نمو، إنليل، أوتو، أنانا، دموزى» سنعرفها فيما بعد

(ب) الآكاديون: أما الدين الأكادى (٢٣٦٠ - ٢١٨٠ق.م) فهو متعدد الآلهة أيضا وكانت لهم خصائص البشر لا يختلفون عنهم إلا فى أنهم كانوا أكثر كمالاً وتجديداً حتى أن لباس الآلهة كان كلباس البشر بل أكثر بهاءً وزهواً وكان للآلهة أسر واسلحة تتصارع مع بعضها كبنى البشر وكان صراعهم أعظم وأكثر هولاً وخطراً، وكان الثالوث الإسمى بين آلهة بلاد الرافدين يتكون من «السماء» متجسمة فى الإله الأكبر «آنو Anw» و«الهواء» متجسماً فى الإله إنليل «إنليل Enlil» و«الأرض» ومياه المحيطات متجسمة فى الإله «إنكى» أو «آيا» «Enkiea» وكان عندهم ثالوث آخر يتكون من الأجرام السماوية هى الشمس و«شماش» إله العدالة، والقمر «سن» الذى يقاس به الزمن، وكوكب الزهرة «عشتار» وقد كان مزدوج الشخصية فهو مذكر فى الصباح ومؤنث فى المساء، وهو إله الحرب وإله اللذة معاً، وحين ينقلب إلى أنثى تصبح مهمتها غواية الناس ودفعهم إلى طريق الرذيلة. وبتطور الدين صار لكل إله نجمه الخاص وبتقدم علم التنجيم زادت عبادة النجوم، ومن الآلهة التي ظهرت فى أرض الرافدين.. كان الإله «آدد Adad» وهو يمثل العاصفة فى جميع مظاهرها، وكانت النار تعبد عندهم فى شخص الإله «نسكو Nusku» وأما إلهة الخصب والحياة فكانت «عشتر» التى كانت رمزاً للأرض الأم. وكانت أيضاً إلهة الحرب والمعارك وكان يرتبط بها الإله

الشاب «تموز» وله طبيعة إلهية بشرية مزدوجة فهو يموت ويولد من جديد عاما بعد عام. وكان لهذه الآلهة عبادة بالغة الأهمية داخل حدود أرض الرافدين وخارجها وقد نشأت حولها سلسلة طويلة من الأساطير خاصة بين «تموز وعشتار» ربة «أوروك»[1] «Uruk» وكان إله الحَرب «أينورتا» وله أسماء مختلفة باختلاف المدن، وكانت زوجته الإلهة «باو» التى عدَّها البابليون إلهة الطب والشفاء فى زمن حمورابى وأما آلهة الماء فهى الإلهة «نينا» ويرمز لها بسمكة تسبح بحوض مائى. وقد كان لكل من بابل وآشور إله من نوع خاص له طابع القوة والعظمة والسيطرة، فكان الإله «آشور» عند الآشوريين أعظم الآلهة وسيدهم جميعاً وقد اتخذ لنفسه صفة الإله الحربى وكان الإله «مردوك Mar-duk» الذى بلغ السيادة فى عهد حمورابى أقدم الآلهة وسيدها جميعاً، والذى كانت تساعده جميع الآلهة فى مهمته الضخمة وهى مهمة خلق الكون وتدبير أمره فهو خالق البشر ومالك الحكمة الأزلية وكان يمثل علي شكل رجل له أذنان كبيرتان ترمزان إلى فهمه الواسع وحكمته الخالدة ويحمل بيده سلاحاً مقوساً يرمز إلى سيطرته على كل الآلهة وأخذه الرئاسة الدينية منهم وخاصة «تعامة». وقد كان للملك صفة دينية إلى جانب الصفة الإدارية فقد أله بعض الملوك أنفسهم واتخذوا ألقاباً تدل على ألوهيتهم مثل حمورانى «إله الملوك» وكذلك «نارام سن» و«صارغون» وغيرهم.. ومن أهم الآلهة البابلية: أبسو، انكى ايرا، تعامة، شمش، سن، عشتار، مزدوك، ننمرساج، نيسابا، اريشكمال، نرجيل، وغيرهم كثيرون..

(جـ) المعتقدات الأشورية: الآشوريون هم أقدم الشعوب السامية التى هاجرت من الجزيرة العربية إلى بلالد الرافدين فى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. فهى تشبه إلى حد كبير معتقدات أسلافهم البابليين وكلاهما بنى معتقداته على ما ورثه من أفكار دينية قديمة لكنها تطورت زمن الآشوريين وأقدمهم «آشور» الذى منح اسمه لأول عاصمة لهم كما منحه لتاريخهم فى

(١) أوروك: ورد ذكرها فى سفر التكوين (١٠-١٠) تسمى الآن - الوركات.

جميع مراحله وكان أقدم الآلهة وسيدهم جميعاً له مظهر عسكرى مميز فهو إله الحرب الذى يخضع له الجميع وكان يمثل دائما وهو يحمل قوساً فى وسطه سهم كدليل على قوته وجبروته، ثم الإلهة «عشتار» وهى أكبر الآلهة بعد آشور وهى زوجته وتسمى أحياناً باسم «بلعيت» أى ملكة ولها صفة حربية أيضاً، تمثل دائماً وهى تحمل قوساً بيد وسيفاً باليد الأخرى وعلى كتفها جعاب السهام وقد عبد الآشوريون آلهة متعددة منها شمس، سن، أدد، نابو، بعل، مردوك، اينورتا، وغيرهم وتختلف عبادتها من مكان إلى آخر باختلاف المدن وأهميتها.

٢- كان للكهنة دور مهم عند شعوب أرض الرافدين، فقد كانوا يقومون بممارسة الأعمال السحرية والرقى لطرد الشياطين من المرضى. وكان فى بابل يسمى «العوذ» وهناك كهنة من نوع آخر يقومون بتفسير إرادة الآلهة. والتنبؤ بها، ويتم التنبؤ بفحص كبد الحيوان القربان الذى كان يقدم للآلهة، وكان التنجيم صور من صور التنبؤ بالغيب متتبعين حركة الأجرام المساوية والأفلاك، ولهذا اشتهر البابليون بعلم الفلك وكان لهم مراصد حقيقية تقام على رؤوس الجبال منذ أقدم العصور.

والكهنة عند الآشوريين مقسمون إلى طبقات حسب نوع عملهم وأهمية وظائفهم ومرتبتهم الكهنوتية فأرفع الطبقات الكهنوتية هم الكهان الذين يطهرون الناس. عن طريق الأدعية والصلوات والطقوس السحرية ويأتى فى المرتبة الثانية الكهان الذين يختصون بقراءة الألواح المقدسة.

وفى آخر السلّم الكهنوتى يأتى المغنون والخدم ومن على شاكلتهم، وكان عدد الكاهنات الإناث قليلاً بسبب ظروف البلاد الحربية.

ويعد الملك أكبر الكهنة مقاماً، فهو ممثل الإله على الأرض والحاكم باسمه، وكان عامة الناس يقومون بتقديم القرابين للآلهة وإهدائها الهدايا حتى ترضى عنهم، وكانوا يعتقدون بالسحر كثيراً ويعملون به.

٣- الحياة الآخرة:

كان الموتى من البابليين يدفنون فى توابيت من الخزف أو فى حصائر من البوص، وكانت توضع إلى جانبهم أشياء أو مؤن تساعدهم على الحياة بعد الموت، فقد كانوا يؤمنون بالبعث وبالحياة الآخرة، وكانت مقابر الملوك تتميز عن غيرها، ويمكن أن يحتوى القبر على جثتين أو أكثر مما يدل علي أن حاشية الملك كانت تدفن معه لترافقه فى الحياة الآخرة، ويمكن أن تدفن الملكة حية مع زوجها الميت. وقد ذكرت أساطير كثيرة عما راء القبر وتحرك الأرواح ولم تكن إبراز فكرة الثواب والعقاب يوم الحساب واضحة، وكذلك الأمر عند الآشوريين، فهم لا يعرفون شيئا واضحاً عن الحياة بعد الموت، وكانوا يعتقدون أن جزاء العمل الصالح وإرضاء الآلهة، حياة دنيوية طويلة. فقد كان البابليون يعتقدون أن روح الإنسان بعد الموت تنفذ من القبر وتنزل إلى العالم السفلى «أرولو Arollo» وهو مدينة كبيرة مهجورة يلفها الظلام، ويعيش فيها الموتى حياة حزينة يأكلون التراب ويشربون المياه القذرة، ولا يمكن التخفيف من هذا البلاء إلا بالقرابين التى يقدمها أصدقاء الميت وأقرباؤه الأحياء.. أما الموتى الذين لا يرعاهم أحد والموتى الذين لم يدفنوا فى قبور فانهم يهيمون دون أن يقر لهم قرار، ويعودون إلى الأرض من حين إلى آخر، فى صورة أرواح شريرة تزعج الناس وتخيفهم، فكان الحرمان من الدفن من أكبر العقوبات، أما الاخيار من البشر فتصعد أرواحهم إلى السماء لتلاقى الآلهة، فمصيرهم الاستقرار والخلود الذى تهبهم إياه الآلهة وتباركهم.

٤- من أساطير الأولين

لنستمع إلى أهم الأساطير التى قيلت وراء القبر فى أرض الرافدين، فهناك أسطورة نزول عشتر إلى العالم السفلى «أرولو» حيث تنزل إلهة الحب إليه وتطلب مقابلته ملكته «أرشكجيل Ereshkigal» وفى طريقها إلى المملكة تمر بسبعة أبوان، وكان عليها أن تخلع ثوباً من ثيابها السبعة حتى تستطيع المرور منه. وعندما تدخل عشتر على الملكة تحييها هذه بسنين مرض تصيبها. وفى تلك الأثناء يؤدى غياب إلهة الحب عشتر إلى توقف كل تجدد للحياة على

الأرض، فتقلق الآلهة وترسل إلى ملكة العالم السفلى تسألها عشتر بعد أن يرشن ماء الحياة على عشتر تمضى راجعة إلى الأرض، وتستعيد أثوابها عند مرورها مرة أخرى خلال الأبواب السبعة، وبعودتها تتجدد الحياة على الأرض.

أسطورة أخرى تتعلق بما وراء القبر، هى أسطورة «نرجل Nergel» وأرشكجيل. تقول الأسطورة إن «أرشكجيل» ملكة العالم السفلى لم تستطع حضور مأدبة للآلهة فارسلت وزيرها «نمتر Nemtar»، ليطالب بنصيبها من الطعام والشراب، فلقى ترحيباً من كل الآلهة، ما عدا نرجيل إلى العالم السفلى، فينزل إليه، ولكنه استطاع التغلب على حرس الملكة وأمسك بأرشكجيل من شعرها وجرها من العرش، فسألته الرحمة وعرضت عليه الزواج منها، فقبل العرض وبذلك أصبح ملكاً على العالم السفلى.

ومن أهم الأساطير التى قيلت فى قضية الخلق التى تتضمن قصيدة أكادية طويلة تسمى «الأينوما - ايليش» والتى يراد بها تمجيد الإله «مردوخ» وتصويره كبيراً للآلهة وخالقاً للكون.

أما أسطورة جلجامش فهى أبرز أساطير الأبطال، انتشرت عبر حدود الرافدين إلى الشعوب المجاورة وهى أطول الملاحم البابلية كتبت حوالى (٢٠٠٠ق.م) وقد عثر عليها فى مكتبة «آشور - بانيبال» وقد طبعت على اثنتى عشرة لوحة من الآجر، ورويت باللغات السامية مع أن أصلها سومرى. أما جلجامش فهو رجل يبحث عن الخلود وهو ملك مدينة «أروك Uruk» من الأسرة التى حكمت بعد الطوفان، وهو شديد التشاؤم، ولكنه يحب المغامرة فهو الذى رأى كل شىء وعرف الأسرار الخفية واكتشف سر الحكمة وكان يضطهد شعبه كثيراً، فحقدت عليه الآلهة، وأقامت له نداً، وخلقت له منافياً سمته «أنكيدو Enkidu» ولكن البطلين عقدا صلحاً وتحالفاً بعد مغامرات عديدة قاسية، ثم أصبحا صديقين، وقاما معاً بأعمال خارقة مروعة، وانتصرا على المسخ المخيف الذى يسكن غابات الأرز، فأعجبت الإلهة «عشتار» بجلجامش، وعرضت عليه الزواج منها، ولكنه رفض ذلك الزواج، ويروى أن صراعاً نشأ بينهما لأن جلجامش ذبح أحد الثيران المقدسة التابعة لعشتار التى استطاعت أن تسلبه

قوته وتتركه ضعيفاً. وبعد موت صديقه أنكيدو، تضطرب نفسه ويدرك أنه سيموت لامحالة يوماً ما، فيهرب جلجامش من مكان لآخر وهو يتساءل لماذا كتب الموت على الإنسان؟ ولا يستطيع الإجابة وإدراك كنه هذا السر، فيذهب إلى شيخ حكيم يدعى «أتنابشتم Utnapishtim» وتسميه التوراة «نوح»، وقد وهبته الآلهة منحة الخلود فسأله عن سر الحياة والموت وأجابه الشيخ الحكيم: إن الحياة والموت تقررهما الآلهة ولكن الآلهة لا تطلعنا على اليوم الذى نموت فيه. ويقص الشيخ حكايته قائلاً: إنه ظفر بالخلود زمن «الفيضان الكبير» الذى أنقذ منه نفسه وأسرته ودوابه وكل ما يملك، ويتحدث الشيخ الحكيم عن نبات يصنع العجائب، له القدرة على إعادة الشباب يوجد فى قاع البحر، فيغوص «جلجامش» إلى القاع ويأتى بالنبات، وبينما هو يغتسل فى مجرى مائى اجتذبت رائحة النبات أفعى فتأخذه وتذهب به وهكذا يموت جلجامش، ويخفق فى البقاء حياً. ولا ينال الخلود إلا ما ترك من عمل خالد الذكر.

إن هذه الأساطير الخرافية، تحكى روايات عن آلهة تحب وتتزوج، تأكل وتشرب، وتبحث عن الحياة والخلود فلا تجده، إنها آلهة قاصرة، زائفة لا حول لها ولا قوة، إنها لا تستطيع حماية ذاتها من أقل خطر يصيبها أو كارثة تحل بها. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من أساطير وخرافات وعبادة الأصنام وأوثان وآلهة متعددة كثيرة بل كانوا يعتقدون بوجود الشياطين التى لا عاصم للإنسان منها، التى تحل به بسبب ارتكاب خطيئة ما كإهمال فى الطقوس الدينية، أو القتل أو السرقة حيث يتخلى الإله عن الإنسان المذنب، فتجد الشياطين الطريق مفتوحا أمامها فتدخل فى جسم الإنسان، وكان من أخطرها شيطان الحمى. وله رأس أسد وأسنان حمار، وأطراف نمر أرقط، وله صوت كصوت الأسد أو النمر، وكان يمسك بيديه أفاعى هائلة ومخيفة، وكان كلب أسود وخنزير يداعبان ثدييه، وكان شيطان الرأس «أشكو Ashakku» هو الذى يسبب الصداع وألم الرأس فما أكثر الخرافات والأساطير وما أضعف الإيمان فى تلك النفوس التائهة.

٥- أهم الآلهة فى بلاد الرافدين

كثرت الآلهة فى بلاد الرافدين وفى سوريا، وعلى كثرتها فهى أقل أهمية وأدنى مرتبة من الآلهة المصرية القديمة، وسنتعرف أهم هذه الآلهة فهى:

١- أبسو Apso: وهو الماء العذب، وأحد ثلاثة آلهة بدئية انحدر منها جميع الآلهة كما تذكر الأسطورة البابلية وتشكلت منها المادة الأساسية للكون، يمزج مياهه مع زوجته «تعامة» الماء الملح البدئى فى دعة واطمئنان وسكون أزلى، وينتشر فوقهما الضباب المنبعث منهما وهو الإله البدئى الثالث «نمو»، وقتل آبسو على يد الإله «أنكى» فى ثورة قامت بها الآلهة الشابة.

٢- تعامة Tiamat: المياه الأولى، والمحيط البدئى، وتنين العماء والهيولى الأصلية لدى البابليين. مزجت مياهها مع مياه زوجها «أبسو» وانتشر منهما الضباب «نمو» وهذه الآلهة البدئية الثلاثة تبدأ بالتناسل، وتنجب عدداً من الآلهة الشابة التى تتناسل بدورها ليأتى جيل جديد من الآلهة يقوم بالثورة على هذه الآلهة البدئية فيموت «آبسو» على يد «أنكى» إله الماء الجديد، وتموت تعامة على يد مردوك سيد الآلهة الذى يقوم بشطر تعامة إلى شطرين يجعل الأول سماءً والثانى أرضاً، ثم يلتفت بعد ذلك لخلق بقية الكون وتنظيمه.

٣- إنكى Enki: إله المياه العذبة الباطنية عند البابليين، ويسمى «إيا Eia» عند السومريين وهو إله المكر والدهاء والحيلة، وإله الحكمة والمعرفة القديمة، يشبه الماء الساكن وهو إله السحر والقوى الغامضة وإليه تعزى معظم الأساطير فى خلق البشر.

٤- نمو Nimo: المياه الأولى التى انبثق عنها كل شىء عند السومريين.

٥- إنليل Enlel: إله الهواء والعاصفة عند السومريين يأتى فى المرتبة الثانية بعد «آن» إله السماء ورئيس مجمع الآلهة، لأنه قام بتنظيم الكون وإخراجه من لجة العماء والهيولى الأولى وأخذ سلطة «آن» وهيبته، وهو الذى فصل السماء عن الأرض بعد أن كانا ملتصقين فى جبل واحد فى قلب المحيط

البدئى الأول، ظل كذلك عظيماً فى مركزه حتى استولى مردوك على ذلك المركز فى مجمع الآلهة البابلية.

٦- مردوك: ثانى إله بعد «آن» إله السماء عند البابليين ولكنه السيد الفعلى لجميع الآله، وأعلاهم شأناً فقد تفوق على آبائه وكلّ أقرانه ولم يحصل أى إله فى أى مكان على ما ناله مردوك من السلطة والتقديس والتبجيل، فهو الذى تصدى لتعامة أم جميع الآلهة وشتت شملها ثم شقها نصفين فخلق بذلك السماء والأرض. وتابع عمليات الخلق الأخرى فخرج الكون من بين يديه كما نراه اليوم. وقد صارع قوى الشمس وقام بأعمال الخلق كلها التى استحق بها سلطاناً أبدياً على الآلهة والبشر والأكوان، وكان له خمسون اسماً تدل على مفاهيم توحيدة وكأن الآلهة جميعاً اجتمعت فى إله واحد تجسدت فى شخصه الإلهى.

٧- ننخرساج: وهى الأرض الأم عند البابليين، انبثق عنها كل الأحياء من بشر ونبات وحيوان اسمها السومرى «كى» ولها أسماء أخرى منها: ننماخ، ننتو، مامى، ماما، وهى لدى الكنعانيين عشيرة زوجة «إيل» ورغم أن الأرض هى زوجة السماء فى البداية إلا أنها تصبح زوجة للماء «إنكى» فيما بعد، ومن اتحادهما يحيا النبات والحيوان.

٨- أنانا: وهى إلهة الحب والخصب عند السومريين، واسمها «عشتار» عند البابليين تهبط إلى العالم السفلى لتحرير زوجها «تموز» الأسير هناك. وكانت إلهة الحب فارتبطت بعبادتها اكثير من الطقوس الجنسية والاحتفالات الإباحية.. وعند الكنعانيين تتخذ اسم «عناة» فى أوغاريت وعشتاروت فى الشاطىء الجنوبى.

٩- عشتار: إلهة الحب والخصب عند البابليين، وهى كوكب الزهرة وابنة القمر، يقابلها عند الرومان «فينوس» وعند اليونان «افروديت»، وهى تشبه «عناة» فى صفاتها كإلهة للخصب، وهى إلهة الحرب والمعارك، تنصر عبادها على أعدائهم. تمثل وهى مدججة بالسلاح واقفة على أسد متوثب، تلقب بالعذراء رغم كل غرامياتها الجنسية.

١٠- أوتو: إله الشمس عند السومريين وهو ابن القمر «سن» وحفيد «إنليل» الهواء الذى أنجب القمر من حبيبته «ننتليل»، والقمر بدوره أنجب الشمس من زوجته «ننجال» ويتخذ أوتو اسمه «شمش» عند البابليين، و«شبش» عند الكنعانيين.

١١- شمش: إله الشمس عند البابليين، اعتبر إلهاً للعدالة وهو الذى أوحى لحمورابى بشريعته الشهيرة.

١٢- سن: إله القمر عند الرافدين، وهو ابن الإله «إنليل» الهواء من حبيبته «ننليل» وله اسم آخر هو «نانا».

١٣- أريشكيجال: إلهة العالم الأسفل وقد كانت فتاة عذبة وإلهة سماوية، اختطفها «كور» وهو وحش العالم الأسفل غنيمة لتعيش معه هناك. ولكن «كور» قتل فى إحدى معاركه الكثيرة، وتبقى «أريشكيجال» سيدة مطلقة للعالم الأسفل.

١٤- نرجال: زوج أريشكيجال: ويحكم معها مملكة الموتى... وقد كان إلهاً سماوياً ولكنه هبط إلى العالم السفلى بأمر من ملكته عقوبة له لرفضه الوقوف فى وجه رسل الملكة واحترمهم. ولكنها أحبته وتزوجته للشجاعة التى أظهرها عند نزوله فغدا سيداً لملكة الظلام.

١٥- دموزى- تموز: إله راع تقدم لخطبة «أنانا» إلهة الحب عند السومريين، نافسه فى ذلك الإله المزارع «انكميرو» وتقدم كل منهما بقربان للإلهة من منتجاته، فقبلت «أنانا» تقدمة الراعى «دموزى» وتزوجته. ولم تنظر إلى تقدمة الفلاح «انكميرو»، ولعل ما جاء بالتوراة يشبه هذه الفكرة عندما يقبل الرب قرباناً من الراعى هابيل ولم ينظر إلى قابيل المزارع.

١٦- حدد: إله المطر والصواعق والسحاب والرعد وكل مظاهر الخصب فى بلاد الرافدين.

١٧- ايرا: إله الطاعون والأوبئة الفاتكة والدمار عند البابليين وهمه الدائم إشاعة الخراب والفوضى فى العالم.

المعتقدات الدينية
عند الكنعانيين

أطلقت التوراة اسم بلاد كنعان على منطقة فلسطين وفينيقيا، كما أطلقت على شعبها اسم الكنعانيين وهم أسلاف بنى إسرائيل، وقد ذكرت التوراة كثيراً من أسماء الآلهة الكنعانية وطقوسهم ومنذ اكتشاف مدينة أوغاريت أعلى الساحل السورى، ظهر عدد من الآلهة الكنعانية الكثيرة، فكان لكل مدينة آلهتها الخاصة التى تدل من خلال أعمالها ووظائفها على أن الكنعانيين عبدوا الطبيعة وقدسوا آلهتها، وقد تموت الآلهة الكنعانية لأنها غير ثابتة ولا مستقرة، فهى كثيراً ما تتبادل صفاتها ووظائفها وصلاتها، وأحياناً جنسها، وربما يعود ذلك إلى انعدام الوحدة بين الكنعانيين أنفسهم، وقد عبد الكنعانيون العديد من الآلهة التى أخذوها عن المصريين وقد أثر الكنعانيون بدورهم فى الديانة الإغريقية. ويعتبر الدين الكنعانى أقل تطوراً من الدين عند شعوب أرض الرافدين، فى المستوى الحضارى لكثرج اهتمامه بالعناصر الجنسية ولقسوة بعض الطقوس عندهم. وقد كثرت الاساطير والخرافات فى معتقدات الكنعانيين.

- التعريف بأهم الآلهة الكنعانية

(أ) إيل: وهو كبير الآلهة ورب السماء، يعتلى عرشه فى السماء السابعة. وقد شاعت عبادته عند جميع الشعوب السورية «الآرامية، الفينيقية، التدمرية» كما عبده العبرانيون فى مطلع تاريخهم. وزوجته الإلهة «آثرت»، وقد ورد اسمه فى التوراة، وهو أصل اسم «إيلوهيم» كما ذكرت زوجته باسم «آشيرا».

(ب) بعل: وهو أبرز الآلهة الكنعانية، ورب المطر والسحاب والعاصفة، وسيد الدورة الزراعية وله علاقة مباشرة بمعيشة الناس وحياتهم ورزقهم، وهو الذى

ينظم الكون ويدبر أمره، بعد أن تغلب على المياه الأولى الممثلة بالإله «سم» المحيط البدئى والهيولى والعماء.. وقد دخل فى صراع دائم مع الإله «موت»، انتهى الصراع بهزيمة بعل لولا مساعدة حبيبته «عناة» له، ليبعث من بين الموتى ويقهر الإله «موت»، ثم يعود لصراعه من جديد كل سبع سنوات، ويؤدى اختفاء «بعل» وهزيمته إلى توقف الحياة على الأرض ويتكرر هذا الصراع للأبد ممثلاً تعاقب القحط والخصب منطبقاً على الدورة المناخية السورية.

(جـ) موت: وهو إله مملكة الظلام والموت والعالم الأسفل، يدخل فى صراع مع بعل، ويتبادل معه الحكم، وهو إله الجدب والموت، يحل محل «بعل» فى الصيف، ولكنه يطرد مرة أخرى بقدوم الخريف ليحكم «بعل» إله المطر والخصب من أيلول حتى أيار.

(د) عناة: إلهة أوغاريتية، وهى حبيبة الإله «بعل» وروح الخصوبة الكونية، وتلقب بالعذراء وهى ربة الحب والجنس وربة الخصب والحياة، وربة الحرب والدمار والكوارث والظلام وهى تملك الخصائص المتناقضة وكثيراً ما كانت تصور بأنها متعطشة للدماء، يسرها ذبح الرجال وقتلهم. ولنستمتع إلى ترتيلة تمثل انتقام «عناة» من خصم زوجها. هكذا جاءت الإلهة المحاربة عناة بالإله «موت» وتذبحه:

«تقترب منه عناة العذراء..

وكما يهفو قلب البقرة إلى عجلها..

وقلب الشاة إلى حملها..

كذلك يهفو قلب عناة إلى بعل

وتمسك بـ «موت»، ابن إيل

وبالسيف تشقه.. وبالمذراة تذروه

وبالنار تحرقه.. وبالرحى تطحنه، وفى الحقل تبذره

فيأكل قطعه الطيور، وتفنى أجزاءه العصافير جزءاً جزءاً ...»

(هـ) عشيرة: وهى الأم الكبرى وزوجة إيل وكانت تسمى «إيلات» نسبة إلى إيل ومن ألقابها سيدة البحر، وما زال اسمها يطلق على «إيلات» فى البحر الأحمر... عشتارت من الآلهة الثانوية فى أوغاريت وهى ربة الخصب والحرب أيضاً.

(و) شبش: وهى إلهة الشمس، عند البابليين يوجد الإله المذكر «شمش».

(ز) داجون: إله القمح وأبوه الإله بل، تحول إلى إله بحرى عند الفلسطينيين، تصوره التوراة على شكل إله له ذيل سمكة..

(حـ) بارات: إلهة مدينة بيروت الفينيقية، وهى أحد أشكال الإلهة عشتاروت، حملها الفينيقيون معهم عبر مضيق جبل طارق، وأعطت اسمها لجزيرة بريطانيا.

(ط) أدونيس Adonise: وهو من الآلهة السورية ويمثل إله المطر والسحاب والبرق والرعد وكل مظاهر الخصب الأخرى.. ومعناه السيد، واسمه عند البابليين تموز وهو اسم آخر للإله بعل الكنعانى.. ويطرأ تحوير الأسطورة التى قالت إن إدونيس لم يمت كما مات الإله بعل فى صراعه مع الإله «موت»، حيث ورد ذلك فى لوح رأس شمرا، وإنما قتلة خنزير برى فى غابات لبنان، وكانت حبيبته فى هذه المأساة عشتارت التى بحثت عن أدونيس حتى وجدته.. فتنهض من بين الأموات إلى عالم الحياة ويرافق رجوع الإله عالم الأموات احتفالات عظيمة حيث يبدأ الناس بالرقص والشراب.. بعد أن قضوا فترة غيابه وموته فى ندب وعويل.. كما تتخلل هذه الاحتفالات الممارسات الجنسية تقليداً للقاء عشتاروت وأدونيس والإيحاء للتربة بالخصب والنماء.

- الكهنة عند الكنعانيين

لم تكن طبقة الكهان عندهم منظمة تنظيماً دقيقاً وكافياً حتى تستطيع تنظيم الدين أصولياً كما كان فى بلاد الرافدين، ومع ذلك كان للآلهة عندهم

دور كبير، وللكهنة أنواع.. منها الكهنة الكبار وسدنة المعابد والنساء النادبات والبغايا المقدسات والمتنبئون وقد ورد ذلك فى نصوص أوغاريت الأثرية أما مراكز العبادة فكانت تقام فى العراء قرب الينابيع أو الاشجار، أو فوق التلال، مما يدل على أنها ديانة قريبة إلى الطبيعة والفطرة، كانت القرابين الكنعانية تقدم للآلهة من الحيوانات المألوفة ولكن وقت الكوارث الهائلة العامة كانت تقدم للآلهة قرابين من ضحايا البشر لعظمة المصيبة أو الكارثة، ويمكن تقديم قرابين من الأطفال عند تشييد المبانى أحيانا. وكانوا يمارسون عادة تدل على انخفاض مستوى الدين عدنهم وهى زنا الطقوس لبا» تعد جزءا من عبادة الخصوبة قد تطور الدين الكنعانى وبطل استعمال هذه العادة. وكان يستدل من الهدايا الموضوعة فى القبور على عبادة الموتى وعلى الإيمان بالحياة الآخرة وإن كان الأمر غير واضح تماماً لديهم.

كثرت الآلهة عندهم وتعددت فقادتهم إلى الهلاك والدمار لأنها لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ① الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ② وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[1].

■ ■ ■

(١) سورة الفرقان، آية: ١-٣.

الآلهة والأساطير

منذ بروز كتابات أوغاريت التى كانت محدودة جداً حول حياة الشعوب السامية فى سوريا الطبيعية فى الألف الثانى قبل الميلاد وقد أغنت هذه البحوث معارفنا بصورة مفاجئة وغالباً قطعية. فقد اتتنا نصوص أوغاريت بمجموعة من المعلومات القيمة حول مختلف مظاهر التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى والفكرى التى كانت سائدة فى هذه المملكة الصغيرة، التى أصبحت لنا الشاهد الرئيسى المثالى.

قصائد دينية:

إن القصائد الأسطورية والنصوص ذات الصبغة الدينية المكتشفة فى رأس شمرا تحيى بغناها وجمالها الأساطير وقصص الآلهة التى كانت تبعث الحياة الروحية فى المدينة إنها ترمم ولو جزئياً، قصص الآلهة بالكشف عن وجود هيكل إلهى منظم. إنه بعث بكل ما فى الكلمة من معنى إذ كانت المصادر القديمة هزيلة جداً، ولا تتعدى النقوش البسيطة فإذا ما أردنا أن ندرس بعض وجوه الديانة الفينيقية (أو الكنعانية) كنا بحاجة إلى شواهد غير مباشرة ولكنها مجزأة من الصعب لملمتها من بين النصوص الآشورية - البابلية أو المصرية وبنوع خاص التوراتية، منبع معلوماتنا فيما يتعلق بموضوعنا الحاضر وغير مستقلة حتى الآن بما فيه الكفاية، ومن نحو آخر كنا بحاجة إلى معلومات هى أيضاً مبعثرة بين مختلف المؤلفات اليونانية واللاتينية التى تعطينا معلومات أُحادية فقط. مشكوك بها فى الغالب مثل «تاريخ الفينيقيين» للمؤلف فيلون الجبيلى (القرن الثانى والأول قبل الميلاد) من أصل كتابات أوزيب دى سيزارى (القرن الرابع بعد المسيح) حيث يدعى فيلون أنه يقدم باللغة اليونانية ترجمة لمؤلف قديم لأحد حكماء الفينيقيين يدعى «سنكونيا تون» الذى كان حيا قبل حرب طرواده فى زمن موسى وسميراميس. فليس من المستغرب، فى مثل هذه الشروط أن يكون بعض

العلماء المهرة شكوا فى وجود أساطير دينية كنعانية مدروسة. أما اليوم فقد تأكدت لنا صحة وجود مثل هذه الأساطير المبعثرة التى تم الكشف عنها فى خرائب مدينة أوغاريت القديمة.

والسؤال الممكن طرحة أولاً بأول هو معرفة أى صلة تربط بين الديانة الأوغاريتية والديانة الفينيقية بكاملها ولأى حد يمكننا اعتبار الديانة الفينيقيقة ذات كيان واحد. الجواب لا يمكن أن يكون إلا سلباً وإيجابياً فى آن واحد. وهذا يعود إلى الشكل التاريخى والجغرافى والسياسى لفينيقيا. فلم يكن ثمة من دولة فينيقية منظمة وإنما مجموعة مدن كل مدينة منها مع الضواحى وخلفية البلاد تؤلف لوحدها دولة تحافظ على مظهر خاص لها وعلى ومؤسساتها وعاداتها وآلهتها الحامية، وطقوسها الخاصة. ومع هذا يبدو ممكنا وفوق ما نعرف أو نشك فى أنه كان يوجد فى الأصل أساس مشترك بين معتقدات كل المدن الفينيقية ولذلك نحن لا نخطئ إذا ما أعتقدنا أن ديانة أوغاريت دون أن تكون مثل ديانة بقية المدن تقدم لنا نموذجا مميزاً عن الديانة الفينيقية فى الألف الثانى قبل الميلاد. مع العلم بأنها ملقحة إلى حد ما بمستوردات خارجية من أهم بلدان تلك الفترة الزمنية مثل: بلاد ما بين النهرين ومصر والحثيين وبلاد بحر إيجى.

إن النصوص الدينية فى أوغاريت أشبه ما تكون بالنصوص التوراتية، إنها مبنية على أساس صيغة شعرية اشتهر بها الساميون القدامى كما سيأتى، وليست هذه الصيغة الشعرية قائمة على وحدة القافية بل على الإيقاع والتناغم. فكانت تلك النصوص مؤهلة للإنشاد والغناء فى آن واحد. ومن هناتبرز معضلة استخدامها فى الطقوس الدينية. وعلى مدى واسع، جرت البحوث حول هذه المؤلفات ولكن بعد ان تمت قراءتها ووضحت معانيها ولو تقريبياً، طُرح السؤال حول دور هذه النصوص فى الحياة الدينية لدى الأوغاريتيين. لم تكن هذه الكتابات عند بعضهم أكثر من حكايات خرافية أو قصص شعبية وعند البعض الآخر اعتبرت نصوصاً دينية مساعدة للطقوس والحفلات المقدسة. ومن هنا

تشعبت البحوث حول علاقة الأسطورة بالطقس الدينى. فهل الطقس الدينى هو ترجمة تمثيلية لما تمليه الأسطورة؟ أو عكس ذلك؟ أى هل الأسطورة هى فقط تسجيل واقع طقسى موجود سابقاً؟ إن حل هذه المعضلة، مهما كان اعتبارها فى يوم من الأيام لا يمكن أن يكون إلا ضمن إطار واسع يعود بنا إلى أصول الديانات. ومهما كان الأمر، فإن نصوص أوغاريت تدل على أن الأسطورة والطقس يؤلفان وحدة دون التمكن من التمييز بينهما بصورة أكيدة أو الحسم فى أى منهما يتحكم بالآخر. إذ يبدو من بعض النصوص أنها لا تتخطى حدود الطقوس مثل التى أطلقنا عليها تعبير «ولادة الآلهة» فلا يمكن أن نجد فيها إلا بعض الإشارات لما ذكرنا عن علاقة الأسطورة بالطقس، كما أن فى نصوص أخرى ليس فيها ما يسمح لنا بالقول ما إذا كانت لها علاقة فى الطقس وإلى أى مدى؟.

فى الطقوس الذبائح

على الرغم من العثور على كثير من النصوص الطقسية فى رأس شمرا لم تكتمل إلا أن معلوماتنا حول إقامة الأعياد فى أوغاريت وكيفية إقامة الاحتفالات الدينية المقدسة فالطقوس المرافقة عادة للذبائح لا تعدو شعائر مهمة جداً فى الديانات السامية تبدأ طوعا بذكر الشهر وتتبعه أحياناً باسم اليوم وعلى سبيل المثال «يوم النيومينى» (يوم عيد القمر الجديد عند اليونانيين) «اليوم الثالث» أو الخامس الخ.. أو بالنسبة للوقت: «قبل اللي» أو عند مغيب الشمس، كما أن القيام بالطقس الدينى غالباً ما يقع فى رحاب المكان مثل «فى معبد بعل أوغاريت» وفيما يتعلق بالذبائح التى غالباً ما تقدم، فإنها ذبائح دموية كحيوانات (الثور والخروف والبقرة والكبش والنعاج الخ.. وحتى الطيور) لما يذكرون من بين الذبائح غير الدموية، الطعام وحتى حلى ذهبية أو فضية.

أما الآلهة والآلهات المذكورة بالنسبة للتقدمات فثمة تناقضات بين الهيكل الإلهى والأساطير الدينية والطقوس، أى إن مركز الألوهة فى النصوص

الأسطورية ليس له بالضرورة نفس المركز الذى يعود إلى النصوص الأسطورية. ويمكن تفسير ذلك أولاً على أساس تطور الأفكار الدينية بالنسبة إلى وقت كتابة هذه النصوص الشعرية الأسطورية فكان المؤلفون يعتمدون تقاليد قديمة عند كتابة هذه الطقوس.

ومن نحو آخر يجب التمييز بين الديانة الرسمية للمدينة أو الملك ورجال الدين والكهان، وورع الشعب كما يبدو ذلك فى النصوص الدينية (وعلى الغالب فى النصوص السحرية).

■ ■ ■

ترتيب الهيكل الدينى

بوجه عام، وعلى الرغم من تطور الهيكل الدينى عبر الزمن، فإن الأسطورة الدينية فى هيكل أوغاريت تدل على ترتيب متماسك.

إن وصفاً دقيقاً أو عاماً لهذه الأساطير فى مجمل تعقيداتها وتركيباتها ومعانيها الاجتماعية النفسية أو التاريخية تتخطى إلى حد بعيد إطار هذا الوصف.

يقولون إن الأسطورة هى حقيقة شعائرية شديدة التعقيد يمكن تفسيرها على عدة أوجه فالدراسات الحديثة حول تحليل بنية الأساطير، تلك التحاليل الطامعة أو المنسقة، تدل عليها بوضوح مرة جديدة، ففيما يعود إلى الأساطير كما عرفناها فى قصائد أوغاريت يجب أن نفهم أولاً معناها الرئيسى أو كما تبدو فى عيون الأوغاريتيين أنفسهم وهو تفسير أولى لها.

يمكن للقارئ أن يرى فيما بعد الترجمة الحرفية لهذه الأساطير مدفوعة بتفسيرات ومقدمات لكل فصل من الأساطير الرئيسية. وعندئذ نأخذ علماً بصورة تدريجية بالنصوص الرئيسية لهذه الأساطير مع التعرف تدريجياً إلى الآلهة العائدة لهذه الأساطير. ولذلك، نتوقف هنا عند حد تقديم، وباختصار تكوين الهيكل الأوغاريتى التى تعود إليه هذه الأساطير.

- الإله إيل الإله السامى الأكبر

إن وجود مجمع أرباب منظم فى أوغاريت، كما أظهرته القصائد الأسطورية وأكدته عدة نصوص موضوعة باللغة الأوغاريتية أو فى ترجمات إلى الأكادية تدل كلها على وجود لائحة للآلهة والآلهات مرتبة ترتيباً خاصاً. وقد تفيدنا النصوص أن هذه الآلهة تؤلف مجمعاً خاصاً. ويرأس هذا المجمع الإله إيل الإله

الأكبر السامى المعروف من قبل التوراة والذى يدل على إله معين أو يطلق اسمه على أى إله تمثله النصوص على هيئة شيخ عريق له لحية بيضاء تسجيداً للحكمة والعدل والعطف. إنه الإله الأعظم و«أبو الآلهة» والبشر «وخالق المخلوقات» كما يسمى «بأبى السنين» وهو تعبير يذكرنا «بغابر الأيام» وهو وصف لإله إسرائيل. وغالباً ما يوصف بالعطوف ذى القلب الكبير وهى صفات الله الحسنى كما وردت فى القرآن فهو يجسد العناية الإلهية كما تصفه الأساطير. وهو يتحسس جداً بتدخل بعل لمصلحة البشر وعندما يختفى بعل تتحرك لديه مشاعر الشفقة لآلام البشرية. ومن صفات إيل وصفة بالثور فيقال: «الثور إيل» وهذا يدل دون شك على قوته وقدرته الخالقة، المرسومة فى مشهد لا أروع منه واقعية. وهذا الرسم للإله إيب معزز بمسلة وجدثت فى رأس شمرا يظهر فيها إيل جالساً على عرش وذا لحية وقرنين. غير أن هذا الشيخ المهيب ذا الفهم العميق العطوف والإنسان فى جميع مشاعره وتصرفاته، لا يسكن فى أى مكان لا على الأرض ولا فى السماء بل فى مكان بعيد محاط بالأسرار مثل: عند «ينابيع الأنهار» وفى «وسط مياه المحيطين». وهو هنا يجتمع بالآلهة والآلهات، أبنائه وبناته. إن وصف مسكن إيل المحير يبدو أنه يقع فى مكان أسطورى عند ملتقى مصب نهرين يحيطان بالأرض. كما إن هذا الوصف يذكرنا بكلام أمير صور كما نقله النبى حزقيال (٢٨ - ٢) حيث نقرأ: «أنا إيل.. أنى أقيم فى مسكن الآلهة فى عمق البحار».

وعلى الرغم من حكمته وقدرته يبدو الإله إيل فى النصوص الأوغاريتية التى تم العثور عليها كأنه شخصية غير فاعلة تفضل السكون على الحركة، كما تفضل السهاد واحتساء الخمر بحسب المناسبات و الدليل على ذلك ظهور إيل فى بعض النصوص سكران يترنح وهو يفتش عن غرفته، وكما يقول النص وإنه فريسة الإفراط بالبول. حقاً إن هذا النص الذى وجد فى مكتبة خاصة قد يكون نصاً وضع فى مناسبة خاصة. ففى أحد النصوص أطلقنا عليه عنوان: «ولادة الآلهة» يظهر فيه إيل وهو يقوم بدور فاعل وقد يكون هذا النص جزءاً من

مجموعة أساطير دينية مختلفة أقدم من النصوص التى نعرفها.

- الإلهة الأم عشيرة، زوجة الإله إيل

الإلهة عشيرة هى زوجة الإله إيل. إنها إلهة أوغاريت الأم يؤلف أولادها مجموعة الآلهة وتسمى أيضاً «السيدة» الأم المغذية وأطفالها الإلهيون «يرضعون حلمات ثدى عشيرة» وبالفعل فقد عثر فى رأس شمرا على لوحة جميلة من العاج تمثل إلهة ترضع يافعين. وعلى الرغم من كل هذا فإنها بالدرجة الأولى إلهة بحرية وغالباً ما تأتى تسميتها «عشيرة اليم» أى عشيرة البحر. وقد تعنى هذه اللفظة السير على سطح مياه البحر:

أما الآلهة الظرفاء الذين ترضعهم فهم الذين يشقون البحر ويسمون «أولاد البحر» ومن جهة ثانية يسمى وصيف الإلهة «صياد السيدة عشيرة اليم» وهو يستخدم شبكته ضد أعداء سيدته.

ويبدو أن عشيرة لا تسكن باستمرار مع زوجها الإله إيل، فهى التى قبلت التدخل لمصحة بعل، كان عليها أن تقوم برحلة طويلة حتى تصل إلى مقر أبى الآلهة. إن وصف هذه الرحلة الطويلة، كما يبدو، قد بدأ على أن عشيرة كانت تمتطى ظهر أتان بصفّتها سيدة أوغاريت العظمى وعندما كانت تصل إلى إيل كانت تطلب منه بكل صراحة ودون الشعور بأى أذى، أن يضاجعها.

ناهيك عن ذلك فإن الدور الذى تؤديه عشيرة فى هذا الفصل وفى غيره أيضاً فى فصل «ولادة الآلهة الظرفاء» يبدو من المستحسن أن نضيف إحدى الصفات إليها وهى صفات إلهة الخصب وهو الدور الذى نسب إلى الإلهة عناة وعشيرة «أناة وعشيرة» معاً.

وزيادة على ذلك فقد عرفت عشيرة فى بعض النصوص، بصفة المغزل فتكون بذلك إلهة الأقدار، وهنا تجب الملاحظة بوجه عام، إن شخصيات آلهات أوغاريت تختلف جداً عن شخصيات الآلهة. فنجد بعض التبدل لدى ثلاث آلهات. إن اسم عشيرة (إشراتوم) فى الترجمة الأكادية وهو مذكور فى العهد

القديم تحت اسم إشيراى الذى يدل فى الوقت نفسه على الإلهة الكنعانية وشىء آخر وقع تأليهه ربما كان عموداً من خشب. واسم إشيراى كان دوماً فى اتحاد مع العمل فى الكتابات التوراتية. فالصلة إذن بين عشيرة وبعل فى المتولوجيا الكنعانية ليست واضحة تماماً. فالإله بعل ليس ابن عشيرة على الرغم من أنها توصف بأم الآلهة كما أنه ليس ابن إيل وقد أظهر قديماً عداءه للإلهة عشيرة بسبب تصرفاتها غير اللائقة التى رفضها بعل بعد أن قتل عدداً كبيراً من أبنائها. فعندما أتى بعل برفقة عناة للتوسل إلى عشيرة كى تتدخل لمصلحته خافت الإلهة عشيرة من أن يواجهها بعل بهجوم أهوج. غير أنها سرعان ما تأثرت بالهدايا التى قدمها بعل فتدخلت لدى إيل بنجاح لمصلحة بعل العدو القديم. هذه الأوضاع المشوشة قد تكون نتيجة تشابك نصوص ميثولوجية لم ندرك كيفية وصل بعضها ببعض. وهذا ما يمكن تفسيره فى علاقة إيل ببعل.

- الإله بعل

إذا كان إيل يجسد الحكمة والقدم ومعرفة كل شىء والقدرة على التقدير فى نهاية الأمر، فإن بعل يجسد شرخ الشباب والجموح والنصر والتدخل الفاعل فى أمر العالم فى سبيل طرد العناصر الطبيعية المؤدية إلى الفوضى وذلك لمصلحة حياة البشر.

وهذا الإله الملقب بالسيد هو المعروف أكثر من كل الآلهة ولو بالاسم فى الميثولوجيا السامية. ففى العهد القديم يظهرونه كأخطر إله بالنسبة إلى يهود إله إسرائيل الوطنى ولذلك كان اسمه كريهاً بالنسبة للأنبياء والمشرعين الذين يشتمون طقس بعليم (جمع بعل) الذى اعتبر فى بعض المواقع من التوراة من الطقوس الأجنبية. مما يدل على أن الطقوس الفينيقية كانت سائدة بين الجماهير منذ عهد إسرائيل القديم.

إن بعل أوغاريت هو بالدرجة الأولى إله العواصف كما عرف بهذه الصفة إله الآراميين «حدد» ويهوه إله إسرائيل و«تيشوب إله بلاد الأناضول» وبالتأكيد

لقد ورد ذكر اسم بعل فى النصوص الأوغاريتية تحت لفظة «حد» المؤلف منحرفين صامتين من الممكن أن يكونا تحت لفظة «حادو» وهو اسم «حدد» السورى. وبصفته إله الزوبعة والمطر فإنه يمتشق الصاعقة والهراوة، فهو إله الحرب متأهب لضرب أعدائه. إنه يمثل بهذه الصفة فى القصائد الميثولوجيا والتماثيل. فقد عثر فى رأس شمرا على مسلة من الحجر الكلسى موجودة حالياً فى متحف اللوفر تمثل بعل حاملاً الصاعقة وفى حالة قتال يلبس على رأسه خوذة ذات رأس مذنب ويحمل بيده اليمنى الهراوة وبيده اليسرى رمحاً يدل على الصاعقة المنذرة بهطول المطر.

إن الوصف الذى اشتهر به بعل هو «الفائق القدرة» وباللغة الأوغاريتية «البعلين» وهذه اللفظة ضللت الكثير من العلماء إذ اعتبروها فى بداية الأمر اسم إله «علين» المقدر أنه ابن بعل: إن ذكر هذا الإله غير الموجود لا يزال بعض العلماء يعتقدون به. غالباً ما يلقب «بالأمير بعل» وتلفظ بالأوغاريتية «زيبول» ومن هذا الاسم بالذات يمكن أن يوجد وجه شبه مع إله عقرون كما جاء فى التوراة أى «بعل زيوب» الممكن تفسيره «بعل الذباب» وهو إقلاب لبعل «زبول» أى «بعل الأمير». وفى العودة إلى العهد الجديد نرى أن هذا الأسم يعنى أمير الشياطين «بعل زيوث» فما دام بعل هو إله المياه والمطر والعاصفة فمن الطبيعي أن يوصف «بممتطى الغيوم» المذكور فى التوراة (مزامير ٦-٥). ولقد عثر مؤخراً على لوحة فى أوغاريت تمثل بعل جالساً فوق رأس جبل ممسكاً بيده سبع صواعق وثمانى حزمات من الإشعاعات رأسه فى السموات يقطر ماءً وجهته مكسوة بالندى. إن هذا الجزء من اللوحة يصف دون شك تنصيب بعل فوق جبل «سافون». فهو يسكن بالفعل بعض مطاوى أو قمم سافون. ويعنى اسم «سافون» الشمال كما يمكن أن يعنى: السحابة المظلمة. وينطبق هذا الاسم على جبل الأقرع الواقع شمالى أوغاريت المسمى قديم جبل «كاسيوس». إن مسكن بعل الرئيسى يحمل اسمه إذ يقال «بعل سافون» ونجد هذا الاسم الدينى مذكوراً فى معاهدة الصلح الموقعة بين ملك صور والملك الآشورى أسرحدون. كما أنه معروف

لدى المصريين. واستمر ذكره حتى القرون الأولى الميلادية من بين أسماء الأشخاص الدينيين فى النقوش القرطاجية. ومن المعتقد لديهم أن قمة «سافون» هى عند ملتقى الأرض بالسماء، علماً بأن قمة هذا الجبل مغطاة بالغيوم منذ بدء الشتاء.

ومن أجل تحركات بعل ووظائفة فإنها تقع ضمن إطار الأساطير والطقوس الزراعية أساس ديانة الأوغاريتيين. وما دام بعل هو موزع الأمطار المحيية وسيد المياه وينبوع الأرض المغذية وتجديد الطبيعة التى تموت وتحيا فى كل سنة، وسيد الحفرة. فإن بعل مدعو ليلعب دوراً رئيسياً فى ديانة المزارعين والرعاة. وما دام أنه إله الزراعة المحرك الرئيسى للأوغارتيين المقيمين فوق أراض خصبة قرب البحر فهو بذلك إله الخصب. إن نصوصاً عديدة تظهره يعمل فى هذا الإطار الرئيس. فيطلق عليه لقب العجل أو الجذع «صغير الثور» ويحمل على رأسه قرنين مثل الإله إيل ويخصب قطيعاً من الثيران.

إن المجابهة السنوية بين بعل إله الخصب والإله «موت» إله الحصاد تدل بصورة أخاذة على تناوب الفصول. كما أن نزول بعل إلى شدق «موت» الجائع يدل على أسطورة سقوط الأمطار التى تسقى التربة الجافة بفعل جفاف الصيف فى الشرق الشبيه بفصل «الموت». وهذا السقوط ضرورى حتى تبعث التربة حية.

أما «موت» فإنه يتغذى من مادة بعل غير أنه لا يقوى على الاحتفاظ بها ولذلك يجب أن تتجمع فى السماء الغيوم المبشرة بمجىء سنة جديدة. هذا ما تعنيه الأسطورة عندما تشير إلى ارتفاع جسد بعل إلى قمة سافون بفعل الإلهة «شباش» والإلهة «عناة» الأولى هى التى تحمل المياه تتبخر والثانية هى التى تجمع الرطوبة الموجودة فى الأرض ولما كان الإله بعل يستحوذ على قوة الحياة وهى الماء، فإن بعل يصبح الإله العطوف القريب من البشر. ولذلك نرى بعض النصوص تقدمه كوسيط بين البشر والإله إيل. فالصلة بين هذين الإلهين الكبيرين بالنسبة للأوغاريتيين لها صفة خاصة وكأنها صفة الأب بالابن، حيث نجد الإله الثانى يعتبر الأول حكما قطعياً دون أن تكون له الفاعلية الكافية، أما

بعل فهو قطعاً ليس ابن إيل وقد يوصف أحياناً بابن داجون. وهو إله أجنبى تبناه الأوغاريتيون وسوف نأتى على ذكره. ومع هذا فإن بعض النصوص الأوغاريتية تصف إيل بأنه «خالق المخلوقات» وهو مسئول عن وجود بعل.

إن كل ذلك يدل على أن بعل الأوغاريتيين هو دخيل على دنيا الأوغاريتيين وإن اسمه الحقيقى هو كما سبق «حادو» وقد تبوأ مركزاً مهماً جداً مع تطور الطقوس الزراعية.

- آلهة أخرى فى الهيكل الإلهى الأوغاريتى .

مع كون بعل ليس إلهاً خالقاً كما كان إيل. فإنه يجسد نوعاً ما. مبدأ الحياة وبهذه الصفة عليه أن يواجه فى قتال عنيف القوى المدمرة. ومن بين هذه القوى يود البحر اللا متناهى غير المحدودة هيجاناته التى تهدد مما تهدد فى كل سائحة الأرض الخصبة وحتى حياة البشر على السواحل. فيتحتم والحالة هذه، على بعل، أن يواجه أليم «أى البحر» فى الدفاع عن البشر. غير أن البحر، مهما كان مخيفاً لا يعدو كونة أحد عناصر الطبيعة: فاليم بالنسبة للأوغاريتيين هو إله يحمل لقب الأمير وهو أحد أولاد إيل وتقدم له الذبائح ويحتفل بطقوسة فالميثولوجيا الأوغاريتية تخضع يم إلى قتال واجتياح مع الإله بعل، الموصوف «بقاضى النهر» وهذا يشير إلى أن الأنهار تصب فى البحر السيد الذى يجسد الأنهار.

وسوف نقرأ فيما بعد أسطورة يم وبعل فى مختلف أحداثها والوصف العجيب للقتال بين بعل ويم حيث يخرج بعل منتصراً. إن عدة تفسيرات لهذا النزاع أعطاها المفسرون، وهى ترجمات تاريخية (يمثل فيها يم شعوب البحر التى اجتاحت السواحل وطردهم الأوغاريتيون) وهى أحداث كونية على غرار قصائد بابل حول الخلق) الخ.. فإذا كان من العدل تشبيه قتال بعل ويم، على غرار ما جاء فى الميثولوجيا البابلية حول قتال مردوخ مع تعامه، الذى يدل على قدرة البحر أو قتال يهوه ضد مياه البحر، يبقى بأقل الدرجات القول أن

الأسطورة الأوغاريتية يجب أن تفهم وتترجم حسب مفهومها الخاص البدئى أى بعل حامى البشر، له الحق فى الدفاع عن شواطئ أوغاريت منذ هجمات البحر التى تحدث من وقت لآخر بعض الأضرار ومن نحو آخر هى حامية الملاحين.

وإذا ما عناصر أخرى مثل صدى علم الكون لدى شعوب ما بين النهرين أو ذكرى حدث تاريخى، اندمجت فى القصيدة الأوغاريتية فإن ذلك لا يغير فى شيء من معنى الأسطورة فى مجملها.

إن النزاع الذى يجعل بعل يتصدى لعدو آخر شديد المراس هو «مو»، فإن ذلك من طبيعة النزاع مع يم. لا بل على العكس أن موت ليس إلهاً معبوداً على الرغم من تسميته إلهاً. فهو ليس فى عداد الآلهة التى تقدم لها الذبائح واسمه لا يعنى سوى الموت فهو يمثل مأساوياً الموت. إنه يجسد حرارة الشرق فى الصيف فهو والحالة هذه يمثل فصل الموت. ففى أسطورة بعل وموت التى نقرؤها بكل تافصيلها فيما بعد، نجد فيها أن «موت» الذى كان عليه أن يبتلع بعل دون شبع، ينتهى ذبيحاً بيد «عناة» وهو طقس يذكرنا بآخر فصل من فصول الربيع منتهياً بالاندحار أمام بعل فى قتال مأساوى. غير أن هذا النصر ليس إلا مؤقتاً. إنه كالحياة نفسها مع الموت تتجدد باستمرار. إن موضوع هذه الأسطورة التى تعبر عنها صور صارخة ليست كلها بدائية. فعندما تفتش «عناة» عن بعل فى جوف الأرض فإنها تقوم بنفس مرحلة «إيزيس» فى التفتيش عن أوزوريس، ورحلة عشتار فى التفتيش عن أدونيس. غير أن أحكام الأحداث والإصرار على بعض الأفكار الرئيسية، والطقوس التى يمكن أن نستشفها من خلال الوصف فى بعض التعابير الشعرية أحياناً إن كل ذلك هو من أصالة أوغاريت.

إن النزاعات المستمرة المضنية التى لابد منها، تلك التى يقودها بعل ضد «يم وموت»، هى من صلب سلوك إله أوغاريت الأكبر. ولكنه يتصدى بصورة عرضية إلى إدعاءات إله صغير حسود ومشاكس ألا وهو عشتار فهذا الإله المدعى يرغب فى الحصول على قصر مثل الذى سيقيمونه لبعل، معلناً أنه مستعد للحلول محله. كما يبدو أنه سينجح فى مطلبه بمساعدة الإلهة عشيرة غير أن يظهر نفسه

صغيراً جداً وأنه سيغادر عرش بعل من على «سافون» إذ إنه لم يتمكن من الإقامة فيه، فالإله عشتار الذى يؤدى فى أوغاريت دوراً ثانوياً هو اسم لآلهة سماوية قديمة جداً فى العالم السامى إنه مذكور فى ديانات بلاد العروبة الجنوبية.

فى المقام الأول بين الآلهة إن بعض النقوش الأثيوبية القديمة تضعه فى رأس لائحة الآلهة وتعطيه اسم زيوس الموازى له لدى اليونان. إن سقوط «عشتار» فى أوغاريت يدل على أن الأساطير السماوية فقدت أهميتها أمام الطقوس الزراعية فى أوغاريت.

إن بعل فى جميع رحلاته وحروبه، كانت الإلهة عناة دائماً إلى جانبه وهى تحتل فى الهيكل الإهلى الأوغاريتى مركزاً مميزاً إذ تجمع وظيفتين مهمتين تكمل الواحدة الأخرى أحياناً وهما صفة الإلهة المخصبة والحب وإلهة الحرب. فبالنسبة للصفة الأولى تكون حبيبة أخيها بعل وعند اللزوم تؤمن له قطيعاً من الأبقار لإخصابها. أما الصفة الثانية فإنها تمزق بكل شراسة أجداء بعل مقدمة بفرح عظيم على مذبحة هائلة. ونحن نعرف جيداً دور الدم فى الطقوس الخصيبة: فإنه يراق الدم على التربة ليخصبها كما أنه يخصب البشر والحيوانات.

تبقى «عناة» دوماً الأمينة على خدمة بعل فهى تقوم من أجله بكل المهمات ومنها ما هو مسالم. إنا نراها بوضوح فى النص المشار إليه تحت عنوان بعل وعناة الذى سنقرأ ترجمته فيما بعد، كما نراها فى مقاطع أخرى وعلى سبيل المثال عندما تذهب فى التفتيش عن أخ مفقود وتجد جثته فتتهم «موت» بقتله وعند ذلك تقابله بشراسة أو عندما تطلب منه أن يعترف بالملوكية إلى إله الزوابع أو تتخل من أجله لذى الإلهة عشيرة وغالباً ما تلقب الإله عناة بالعذراء وهذا لا يدل مطلقاً على أنها عذراء فكل ما يعنى ذلك أن ليس لها ولد. وهنا نذكر بنص مصرى يقول عن عناة أنها تحمل دون أن تلد. إن الإله المصرى «ست» الذى حل بنوع ما محل البعل السامى قد اضطر إلى تمزيق رحمها. كما يطلق أيضاً على عناة لقب محير وصعب الفهم فسرناه مجازياً: أم الشعوب وهذا

يوازى لقب بعل حيث يقال عنه «حامى الشعوب» وعلى غرار بعل أنها تبدو فى وظيفة زراعية على أساس مبدأ الخصوبة. وقد ورد أيضاً وصف لها يقول عنها «عناة الحقل» و«عناة الحراثة» ولنتذكر هنا أيضاً إنه بعد ألف سنة من عهد أوغريت وجد نقش فينبقى فى قبرص يصف عناة بأنها قوة الحياة» كما يصفها بأخت بعل الشرس وهى مذكورة فى بعض النصوص بالمجنحة. ولكونها مجنحة فإنها تستطيع الانتقال بسرعة والقيام بعدة مهمات ومنها الوسيطة.

ونحن نفهم مركزها المرموق لدى فراعنة السلالة التاسعة عشرة المصرية ذلك المركز الذى يجعل منها الإلهة المحاربة بضراوة. وبعد هذا العهد بفترة طويلة إن يهود مصر العليا جعلوا من «عناة زوجة لإلههم يهوه».

وكما يدل اسمها فيمكن أن تكون المعين الذى تتجمع فيه المياه، أو يتجمع فيه الطير كما سبق ولاحظنا. وهاتان الصفتان تظهران بعد قرون من الزمن لدى «الإلهة السورية» (هيررا) Hiera.

ومنذ بضع سنوات عُثر فى رأس شمرا على نص يصف «عناة» بأنها «سيدة السموات العالمية» و«سيدة السيادة» فنحن نتعرف بفعل هذين اللقبين على مصدر أسماء سميراميس ودورسيتو. فسميراميس ورمزها الحمامة تكمل صفة عناة الإلهة المجنحة بينما دورسيتو صتعية جعلت من سميراميس ابنة لـ درسستو، فإن هويتمها الأساسية تنشأ من اتحاد الحمامة بالسمكة الموجودتين فى معبد «اثارجاتيس». إن شعبية عناة تحت عدة أسماء استمرت طويلاً فى العالم السامى.

وإلى جانب عناة توجد إلهة احتلت مركزاً ممتازاً وهى الإلهة «عشتارت» التى لا تظهر إلا حديثاً. ففى قصيدة «بعل والبحر» نجد أنه عندما هاج إله الزوابع أراد ضرب يم، توقف عن ذلك بفعل عناة و «عشتارت» التى ظهرت فى نهاية القصيدة لعبت دوراً لم نتمكن من تحديده بسبب التلف الذى أصاب اللوحة. وعلى عكس ذلك، نجدها فى مواضع عديدة عند إقامة الطقوس الدينية. فقد

وجد اسم للإلهة تحت صفة: «عشتارت الحقل» وهذا يدل على أن وظيفتها الإخصاب. غير أننا قليلاً ما نجدها فى الأساطير ولكن دوماً فى صلات مع بعل وبالتحديد مع بعل وفى مصر حيث دخل طقسها مع طقس بعل وبالتحديد مع طقس عناة فإنها لعبت دوراً مهما فى أسطورّة البخر التى نعرف عنها بضعة أجزاء وجدت على ورق البردى.

وفى نصوص أوغاريت ذكر اسمها مرتين تحت لفظة «عشتارت اسم بعل» وقد يدل ذلك أيضاً على أن هذه العبارات الغامضة إلى حد ما توجد فى بعض التعابير التهديدية مثل: «التكسر اشتارت (اسم لبعل) رأسك» وهذا يدل على طبيعة الإلهة المحاربة. وبالفعل كما هو لدى عناة فإن «عشترت» عرفت فى مصر كإلهة محاربة ويمثلونها على المسلات راكبة على جواد.

هذا ونعرف من جهة أخرى أن الصفة التى عرفت بها عشتارت (عشتروت) فى كل العهود قد ظهرت فى الطقوس السامية كالهة للخصب والحب.

وفى التعابير التهديدية كما أوضحنا سابقاً، يوجد إله آخر بهذه الصفة اسمه «حورون» كقولهم: «لو «حورون» كسر رأسك» ونجد هذا الإله فى كتابات شمالى سوريا وذلك فى «يفنة» فى فلسطين و «تانيس» فى مصر كما فى «دالوس» فى اليونان وفى المفهوم الفلسطينى ربما كان إلهاً مدمراً وشافياً فى آن واحد ولكنه لا يلعب أى دور فى المعتقدات الأوغاريتية.

وثمة إله آخر معروف جداً وهو الإله الكبير «داجان» الذى لا تذكره الأساطير إلا لماما: وهو لا يظهر إلا بصفته أبا لبعل علماً بأن هذا الأخير ليس ابناً للإله إيل كما سبق وذكرناه. إنه موصوف دوماً بابن داجون أو من سلالة «داجون». ومع ذلك فإن «داجون» يحتل مركزاً ممتازاً فى لائحة الآلهة التى أطلقنا على مجموعها «الهيكل الإلهى فى أوغاريت» فهو مذكور مرات عديدة فى النصوص الطقسية التى وجدت فى رأس شمرا وقد كشف النقاب فى رأس شمرا عن معبده بفعل مسلتين مقامتين باسم داجون. و «داجون» هذا هو الإله الأكبر للآشوريين بفعل مكتشفات مدينة «مارى» ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد

انتشر طقسه فى جميع بلدان العالم السامى وكان محترماً جداً لدى شعوب بابل وآشور كما أنه فرض نفسه على كل شعوب البحر المتوسط.

وفى التوراة، العهد القديم، يعرف «داجون» بأنه إله الفلسطينيين الأكبر الذى زعزع شمشون بناءه ونحن نعرف من التوراة اسم محل يدعى «بيت داجون» فى فلسطين وقد استمر معبوداً فى قرية عربية تدعى «بيت ديجان» جنوبى شرقى يافا. كما أم نصباً وجد فى اوغاريت تمت ترجمته مؤخراً يذكر «داجون فى توتول» وبهذا المعنى اقتراحنا ترميم مقطع مخروم فى نصر اعطيناه عنوان «أعراس القمر» كما سيمر معنا فيما بعد. ويبدو إذن أن داجان قد أتى إلى أوغاريت من «توتول» الواقعة فى شمالى شرقى سوريا المعروف فى مركزا آمورى مهم لعبادة «داجان» إن اسم داجان نفسه يعنى الحنطة وهو مثبت فى عدة لغات سامية. كما يظهر داجان أيضاً كإله للنباتات والزراعة ومن هنا نفهم صلته بالإله بعل. ولقد وجد نص حورى فى أوغاريت يساعدنا على القول أن الرجال الحوريين الدينيين مثلوه بـ «كوماربى» الإلهة الأناضولية الكبرى وكانت توتول إحدى مراكزها.

والميثولوجيا اليونانية كالميثولوجيا الأوغريتية لها إلهها الفنان الواضحة وظائفه. فإن الإله «قصير» هو «هيفا تستوس» أوغريت الموصوف غالباً بالماهر. فاللفظتان تشكلان اسمين لإله واحد. وهو يرمز بالنسبة للأوغاريتيين إلى الحضارات الراقية فى ما وراء البحار لأن النص يذكر «كفتور» (جزيرة كريت أو كبار دوسيا مركز سيادته ومصر أرض تراثه.

وثمة العديد من النصوص الميثولوجية تظهره فى ظروف خطيرة. فهو الذى صنع الهرواتين العجيبتين اللتين سمحتا إلى بعل بالتغلب على إله البحر. وقبل أني قدمهما إله الحدادة إلى بعل أعلن اسم كل هرواة. وبالفعل حملت كل منهما اسماً رمزياً له قوة سحرية. ونحن نعرف أنه يعتبر فى مختلف الحضارات الحداد وفى أكثر الحالات ساحراً فيقول: تقع على الإله المهندس المعمارى مهمة بناء معبد بعل مع التأكيد على بضرورة فتح نافذة فيه. وهو الذى صنع القوس المسلم إلى الحكيم دانيال ذلك القوس الذى تنازعه الإلهة عناة.

إن القصائد الأوغايتية التى تقدم ترجمتها تسجل من وقت لآخر فعل إلهة أوغاريت المسماة شباش. وهذه الآلهة كما هو الحال فى جنوبى بلاد العرية تعتبر إلهة وليس كما هو الحال فى بعض الديانات السامية «شمش» الإله الشمس. وشمش فى العبرية فإذا سباش تحتل فى المستقدات·الدينية مركزاً عالياً وبنفس المستوى الذى هى عليه فى أوغاريت حيث تأتى مباشرة بعد عناة وعشتروت فإن دورها يبدو فى القصائد الميثولوجية أقل أهمية.

إن شباس التى يصفونا «بالقنديل الإلهى» تبدو بنوع خاص كرسولة الآلهة فإنها غالباً ما تكون لسان حال الإله إيل. والصفة الرسولية التى يطلقونها عليها هى بسبب الحركة الدائمة للشمس الوسيطة بين السماء والأرض. ما دامت مسيرتها تروح وتجىء من الأفق نحو السمت. كما إنها تقوم بدور يصل بين الأحياء والأموات. فعندما تذهب عناة للتفتيش عن بعل الذى التهمه «موت» كانت شباش تقودها بصفتها صلة الوصل بين عالمين فهى تعرف كل زوايا العالم. وهنا نجد معتقدات ما بين النهرين المتطورة بفعل حركة الشمس المتواصلة. ولكن عدا عن ذلكفإن شباش يساعد عناة على إعادة بعل إل يجبل «سافون». وكما رأينا فإن الشمس هى التى تساهم فى جمع المياه التى تنتشر على الأرض.

إن دور شباش القليل الأهمية فى القصائد الميثولوجية يدل على أن ديانة أوغاريت لا تهتم بالميثولوجيا الشمسية. فيبدو عمل الإله مرتبطاً قبل كل شىء بالأعمال الزراعية ومن ثم بالخصب. ومن هذه الزاوية بالذات يبدو الترابط بين هذه المعتقدات وديانة أوغاريت إن التعلق الدينى بالطقوس الزراعية يؤيد مذهب بعل الأوغاريتى دون أن يمحوه فى هذه البقعة من العالم، التى تسود فيها الديانات الكونية من مسيحية وإسلامية.

فعلى الشاطئ السورى لا تزال تقوم هياكل باسم القديس جورج كما تقوم المقامات الإسلامية تيمناً بالخضر. إن التقوى الشعبية مستمرة عميقة الجذور بالنسبة إلى هاتين الشخصيتين اللتين هما شخصية واحدة. لأن القاسم المشترك بينهما هو البحر والقتال الفعال وقوة الخصب.

الجحيم والهة الجحيم

إن لوحة كبيرة من آشور والتى من المحتمل أن تكون كتبت خلال القرن السابع قبل الميلاد، تتضمن أحسن وصف لعالم الجحيم، كما كانوا يتصورونه فى بلاد آشور.

والنص هو عبارة عن مقطوعة نثرية ليست بالمعنى الصحيح نصاً دينياً، بل على العكس إنها تعنى اهتمامات سياسية لا يمكن تحديدها بسبب ما طرأ على المستند من رداءة، وتلميحات غامضة لا تسمح بتحديد معانيها.

أما القسم الذى يسترعى انتباهنا فيحكى حلماً رآه أمير ملكى أعطوه «قومًا» يخفى هدية الأمير الحقيقية. ففى الحلم رأى نفسه وقد نقل إلى الجحيم. وفى هذه الأماكن المظلمة حيث يسود الإله «نرجال» وزوجته «أريشكيجال» محاطين بطواغيث شرسين وفى أشكال وحشية. اجتازت روح الأمير التجربة الرهيبة التى لا يعرفها البشر إلا بعد الموت. وهناك حصلت على دروس قاسية فيها كل الخلاص الأبدى.

● ● ●

فى الليل وفى الحلم ظهرت «أريشكيجال» وقال لها: إنى أرى أولى تقدماتك.

«أنا أريد حقاً الاستجابة إلى صلواتك وأن أريك ما تشتهين».

«استيقظ قوما» وناح كالحمام وبكى.. راغباً فى أن يتكرر حلمه. ومن جديد ونحو «أريشكيجال» رفع يديه وهو يصلى، وأمام «نرجال» الجحيم زوجها انهمرت دموعه.

وها هو «قوما» قد نام فأتته رؤية ليلية وفى حلمه قال:

أنا... من هذا المكان حيث كنت سجيناً، كنت أتأمل الضياء المتهيب.. لقد

رأيت «نمتار» رسول الجحيم الذى يخلق القوانين وكان ثمة رجل يقف أمامه ممسكاً بشعر يده اليسرى بينما كان يشد بيده اليمنى على مقبض حسام.

كان لـ «نامتارتو» السرية رأس «كوريبو» ويدا وقدما رجل. وكان للموت رأس تنين ويدى رجل وأقدام طير.

وكان للخبيث «شيدو» رأس وقدما رجل، يضع على رأسه تاجاً وكانت قدماه كأقدام الطيور. كان برجله اليسرى يسحق تمساحاً. كانا لـ «توهابو» رأس أسد وأربعة أيدى وأرجل إنسان.

كان لـ «سوبوت دومال» رأس طير وجناحاه كانا مبسوطين. كان يطير فى جميع الاتجاهات وكانت يداه ورجلاه كأيدى البشر.

وكان لملاح الآخرة رأس طائر «أنزو» وأربعة أيدى ورجلا إنسان.

وكان لـ «الشبح» رأس ثور وأربعة أيدى وأقدام طير «أنزو».

وللخبيث «أتوكو» رأس أسد وأيدى وأقدام طير «أنزو».

وكان «شولاك» كأسد عادى يقف على قدميه.

وكان لـ «ماميت» رأس عنزة ويدا وقدما بشر.

وكان لـ «نيدو» بواب الجحيم رأس أسد والثانى..

و« ....را» كان لها ثلاثة أقدام أمامية كأقدام الطير وقدم ثور أمامية وهالة منيرة ومخيفة. ومن إلهين لا أعرف اسمهما، لأحدهما رأس ويدان ورجلا طير وكان يمسك بيسراه.. أما الثاني فكان له رأس إنسان وعلى رأسه تاج وكان يمسك بيمينه مطرقة وبيسارة أمامه.. كان مجموع الآلهة خمسة عشر إلهاً كانوا كلهم هنا لقد رأيتهم وتضرعت إليهم.

ورجل كان جسمه أسود كالقار ووجهه أشبه بطير «أنزو» كان يلبس معطفاً أحمر ويحمل بيده اليسرى قوساً وباليمنى سيفاً ويقدمه اليسرى يسحق حية على الأرض.

وعندما رفعت نظرى رأيت أن الشجاع «نرجال» كان جالساً على العرش الملكى يعلو رأسه التاج الملكى ويمسك بيديه مطرقتين رأساهما.. وعندئذ يسطع يبرق وينحنى آلهة الأنوناكى الكبار شمالا ويميناً.

● الجحيم ملىء بالرعب. وأما ابن الأمير يرينه صمت رهيب، لقد أمسك بى من أطراف شعرى وقربنى منه.

● وإذا رأيته ارتعدت فرائصى ورمانى أرضاً بهاؤه الرهيب..

● قبلت قدمى ألوهيته العظمى وركعت من ثم ونهضت.

● وكان هو ينظر إلى بانتباه ويهز برأسه.

● أطلقت صرخة حادة: كعاصفة هائجة وصرخ فى...

● وكانت العصا شعار ألوهيته، المليئة بالرعب أشبه بالحية السامة.

● صوبها نحوى لتقتلنى. غير أن «إيشوم» مستشاره الشفيع الذى ينقض الحياة ويحب العدل قال: لا تمت هذا الرجل، يا ملك الجحيم القدير حتى يسمع جميع سكان البلاد مديح مجدك، هكذا هدأ كالمياه الصافية فى بئر قلبه القوى جداً، الأكثر قدرة على تقييد الخبثاء.

● وعندئذ نطق «نرجال» بهذه الكلمات، لماذا أهنت زوجتى ومحبوبتى ملكة الجحيم؟

● فإذا وافقت فإنها بناء على أمرها الذى لا يرد، أن «بيبو» جلاد الجحيم سيعهد بك إلى البواب لـ «وغالسولا» ليخرجك من باب «عشتار» و«إيا» (Aya)

● فإن كان عليك ألا تنسانى أو تهملنى فإنى لن ألفظ بحقك حكماً قاضياً. وإلا فإن الآلهة بناء على أمر «شمس» سيرمونك جميعهم بالبلبلة والأكدار وسيجعلون الشعوب الهائجة تمنع عنك لذة النوم.

● إن الروح التى رأيتها فى الجحيم هى روح الراعى المجيد الذى أوصله «آشور» ملك الآلهة أبى إلى كل ما يشتهى.

● والذى تحمل من الشرق حتى مغيب الشمس عبء كل البلدان، وحكمها كلها.

● والذى أوكله آشور باسم كهنوته بأن يقيم عيد معبد رأس السنة المقدس للحقول حيث توجد روضة غناء وجه لبنان..

● الذى من أجله كان مقرراً بأن آلهة «يابرو» و«هومبا» و«نابروشو» تحمى شخصه، وتحفظ ذريته وتخلص جنده ومعسكره، فلا يوجد عدو على عربته يستطيع الاقتراب منه فى المعركة.

● ولكن ثمة آخر مولودك، وإن كان فى سن النضج، فهو عالم بكل شىء، موهوب فى إدراك واسع، مفتوح على روح العلوم وقد أمعن النظر فى مخططات تلاحم الأرض.

● فلماذا صم أذنه فى وجه كلام «شمس» وسرق «التابو» وداس الممنوع؟ وبلا ثوان سيسحقك على هذا النحو، بهاء ملكيته ويكرسك للعدم.

● لتبق هذه الكلمات فى قلبك كالشوكة. أمض الآن إلى العالم الأعلى أمض إلى أن أتذكرك ثانية. هكذا قال له.

● وعندئذ استيقظت وكان قلبه يخفق كقلب رجل نزف دمه أو يتوه وحيداً فى كل الجهات بين المقصبات أو كأن العدائين قد أدركوه.

أو كما يشبه خنوصاً، صغيراً جداً يعتلى أنثاه، والحرارة تنفخ فيه من كل جانب وهو يطرح القذارات من فمه ومن إسته يطرح القذارات متوجهاً بقوله: واأسفاه على. ومن ثم كالسهم الذى يخترق الشارع، تلقم غبار الشوارع والمفارق، ولم ينفك عن هذا الصراخ الرهيب: فيا للأسف، يا للأسف!

● فيم فرضت على كل هذه الأشياء؟! وأمام سكان آشور وبكل ألم يمجد بطولة «نرجال» و«أريشكيجال» اللذين أتيا لمساعدة الأمير.

نرجال وأريشكيجال

فى رؤية الجحيم ومن مصادر جمة يمثل «نرجال» سيد الجحيم وإن لم يكن على هذا النحو فى البدء. وبصفته شجاعاً أو جميلاً وجامحا كان يعيش فى مناطق سماوية مع إخوته آلهة النور. كانت وحدها أختهم «أريشكيجال» تحكم فى مملكة الظلمة. وقد كبرت هناك ناسية ألعاب الأطفال، وأفراح الفتيات الصغار والنساء والحب والأمومة. كانت تعيش فى الدموع والتأوهات والتقشف والندامات الأبدية. أما التعويض الوحيد لها فهو تسلمها البطاقة الصلبة التى تنظم تعايش عالمين وتفرض على الآلهة فى الأعالى الاحترام الصارم للواجبات المفروضة ولقراراتها التى لا اعتراض عليها.

وفى عالم الأموات هذا، ولو كان الأمر يتعلق بإله، لا يمكن سكناه بملء الاختيار. فكيف إذا وبموجب أى قدرية، يجد «نرجال» نفسه مرغماً على المجىء ويقاسم أخته السلطة والمضجع؟ إن ذلك هو موضوع أسطورة اعتاد الناس أن يسموها: «أسطورة نرجال وأريشكيجال».

لقد عرف عنها أولاً على ضوء بعض أجزاء من لوحات وجدت من خارج بلاد الرافدين أى فى «تل العمارنة» فى مصر ومصدرها مكتبة أمنمفيس الرابع «١٣٧٢ - ١٣٥٤ق.م» على أيدى نساخ متعددى اللغات، ومن المرجح أنهم نقلوها عن النسخة البابلية الأصلية القديمة، كما وجدت عام ١٩٥١ ترجمة أكثر حداثة، فى حفريات «سلطان طيبة» (حران القديمة) فى الشمال الغربى من مملكة آشور. واللوحة التى بين أيدينا المكسرة إلى عدة أجزاء، لعلها اشتملت فى البدء على ٤٤٠ سطراً وثمة اختلاف واضح بين النصين من حيث الأسلوب الإنشائى الأقل سلاسة بالنسبة لهذه فى مواقع عديدة كما بالنسبة إلى الأحداث. غير أن المضمون كان واحداً والخاتمة متشابهة.

الشياطين وطرد الأرواح الشريرة

لم تكن الشياطين مخلوقات غيبية فحسب فالعديد منها كان بمثابة آلهات خلقت فى السماوات ذات طبيعة غيبية قذفتها فى طريق الشر.

كان إله السماء «آنو» فى البداية ممسكاً بزمامها يستخدمها كرسل وكأنها أدوات يستخدمها فى العقوبات والانتقامات. ولكنها دون علمه كانت تطلق خبثها فى السماء. فكانت، والحالة هذه، مسئولة عن الكسوف تهاجم فى ظلماتها قرص القمر المشع كما كانت تعاقب البشر وتعيش منفردة فى الظلمات والأماكن المعتمة، كما كانت تغشى الخرائب والرياح والمياه الحية أو الراكدة. ولشد ما كانت لا مرئية. كما كانت تبدو فى أشكال عدة مخيفة أو وديعة، وكانت تهاجم ضحيتها المختارة خلسة بضربها وتغليفها وامتلاكها أو تشتيت عقلها.

وكان البشر دفاعاً عن النفس ضد هذه الهجمات الوحشية أو المخادعة يلجأون إلى الكهان طاردى الشياطين. ومن أجل ذلك كانت الرقى والطقوس غنية جداً ومتنوعة، بحيث تصلان إلى الهدف بالنسبة لكل حالة.

وثمة طقوس مستقلة بالإضافة إلى سواها التى لا تقل عدداً، مجمعة ومرتبة بنسق مطابق لقوانين المعابد. والصفحات الآتية تعود إلى هذه الكتب السحرية كمثال على هذا الضرب من الأدب، يستحضر الأول بشكل جدول ملحمى، وظيفة الشياطين فى حالات كسوف القمر. أما النصفان الآخران فيعودان إلى فعل الراقى فى كفاحيه ضد العناصر الشيطانية من حيث العلل التى تعترى الإنسان.

■ ■ ■

ارتوكو - الخبثاء فصل ١٦

- إن الآلهة الرديئين أشبه بعواصف ضارية.
- إنهم جن بلا شفقة خلقوا تحت قبة السماوات.
- إنهم عناصر شفاء.
- إنهم خدمة الشر لا يحلمون كل يوم إلا بالشر وهم دوماً فى المقدمة لارتكاب الجرائم ومنهم السبعة[1].
- الأول مجفف ريح الجنوب.
- التنين ذو الشدق المفتوح.
- الثالث الفهد الشديد كالضاربة التى فقدت صغارها.
- الرابع حية مخيفة...
- الخامس أسد يملؤه الغضب لا يقوى أحد على صده.
- السادس كبش مدرب يهاجم الإله والملك.
- والسابع زويعة ريح رديئة لاتدخر أحداً.
- السبعة كلهم أرسلهم «آنو» الملك.
- وهم الذين أتوا فى الظلام وهاجموا المدن الواحدة تلو الأخرى.
- وهم الزويعة التى تقتصف.
- هم الغمائم المثقلة التى تجلب إلى السماوات الظلمة.

(١) هذه الشياطين تتمثل بالحيوانات التالية: الفهد، والأسد ذو الاذنين الكبيرتين، الذئب، الجمل، الوعل، الطير الجارح (الباز)، الحية وقد أعطى بعض المفسرين اسماء أخرى مثل: الفهد والكلب، الجوارح، والأسد، والحية، الوعل..

● هم عصف الريح والتى تجلب الظلمات فى الأيام النيرة.

● هم الذين يضربون مع الريح الطائشة الريح الرديئة.

● هم طوفان «حدد» وقواه الهائجة.

● هم الذين يسيرون إلى يمين «حدد».

● يلمعون فى أسفل السماء كالبرق من كل جانب.

● ومن أجل اقتراف الجرائم يظلون دوماً فى المقدمة.

● ففى رحاب السماوات حيث «آنو» الملك.

● هم فيه بكل خبث ودون منازع.

● حيث سمع «أنليل» بالخبر.

● أجال الفكر طويلاً فى نفسه.

● وتذاكر مع «إيا» مستشار الآلهة المجيد.

● فوضعا «سن» و«شمش» و«عشتار»[1] كى يحافظوا على النظام فى قبة السموات.

● ومن «آنو» وزع «أنليل» السيادة على مجمل السموات.

● وعهدوا إلى الثلاثة الآلهة أولادهم.

● بالوجود ليل نهار دون انقطاع.

● حين انتشر الآلهة الرديئون.

● فى قبة السماوات.

● راحوا يهاجمون «سن» الإله المنير وحفوا به فى خبث من كل جانب.

● وإلى جانبهم أداروا البطل «شمش» والشجاع «حدد».

(١) يعنى القمر والشمس والزهرة.

- وعندئذ جلب «سن» الذى يحب البشرية الاضطراب إلى البلاد.
- ففشت أنواره وأمسى فى صمت وإحباط.
- إنهم آلهة الشر رسل «آنو».
- إنهم خدام الشر يجوزون كل الأماكن ليلاً.
- يبحثون دوماً وأبداً عن فعل الشر.
- منطلقين كالريح من كبد السماوات نحو البلاد.
- وحين رأى «أنليل» فى السماء ظلمة «سن» البطل.
- ولما كان هو السيد فقد دعا «نوسكو» رسوله:
- «نوسكو» يا رسولى أوصل كلماتى إلى «الأبسو».
- وابنى «إيا» فى الأبسو أيضاً.
- إن «سن» ابنى فى السماء قد أظلم بألم.
- أما «نوسكو» فقد هرع نزول عند كلام سيده.
- إلى «إيا» فى الأبسو.
- وإلى الأمير والمستشار المجيد إلى السيد «نوديمو».
- ردد «نوسكو» الكلمات التى قالها سيده.
- «إيا» وهو فى «الأبسو» وإذ سمع هذه الكلمات.
- عض على شفته وامتلأ فمه أسفاً.
- فدعا ابنه مردوخ وأفهمه الأمر:
- امض يا ولدى مردوخ.
- إن ابنى الأمير الإله المشع «سن» متألم فى السماوات.

● فليعد إلى ظلمات السماوات لمعانها.

● إنهم هم السبعة، الآلهة الشريرة المحرضون على الموت، الذين يجهلون الخوف.

● إنهم الآلهة الشريرة الذين ينطلقون كالطوفان ويجتاحون البلاد.

● إنهم يجتاحون البلاد كالعاصفة.

● مهاجمين «سن» الإله المنير وقد أحاطوا به بخبث من كل جانب.

● ولقد حيدوا البطل «شمس» والشجاع «حدد».

■ ■ ■

ارتوكو الخبثاء فصل ٢

حين أدنو من المريض وحين أدخل بيتـه، وأضع يدى على رأسـه وأفـحص شـرايين جسـده وعضـلاته. وحين أطلق رقـيـة «أريدو» وحين أطلق على المريض الرقية، فليكن إلى جانبى الحارس المحسن. ليكن مدعوما من قبل «نين جيرسو» سيد السلاح الإلهى «ارتوكو» الخبيث، «آنو الايتيموا» الخبيث، «الجانو» الخبيث، الإله الخبيث «الرابيسو» الخبيث إنهم الخبثاء فعليهم ألا يدنوا منى. وألا يعاقبوا بقسوة أمامى، وألا يذهبوا ورائى، ولا يدخلوا بيتى أو يتسلقوا سطحى. فيا من كنت، لتكن بحق السماء مدعواً من الأرض لتكن مدعواً.

إنهم «الرامسيو» الخبثاء الذين خرجوا من العالم الأسفل. إنهم رسل «أنليل» سيد البلاد. إن «انقوكو» خبيث، إنه يقتل البشـر وهم فى صحة جيدة، إن «آلو» خبيث إنه يسربل الجسد «ايتيمـر» خبيث و«غالو» خبيث يقيد الجسد لـ «ماشتو» و«كباسـو» اللذان يجعـلان الجسد ينوء بالألم و«ليلو» الذى يجوب الصحـراء، اقتربوا كلهم من الرجل المضطرب ووضعوا فى جسده «الأساكو» الموجع إنهم فى جسده «كالماميت» الرديئة وخفوا فى جسده القدر السيىء.

والسم الردىء، إنهم فى جـسـده اللعنة الرديئـة، إنهم فى جـسـده الشـر والخطيئة وهم عليه سم وقصاص لقد أوقعوه فى الشقاء.

إنسـان خبيث وعين شـريرة، كـلام بلا أحكام لسـان سيئ، سـحـر وأضـواء سـحرية، رقى ورقى مؤذية توجد فى جسد العليل وتجعله يتوجع كالقارورة، رقى مؤذية تكبل الفم، سحر سيىء يمسك باللسان سيد الشر، إله ردىء يتجه توا نحو هذا الرجل.. أنا هو هذا الرجل «إيا» أنا رجل «دامكينا» أنا رسـول «مـدوخ» ومن أجل شفاء هذا الرجل من مرضه، أرسلنى السيد الكبير «إيا» إنها رقبته المقدسة التى وضعها فى رقبتى وفمه المقدس الذى وضعه فى فمى ورضا به المقدس

الذى مزجه برضابى وصلاته المقدسة التى وضعها مع صلاتى، حتى ما هو فى جسد المريض يمكنه من هدم المعابد. بهذه الرقية التى فاه بها «إيا» فليهلك الخبثاء.

بيدى أمسك بشجرة القرانية، شجرة «آنو» العملاقة ويمشى دائماً ورائى من أجل حياتى وسلامتى «دوب ساج أوفوغ» بطل «كولاب» أنظر إلى جن لطيف يمشى إلى يسارى. إن «نينانا» نساخة العالم الأسفل العظيمة تعيد أمامى قراءة رقية مقدسة، وبواسطة «نينجرسو» ملك السلاح، لتكونوا مطرودين.

■ ■ ■

إن الراقى كاهن «إيا» الأكبر مطهر «أريدو» حين أجتاز عتبة المريض وحين أدخل بيته، يكون «شمش» أمامى و«سن» خلفى ونرجال إلى يمينى و«نينورتا» إلى شمالى، وحين أدنو من المريض وحين أشد يدى إلى رأسه ليكن إلى جانبى جن صالح وحارس صالح.

إن «أوتوكو» خبيث و«آنو» خبيث و«إيتيمو» خبيث و«غالو» إله خبيث. «رابيسو» خبيث وكذلك المرض والموت و«ليلو» و«ليليلتو» و«شاكو» القدر الردىء. و«إيا» كنت، ابتعد من أمامى وأخرج من هذا البيت. فأنا راقى «إيا». أنا الذى يصوب إلى المريض رقية «أريدو» ابتعد من أمامى، لا تقترب فى هذا، ابن إلهه. لا تعد إليه كن بحق السماء مطروداً وكن بحق الأرض مطروداً.

أنا رجل «نانشى»، أنا رجل «نيناكاكودو». أنا طارد الشياطين الذى يشفى البلاد. أنا الراقى الذى يجوب المدينة، أنا طارد الشياطين المغسول فمه. وعندما أمسك «متار» بالمريض الذى وقعت عليه «الأساكو» وعندما أقترب من هذا المريض وأتفحص شرايينه وعضلاته وأفحص جسمه وعندما أجعل المريض يتجرع مياه «إيا» وعندما أخيف المريض وعندما أضع خد المريض وعندما أصرخ بالمريض وعندما أطلق رقية «أريدو» فليقف أمامى جن صالح وحارس صالح.

إن «اوتوكو» خبيث و «آنو» خبيث و«ايقومو» خبيث و«غالو» خبيث إنه إله

خبيث و«لا ماشتو» خبيث و«لاباسو» و«اهازو» و«ليار» و«ليليتو» و«ايكيمتو» و«نمتار» سيئ و«اساكو» سيئ وتدنيس المقدسات والرقى المؤذية والسحر ابتعدوا كلكم عنى وكونوا مطرودين من السماء والأرض.

أنا رجل «إيا» أنا رجل «دمكينا» أنا رسول «مردوخ» وإن سحرى هو سحر «إيا» ورقيتى رقية «مردوخ» وإن علامات إيا هى بين يدى وإن القصب سلاح «آنو» الشديد فى يدى إنى أحمل بيدى غصن النخيل ذا القدرة الفائقة. وعلى الشياطين ألا يقتربوا منى. عليهم ألا يمشوا أمامى وألا يذهبوا خلفى. وإذا وقفت على العتبة فلا تبتعد. وحيث أكون لا تكن وحيث اجلس لا تجلس وحيث أذهب لا تذهب. وحيث ادخل لا تدخل كن بحق السماء مطروداً وكن بحق الأرض مطروداً.

إن من يهدئ كل شىء ومن برقيته يهدئ كل شىء إنه السيد الكبير «إيا» من يهدئ كل شىء ومن برقيته الصافية يهدئ كل شىء. إنه هو وإذا اقترب من المريض فإنه يهدئ كل شىء. أنا الراقى الذى ولد فى «أريدو» ومن «أريدو» و«شوبار» تكاثر. وحين أدنو من الريض فليحضرنى «إيا» ملك الجحيم الإلهى. وليكن دوماً أمامى. ولتشف المريض «نيناهاكورا» أخت «آنو» و«ناشى»، سيدة الوعاء المقدس ذى المياه المطهرة وليشفه «مردوخ» ابن «أريدو».

«إيا» يا ملك الجحيم الإلهى... أنا طارد الأرواح الشريرة أنا خادمك: أمش إلى يمينى واسندنى إلى اليسار وضع رقيتك المقدسة فى رقيتى. وفمك المقدس فى فمى واجعل كلامى الطاهر صالحاً. اجعل كل ما يفوه به يتحقق وأمر كى تبقى الطقوس التى أقوم بها طاهرة. وهل فى مقدورى أن أكون حيثما ذهبت سليماً ومعافى. وسليماً معافى يكون الرجل الذى ألمسه. وليقولوا أمامى كلام فأل وليشيروا خلفى ببنان الفأل. كن جنى العطوف. كن حارسى العطوف. إيه «مردوخ» أيها الإله المخلص ليكن حيث أكون طريق الخلاص. وهل فى ميسور البشر عندئذ الإشادة بعظمتك ويسبح هذا الرجل بحمدك، كما يسبح الراقى خادمك بحمدك.

اوتوكو الخبثاء الفصل ٨

مهما كنت خبيثاً، ومهما كنت خبيثاً فلتكن «آلو» الخبيث ولتكن «آلو» الخبيث الذى كجدار يترجح ويهوى فوق الإنسان. ولتكن «آلو» الخبيث الذى يعقد اللسان ويكبل الذراعين والفخذين. لتكن «آلو» الخبيث فاقد الفم. لتكن «آلو» الخبيث فاقد الأعضاء لتكن «آلو» الخبيث الذى لا يرى نفسه حتى فى ضوء الشمس لتكن «آلو» الخبيث الذى يمتلك فى رقاده ليلاً الإنسان النائم. لتكن «آلو» الخبيث سالب النوم الموجود هنا ليأخذ هذا الإنسان. لتكن «آلو» الخبيث الألوهة التى تطرف فى الليل ويداها مدنستان، والتى لا تعى الخوف لتكن «آلو» الخبيث الذى يرقد فوق الإنسان وينهق كالحمار. لتكن «آلو» الخبث الذى لا يعرف الأضاحى ولا تقدم له تقدمات الطحين. لتكن «آلو» الخبيث الذى يطير ليلاً كالوطواط الخارج من وكره. لتكن «آلو» الخبيث الذى كطائر الليل يطير من هنا إلى هناك فى الأماكن المظلمة. لتكن «آلو» الخبيث الشبيه بمن يغطى الإنسان بالشباك. لتكن «آنو» الخبيث الشبيه بالشبكة التى تطرح الإنسان أرضاً. لتكن «آلو» الخبيث الشبيه بالليل الذى لا يرى فيه شىء لتكن «آلو» الخبيث كالثعلب يتجول ليلاً فى هدوء فى مدينة مهجورة.

إنى أنا طارد الشياطين، أنا الكاهن الأكبر الذى يقيم طقوس «أريدو» بكل طهارة أنا الرسول الذى يسير أمام «إيا» أنا رسول مردوخ سيد الراقين وابن «إيا» البكر. أنا الرسول. أنا رجل «أريدو» طارد الشياطين، الذى رُقاه تامة. فيا «آلو» الخبيث إنى أتيت من أجل استئصالك ومن أجل تحويل صدرك أنت. ويا ساكن الأماكن المقفرة، عد إلى أماكنك القفراء. إن «إيا» السيد العظيم هو الذى أرسلنى إلى هنا ووضع الفضيلة فى فمى. لقد سلمنى مباخر الطقوس السبعة المقدسة. إنى أمسك فى يدى اليمنى بالغراب طائر طيور الآلهة. لقد أرسل إلى

العتاب الطائر النبيل الذى أمسكه بيده اليسرى ضد المقاصد الشريرة. وضدك تحصنت بالرداء الأحمر الذى يثير الرعب. وعلى إطار الباب علقت فأر السم وعلى مفاصل الباب فرعاً من شجر «الكابريه» الوحيد. وبسوط ضربت جسده كما يضرب الحمار الهارب. انتزع نفسك يا «أوتوكو» الخبيث، امض يا «آلو» الخبيث امض يا «آلو» الخبيث من جسد هذا الإنسان ابن إلهه. وفى معبد «إيا» لا تتشبث بالبقاء ولا تحاول أن تعود إليه. ولا تحاول فى زوايا البيت البقاء ولا تحاول البقاء والعودة إليه. ولا تقل: سأبقى فى هذا البيت، ولا تقل سأظل قابعاً فى الزوايا.

«اوتوكو» الخبيث، اذهب بعيداً. اذهب يا «آلو» الخبيث إلى الأماكن المقفرة. إن مسكنك فى هذه الأماكن، ومقامك فى البيت المهدم المهجور. ابتعد من أمامى وكن بحق السماء مطروداً وبحق الأرض مطروداً.

■■■

أساطير الخلق السومرية

- بداية الخلق:

تقول الأسطورة إن كل شيء في «نمو» Nammu، ونمو هي الإلهة السومرية الأم الأولى، والمعنى الحرفي لاسمها «ماء الأم»، وهذا تشبيه صريح لولادة الكون بالولادة البشرية. واسمها يشير إلى المياه الأزلية- مثل «نون» عند الفراعنة- التي ظهر منها الكون والآلهة.

كانت «نمو» ساكنة، لكنها تحركت، وبدافع الحركة والسكون كان ظهور السماء والأرض، وكانا في حالة التصاق وعناق. والسماء في الأساطير السومرية ذكر يمثله الإله «آن» (An)، وقد تزوج إلهة الأرض «كي» KI، وسكبت الأمطار من السماء على الأرض- وكأنها المني، فالمطر هنا يأخذ مدلولا جنسيا- فينتج عن ذلك ظهور النباتات، ويسيل الخمر والعسل، وولد لهما الإله «إنليل» Enlil إله الهواء، وكلمة إنليل مكونة من مقطعين (إن) التي تعني السيد و «ليل» التي تعني الهواء أو الريح ويلقب بجبل الريح. بعد أن كبر إنليل فصل بين أمه وأبيه، وفرفع أباه السماء «آن» إلى أعلى، ويسط أمه الأرض «كي».

بعد ذلك جلس (آن) على عرش السماء ، وترأس مجلس «الأنوناكي» An-unaki، وهو مصطلح سومري يشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض، ومعناه الحرفي باللغة السومرية «أرض بذور الحياة الأميرية»، وكان السومريون يعتقدون أن هذا المجلس أو هذه الهيئة عبارة عن طائفة من الكائنات الحية، لهم هيئة كهيئة الإنسان إلا أنهم يفوقونه ولا ينال منهم الموت، وهم يديرون دفة العالم ويتحكمون به وفقا لخطط رسمت بعناية، ونواميس قدرت حسب الأصول، فهناك آلهة موكول إليهم أمر السماوات والأرض والهواء والبحار، وآلهة موكول إليهم أمر

الشمس والقمر والكواكب...الخ، وكان أكبر الآلهة الذين يتحكمون بالعناصر الأربعة الرئيسية التى يتألف منها الكون: السماء والأرض والهواء والبحر، ويمثلهم الآلهة: آن، كى، إنليل، إنكى. وكانت وسيلة الخلق عندهم تقوم على استخدام الكلمة الإلهية، فكان كل ما على الإله الخالق- حسب معتقدهم- هو أنم يرسم الخطط ويتفوه بالكلمة وينطق الاسم.

- خلق الإنسان:

تقول الأسطورة إن الآلهة بدأت تشعر بالتعب، فقد وجدوا أنهم تحولوا إلى عبيد الأرض التى صنعوها، وأن الحمل قد صار ثقيلاً، فاجتمعوا وقرروا أن يذهبوا إلى «إنكى» إله الماء والحكمة، ليشتكوا له وليخلق لهم خدما يقومون مقامهم فى حرث وسقى الأرض ورعى الماشية.

كان إنكى مضطجعا بعيداً فى (الأبسو)، وكان نائما قرب (نمو) سيدة المياه الأزلية- وهى هنا كأم للإله إنكى - فاشتكوا إليها، فوضعت على راحة يديها دموع الآلهة وذهبت إلى إنكى وقالت له: «انهض يا بنى من فراشك... من مضجعك واصنع كل ما هو حكيم. اخلق خدما للآلهة يحملون عنهم عناء العيش وقوة الحياة».

وبعد أن فكر «إنكى» قرر القيام بخلق كائن لا إلهى يقوم مقام الخادم للآلهة، ثم أخذ يعلم «نمو» كيفية خلق هذا الكائن: «امزجى الصلصال. لب الطين الموجود فى مياه «الأبسو» العميقة التى أقيم فيها وسأدعو الصناع الإلهيين المهرة ليكشفوا الطين ويعجنوه. أما أنت فعليك أن توجدى له الأعضاء وستعمل الإلهة ننمناخ (ننخرساج) معك يدا بيد وستقف ربات الولادة الثمانية إلى جانبك لكى يتكون ويولد من الطين، قدرى مصيره يا أماه وستطبع عليه (ننماخ) صورة الآلهة. يكون شبيها بنا فى خلقه لكى يكون قريبا منا فى العمل والراحة ولكى لا يشعر بأنه غريب تماما عنا وسيكون هذا المخلوق هو: الإنسان».

تفتخر الإلهة «ننماخ» أمام الآلهة بأنها هى التى ستخلق الإنسان، وهى التى ستحدد الطيب من نصيبه أو السوء، فيقول لها إنكى «سواء جعلت نصيبه الطيب أو السوء فإننى سأوازنه، وليشاهد الآلهة خلقك وخلقى وليحكموا بعد ذلك على ما نصنعه».

أخذت ننماخ حفنة من الصلصال الموجود فوق «الأبسو» وصنعت ستة أشخاص، الأول غريب، والثانى فيه عاهة، والثالث لا يستطيع إيقاف بوله، والرابع امرأة مشوهة، والخامس امرأة عاقر، والسادس الرجل الخصى. فأراد إنكى أن يختبر ما صنعته نمتاح، فقدم لهم الطعام، فتناولت المرأة العاقر طعامها وكذلك فعل الرجل الخصى، فقرر إنكى أن يحدد لهما مصيرهما فقال «المرأة العاقر تكون وصيفة للملكة فى دار النساء، والرجل الخصى يكون فى خدمة الملك».

ويجىء الدور على إنكى لكى يقوم هو بعملية الخلق، فصنع إنساناً بائسا أطلق عليه اسم «أومول» وهو الشيخ الطاعن فى السن والذى عيناه ذابلتان وحياته فانية.. وكبده وقلبه ويداه ترتجفان وقدم إنكى مخلوقة إلى ننماخ، فتحاول الأخيرة إطعام هذا الإنسان ولكن لم يقو حتى أن يمد له يداه، فتهرت ننماخ إنكى لأنه خلق بائسا، فجلب البؤس إلى العالم، وخلق مريضا فجلب المرض- الذى سيلازم الشيوخ - إلى العالم، وتتدخل الآلهة لفض الاشتباك بين إنكى وننماخ، وقاموا جميعا بخلق الإنسان الصحيح من طين المياه العميقة، وبثوا فيه الروح، وخلقوا ذكرا وأنثى حتى يتكاثر من تلقاء نفسه فلا تتعب الآلهة من تكرار الخلق، فولد الذكر والأنثى أبناء كثيرين، وتكاثر هؤلاء بدورهم، وخدموا الآلهة، وكان الإنسان الضعيف يخدم الآلهة ويخدم الأقوياء من البشر، فزادت الشرور فى الأرض وكثر الظلم.

وردت فى بعض النصوص السومرية إشارات تجعل من الإنسان إلها، ولكنه إله ضعيف أو مآله إلى الموت والفناء وقد سمى «لولو» الذى يعنى الإنسان

البعيد، وكذلك وردت إشارات توحى أن هذا الكائن هو بمثابة ابن الإله «إنكى»، ومن هذا المنطق أثير الاعتقاد أن فكرة الأب الإلهى أنطلقت من هذه الإشارة، حيث يظهر الإنسان وكأنه ابن الله، وهو ما ظهر فى العقيدة المسيحية.

ولمحت بعض النصوص الأسطورية الخاصة بخلق الإنسان فى الدين السومرى إلى خلق الإنسان بطريقة تشبه زرع البذور فى الأرض، وظهور البشر على الأرض نتيجة لهذا الزرع، وكان الإله إنليل هو الذى يقوم بهذا العمل، وذكرت أسطورة أخرى أن الإنسان كان حيوانا يمشى على أربعة ويشرب ويأكل كالخراف ولا يلبس الملابس.

- مأساة الإنسان الصابر (أيوب السومرى):

وهذه القصة مثال على القيم الروحية فى الأدب السومرى، وهى عبارة عن قصيدة لحكيم سومرى تنم عن ألم نفسى قاس، وصبر إنسانى، وهى تتشابه فى كثير من جوانبها مع قصة أيوب النبى، وصبره على ما انتابه من الآلام. وهى تروى قصة رجل كان غنيا وحكيما وصالحا، ابتلى بالمصائب والآلام فاجتازها بصبر وثبات، وسكب قلبه ودموعه أمام إلهه متذللا طالبا إليه. إنقاذه من ضيقه وتعاسته، فرق له الإله وحول شقاءه إلى سعادة، وبدل ترحه إلى فرح.

فى البداية يعلن الحكيم عن وجوب تعظيم الإله، واللجوء إليه فيقول:

لينشد الإنسان بحمد ربه، بعظمة إلهه.

ليسبح الشاب بحمد ربه بكلمات صادقة.

كيف يئن من يعيش فى بلاد عادلة؟

ثم يشكى الحكيم مرارة ما يعانيه للإله فيقول:

أنا الرجل، أنا الحكيم، إن من يذكرنى باحترام لن يفلح.

إن كلمتى الصادقة أصبحت كذبا.

إنك غمرتنى بآلام تتجدد كل يوم.

وصديقى لم يقل عنى كلمة صدق.

إن صديقى كذب كلمتى الصادقة.

الأفاك تآمر ضدى.

وأنت يا إلهى لم تمنعه.

أنا.. أنا الحكيم.. لماذا أكون مرتبطا بشباب جهال؟

أنا.. أنا الفطين.. لماذا أحصى بين الجهال؟

وطعامى.. إن طعامى انقلب إلى جوع.

وفى يوم التوزيع.. وزعت الأنصبة للجميع وكان نصيبى الألم.

ثم يتذلل إلى إلهه حتى يفرج عنه الكرب.

يا إلهى، إنى واقف.

هل أخاطبك؟ إن كلامى لأنين.

إنى أخبرك عنه، هل تثير فى طريقى مرارة الأنين.

هل ينقلب النشيد إلى عويل؟

يا إلهى.. إن النهار يسطع بأضوائه على الغبراء، أما أنا فنهارى ظلام.

إن النهار يسطع، إن النهار الجميل يتألق كالشعاع.

وأما أنا، فدموع وعويل وأنين وشكوى.

الآلام تغمرنى، كأنى لم أخلق إلا للدموع.

إن الشؤم، طوقنى بذراعيه وأطبق على أنفاسى.

الأوجاع والأمراض قد أنضت جسدى.

يا إلهى.. أنت أبى الذى ولدتنى.. ارفع رأسى.

إلى متى تهملنى؟ دعنى بدون حمى.

وأخيرا يستجيب الإله لدعاء الحكيم وتذلله:

إن الرجل.. سمع إلهه إلى دموعه وبكائه المر.

إن ذلك الفتى.. وصل أنينه وعويله إلى قلب إلهه.

وقبل الإله الكلمات الصادقة الطاهرة التى قدمها الفتى.

إن الكلمات التى رفعها الفتى صلاة، سرت إلهه وهزت مشاعره.

فسحب إلهه كلمة الشر عنه.

القلب الذى سلمه للعذاب عادة فعانقه.

ودفع آلامه وأوجاعه وأسقامه بعيدا عنه بعد أن تعالت.

الأوجاع التى ابتلاه بها أبعدها عنه.

وأبدل حظه العاثر الذى كان قد نطق به عليه.

إنه أبدل آلام الرجل بسرور.

وأرسل إليه يد العطف وأرواحاً صالحة لتقوده.

وحباه روحا صديقة لتسير معه.

لذلك عاد الرجل يشيد بعظمة إلهه.

ويرى الكثير من الباحثين - وبحق - أنه بمقابلة أبيات هذه القصيدة بما ورد فى سفر أيوب، وبعض ما جاء بسفر المزامير، لوجدنا تشابها قويا ومطابقة واضحة للعيان.

- خلق أشنان ولاحار:

أشنان هى إلهة الحبوب، وهى تشبه إلى حد ما الإلهة الرومانية «سيرز» إلهة الحبوب والزراعة، وهى تقابل كذلك الإلهة «دميتر» إلهة الحبوب والحصاد

عند الإغريق وكانت عبادتها مرتبطة - فى سومر - بعبادة إلهة الأرض. أما «لاحار» فهى إلهة الماشية والحظائر والغنم، وهما شقيقتان خلقهما الإلهان «إنليل» و«إنكى».

وتصف الأسطورة حال العالم قبل خلق هاتين الإلهتين الشقيقتين. فتقول:

لم يكن هناك نعجة، ولا قذف بحمل.

لم يكن هناك عنزة، ولا قذف بجدى.

النعجة لم تلد حملين.

العنزة لم تلد أجداءها الثلاثة.

حبة الشش ذات الثلاثين يوما لم تكن وجدت.

حبة الشش ذات الأربعين يوما لم تكن وجدت.

الحبة الصغيرة، حبل الجبل، حبة المخلوقات الطاهرة لم تكن وجدت.

لم يعرف الأنوناكى أكل الخبز.

ولم يعرفوا لباس الحلل.

كانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأغنام.

ويشربون الماء من الجداول.

وفى تلك الأيام فى حجرة الخلق الخاصة بالآلهة.

وفى بيتهم المسمى دوكو خلق لاحار وأشنان.

وما أنتجه لاحار وأشنان أكله الأنوناكى ولكنهم لم يشبعوا.

ومن حظائر هما شرب الأنوناكى لبن «شم» الطيب.

شرب الأنوناكى، ولكنهم لم يرتووا.

فمن أجل حظائرهما الطيبة الطاهرة.

أعطى الإنسان نفس الحياة.

فإن الآلهة قد شعروا بالتعب، لذا قرروا خلق الإنسان ليعمل بدلا منهم ويوفر لهم الزاد، لذا كان من الضرورى - والحال كذلك - أن تنزل الإلهتين إلى الأرض. تقول الأسطورة:

فى تلك الأزمان قال الإله إنكى للإله إنليل.

يا أبت إنليل إنه لاحار وأشنان.

اللتين خلقناهما فى بيت الآلهة (الدوكو).

دعنا ننزلهما من بيت الآلهة.

وبكلمة إنكى وإنليل المقدسة.

هبط لاحار وأشنان من بيت الآلهة «الدوكو).

لقد أنشأ (إنليل وإنكى) للإلهة لاحار الحظيرة.

وجعلا لها النباتات والأعشاب الوفيرة.

أما أشنان فقد أقاما لها بيتا.

وقدما المحراث والنير هدية لها.

لاحار واقفة فى حظيرتها.

راعية تزيد نتاج حظيرتها هى.

أشنان واقفة بين المحاصيل.

عذراء لطيفة وجميلة هى.

ثم تعمل الإلهتان على نشر الخير والرخاء بين البشر حتي أنعم فيهما كل بيت، تقول الأسطورة:

الرزق الذى يأتى من السماء.

لاحار وأشنان كانتا من ورائه.

إلى المجتمع جلبتا رزقا.

وإلى البلاد جلبتا نسمة الحياة.

ناموس الآلهة توجهان.

ما ضمت المخازن تكثران.

المخازن تملآنها إلى التمام.

إلى بيت الفقراء الذى يعانقه الغبار.

تدخلان وتجلبان الرزق.

كلتاهما، حيثما وقفتا.

جلبتا زيادة غزيرة إلى البيت.

المكان الذى فيه تقفان تشبعان، والمكان الذى فيه تجلسان تمونان.

تدخلان السرور على قلب آن وإنليل.

كانت الإلهتان تشربان الكثير من الخمر، وكثيرا ما كانتا تتشاحنان، فكل منهما تحاول أن تثبت للأخرى أنها الأفضل، وأنها الأجدى، فتقول لاحار أنها التى تطعم الآلهة اللبن والزبدة، وأن غلة أشنان تنمو فى الأرض بدون جهد، فترد أشنان أنها هى التى تزرع وتسقى وتحصد الطعام للآلهة، وأنها لولا غلتها ما أنتجت لاحار، وهنا تحكم بينهما الآلهة، فتعطى الحق لأشنان لأنها الأسبق فى العمل من لاحار، فتقنع لاحار بحكم الآلهة وتمضى الحياة متدفقة خصبة.

خلق إيمش وإنتن:

بعد أن قرر الإله «إنليل» أن تثمر جميع أنواع الشجر وأن يهب البلاد رزقاً ورخاء عمد إلى خلق أخوين هما «إيمش» وهو الصيف، و«إنتن» وهو الشتاء، وقرر أن يعهد إلى كل منهما مهمته الخاصة به، تقول نصوص الأسطورة:

إنتن جعل النعجة تلد الحمل، والعنزة تلد الجدى.

جعل البقرة والعجل يتكاثران، والقشدة واللبن يزيدان.

فى القفار أدخل السرور على قلب الماعز البرى والغنم والحمار البرى.

طيور السماء جعلها تبنى أعشاشها على الأرض الرحيبة.

سمك البحر جعله يضع بيضه فى دغل القصب.

فى غياض النخيل والكرمة جعل العسل والنبيذ وفيرين.

الأشجار، حيثما زرعت، جعلها تحمل ثمارا.

البساتين كساها بالأخضر، أخصب نباتاتها.

جعل الحب يتكاثر فى الأخاديد.

مثل أشنان العذراء اللطيفة، جعل يطلع قويا.

إيمش أيضاً قام بمهمته خير قيام.

إيمش أوجد الأشجار والحقول، وسع الاصطبلات والحظائر.

المزارع كثر غلاتها، كسا أرضها.

جعل المحصول الوفير يدخل البيوت، وملأ العنابر إلى تمامها.

جعل المدائن والمساكن تشيد، والبيوت تبنى فى البلاد.

والمعابد تطاول الجبل.

يستنتج من النص السابق أن الأخوين «إنتن» و«إيمش» استطاعا فعلا أن ينجزا مهمتهما من أجل مد الأرض بأسباب الإنماء والرخاء والخير، لذا قررا الذهاب إلى «نفر»، حيث مقام الإله إنليل لتقديم وافر الشكر والثناء وتقديم القرابين، نقد قام إيمش بجلب أنواع عديدة من الحيوانات، وأصناف من الطيور والنباتات كهدية ونذور، بينما قدم «إنتن» نماذج مختارة من المعادن الثمينة

والأحجار والأشجار والأسماك كقربان منه إلى الإله إنليل.

وقبل أن يصلا إلى إنليل اشتد الجدل بينهما، فكل منهم يريد أن يبرهن أنه الأفضل، وأن هداياه أفضل من الآخر، وعندما يدخلا على إنليل يبدأ إنتن بالشكوى فيقول:

يا أبتى إنليل قد عهدت إلى بشئون القنوات.

فجلبت مياه الخير.

وملأت صوامع الحبوب.

وأكثرت الغلة فى المزارع.

ومثل أشنان العذراء الرحيمة. جعلتها تنمو بغزارة.

لكن إيمش الذى لا يفهم شيئاً فى زراعة الحقول.

قد زاحمنى بالمرفق والمنكب وفى قصر الملك.

ويقول إيمش رداً على ما قاله إنتن:

أى إنليل المعظم.

إننى عبدك وصنيعك.

وأنا الموكل على أشجارك وحقولك واصطبلاتك.

ولكن إنتن أنكر على ما فعلت.

ويصدر إنليل حكمه فيقول:

يسيطر الشتاء «إنتن» على المياه التى تجلب الحياة على الأرض، وهو فلاح الآلهة الذى يكدس الغلال، إيمش يا بنى كيف تقارن نفسك بأخيك إنتن.

وفى هذا تفضيل لفصل الشتاء على فصل الصيف، وهذا يرجع إلى المناخ الزراعى فى سومر، حيث كان فصل الشتاء هو فصل الزراعة الأساسى، وكان

ينتهى هذا الفصل مع مقدم الربيع الذى يعتبر فصل الحصاد ويحتفل به فى احتفالات واسعة كرأس سنة جديدة.

وتقول الأسطورة فى نهايتها «إن كلمات إنليل السامية العميقة تنفذ إلى قرار كل شىء. حينما ركع إيمش أمام إنتن وجاء إلى بيته بالنبيذ والعنب والتمر. ومثلما نصر الإلهة «أشنان» نصروا إنتن لجهده العظيم فى زراعة الأرض. وهكذا قدم إيمش لإنتن الذهب والفضة وحجر اللازورد وفى نشوة الأخوة الصادقة سكبا الخمرة بكل سرور تمجيداً للإله وعقدا العزم على خدمته».

■ ■ ■

أسطورة الخلق البابلية

كانت الآلهة هى الشرطة الخفية للدولة البابلية التى عاشت منذ خمسة آلاف سنه على شواطئ دجلة والفرات، والتى سارت حضارتها جنباً إلى جنب مع حضارة الفراعنة، غير أن آلهة بابل كانوا عدداً من آلهة مصر، حتى لقد بلغ عددها فى إحصاء رسمى (٦٥٠٠٠) إله، إذ كان لكل قرية إله يحميها.

ولم يك الآلهة يعيشون بعيداً عن الأهلين، فقد كان معظمهم يعيشون على الأرض فى الهياكل، يأكلون الطعام بشهية قوية، ويزورون الصالحات من النساء فى أثناء الليل، فيستولدونهن أطفالاً لم يكن أهل بابل العاملون المجدون يتوقعون أن يولدوا أبداً.

غير أن الناس مع كل ذلك كانوا يؤمنون بإله أكبر، هو أعظم الآلهة جعلوا اسمه ذات يوم «نو» ثم انتصر الإله «مردك» على كل الآلهة. وصار هو كبيرهم، وعلى يديه خلقت البشرية، وجرى الطوفان! لم يكن هناك سوى «أبسو» الفضاء المظلم، و«تيامات» المياه التى لاتحد، لا سماء ولا أرض، لا آلهة ولا بشر، لا شىء من ذلك أبداً سوى الفضاء المحيط، أبى كل شىء، والمياه الممتدة إلى ما لا نهاية، بكل ما فيها من اضطراب وفوضى، تضرب كلها الأطناب، وتخرج - من بعد - كل شىء حى!

ولم تكن المياه قد تشكلت بعد فى محيطات وبحار، أو بحيرات وأنها. بل كانت كلها شيئاً واحداً، واسعاً إلى غير حدود، عميقاً إلى اللانهاية.

أما المستقبل، فما كان يبدو منه شىء - قط - لا شىء سوى ظلمة أخرى حالكة، أشد سواداً من أعماق الليل نفسه!.

وتعاقبت الأزمان، حتى جاء زمن اختلط فيه الماء بالفضاء، ومن اختلاطهما

خرجت أشياء أخذت تنمو وتتخذ لها أشكالاً عديدة غريبة، ثم ظلت ترتفع حتى استقرت فى أعلى، وكان منها كل آلهة النور، وأطلت «تيامات» إلى المخلوقات الجديدة، وملأها الفزع، فما كانوا - قط - من طينتها، ولا شكلوا أبداً بأشكالها، فهى لم تكن تعرف فى حياتها سوى الظلام والفوضى والاضطراب. أما الذين يعيشون فى أعلى، فلا يريدون غير النور والنظام والاستقرار، وكان هذا كله عكس ما تريد، بل كان هذا كله أول أسباب الحقد والغضب والثورة على آلهة النور.

وقررت «تيامات» أن تتخلص من المخلوقات الجديدة، وأن تشن عليها حرباً لا هوادة فيها - قط - وظلت تيامات تعمل بلا انقطاع، فمن جوفها جاءت الوحوش المخيفة المفترسة، وانطلقت الثعابين المهولة ذات السم. وعلى سطح الماء برزت رءوس التنانين، بشعة تثير الرعب، وخرجت الكلاب مفترسة لا مثيل لوحشيتها، والعقارب مخيفة سوداء كالمردة. ومن كل مكان انطلقت حيوانات أخرى كسيول شريرة مجنونة، تتحرك تحت إمرة الوحش «كنجو» العملاق، الذى وعدته تيامات بالزواج وإعطائه ملك كل شىء، إذا تغلب على آلهة النورو وسحقهم بذراعه القوى الجبار.

وفوجئ الآلهة بعدوان تيامات، وكان أول من عرف نواياها هو الإله «آى» الذى ساق الخبر إلى الإله «أنصار»، وعجب هذا لموقف تيامات، وامتلأ قلبه حنقاً وسخطا، يختلط بالخوف والرعدة مما قد يحل بمجتمع الآلهة، وانطلق «أنصار» إلى الإله «أونو» فكلفه الذهاب إلى تيامات يسألها عن سر تحديثها للآلهة! وانطلق أونو إلى مملكة تيامات، غير أنه ما كاد يقترب، حتى نهض له «كنجو» - الوحش المارد المستلقى إلى جوار تيامات - وهاجمه فى شدة وعنف وجنون، وتوقف أونو، ثم حرك قدميه إلى الخلف، ثم أدار ظهره، ثم ولى الأدبار هارباً يجرى من مواجهة الحيوان الصاخب المهول! وتوالت مواكبة الآلهة واحداً فى إثر آخر، لمقابلة تيامات ولكن أحداً منهم لم يستطع الوصول إليها أو مناقشتها، ولا عرف أحد منهم كيف يبحث معها سر ذلك الغضب العنيف.

وجلس الجميع ذات يوم يبحثون الأمر، وكان بينهم الإله «مردك» الذى لم

يكن قد جرب حظه مع تيامات من قبل، ومن خلال الفشل الذى منى به الجميع، أطلوا إلى «مردك» وطلبوا منه أن ينازل الإلهة المتوحشة، وبغير ما خوف، انحنى لهم مردك، وقد قبل النزال بشرط أن يقر له الجميع متى انتصر بأنه هو الأقوى، ولا أحد أقوى منه، ولم يكن أمام آلهة النورْ بد من القبول، ومنح مردك السلطة السماوية الكاملة ليكون له حكم الكون كله! أراد مردك. قبل أن يمضى لمصارعة تيامات. أن يجرب ما لديه من فنون القوة، وأتى الإله برداء طويل ألقاه أمام كل الآلهة، وتلا بضعة تراتيل لم يكن ينهيها حتى اختفى الثوب وتلاشى، وأخذ بالآلهة العجب وطلبوا منه أن يعيد الرداء كما كان.

وعاد مردك يتلو تراتيله فإذا الرداء يعود، ويمتد فى نفس المكان الذى كان قد تلاشى فيه.

واقتنع مردك بأن أحداً من الآلهة لم يعد له مثل نفوذه وسلطانه؛ فقرر البدء فى رحلة الانتقام، وانتفض مردك وهو ينهض ليبدأ الصراع الجبار، فبدا رائعاً وهو يتحرك، ومن أمامه تبرق البروق، ومن فوقه ترعد الرعود، والقوس الضخم فوق ظهره، والرمح الثقيل فى يده، والشبكة الهائلة التى قرر أن يصطاد بها الوحش «كنجو» الرهيب يجرجرها خلفه.

لقد كان الإله المنتقم قد أعد عدته للكفاح، ولم يعد هناك سوى أن يلتقى بروح الشر فى جسد تيامات! واستمر الإله مردك يقود مركبة القدر ليصل إلى حيث تجرى المعركة، وعندما وجد أنه قد اقترب من المكان، نطق كلمة واحدة، فإذا ريح مروعة تجرى أمامه، وإذا الريح تتحول فتصير عواصف وزوابع وأعاصير، تتجمع كلها لتكون سلاحاً فى يد مردك، سلاحاً أقوى من أى سلاح يمكن أن يحمله إله، وأطلت الحيوانات المهولة فإذا كان شىء قد انقلب، وإذا نور يشع من خوذته يخطف الأبصار، فهرعت تختفى فى أعماق الظلمة، وأفواهها من الخوف ترسل الزبد! واستمر مردك، مصحوباً بكل دعوات آلهة السماء، فى طريقه المرسوم. وبلغ مملكة تيامات، وأطل فإذا وحش مهول فى شكل تنين مخيف، يحاول النهوض من استلقاءته، ومن عينيه ينطلق بريق مخيف، ومن

منخاريه يندلع لظى اللهب، وفتح التنين فمه فإذا به كجهنم، النار تغلى فيه والأصوات المرعبة ترعد وتدوى. ولا تسكت أبداً.

وتوقف مردك فى مكانه، وزعق يخاطب تيامات من بعيد، ويطلب منها أن تجنح إلى السلم، وتبعد عن رأسها فكرة العدوان. وقهقهت تيامات، وهى تهتز، ثم سلطت فى سرعة على عدوها أقوى ما عرفته من تعاويذ السحر، وأشدها أثرا، ولكن مردك كان قد أعد العدة لإبعاد السحر عنه، وفى لحظة، رفع شبكته الهائلة وألقى بها فى قوة إلى حيث وقفت تيامات. واندفعت الإلهة المهولة إلى الخلف، ولكن الشبكة أمسكتها. وجذبها الإله إليه ثم أطلق على فمها ريحاً صرصراً عاتية، ودخلت الزوبعة عنيفة بين فكى تيامات، واخترقت الحلقوم؛ لتدخل فى بطنها الئ يظل ينتفخ وينتفخ، وعندما بلغ آخر درجات الانتفاخ، رفع مردك رمحه الضخم وطعن البطن المنتفخ، فانفجر فى صوت صاخب كالرعد، وسقطت تيامات ميتة! عندما انتهى مردك من قتل تيامات، وقف فوق جسدها، ثم قطع قلبها الشرير فألقى به فى الفضاء الأسود، ثم تحول إلى التنين الهائل فقضى عليه.

أما وحوشها الأخرى، وترابعها السود، فقد أخذوا يصرخون وهم يحاولون الفرار، ولكنه لم يمهلهم بل أخذ يلقى عليهم شبكة تصطادهم واحداً فى إثر آخر، ووقعوا كلهم فى الأسر.

وانحنى مردك على جثة التنين فأخذ منها حبوب القضاء والقدر التى أعطتها له تيامات المذبوحة، تلك الحبوب التى تمنح النفوذ والسلطان لكل من يحملها على المصائر والأقدار.

وحملت رياح الجنوب دماء تيامات إلى أماكن سرية مجهولة، حين كان مردك قد انحنى من جديد على جثتها، وشقها جزءين مستطيلين: رفع أحدهما ليكون السموات، وخفض الآخر ليكون الأرض!

وعندما انتهى مردك من رفع السماء، نثر على صفحتها الكواكب لتضىء،

ولتجرى في طريق منتظم مرسوم؛ وعندما أضاء مردك السماء، جعلها مكانا لإقامة الآلهة «أونو، وبعل، وآى» أما الآلهة الآخرون فقد قسم عليهم الكواكب، ليكون كل كوكب بيتاً وأقام شمس نيشتين مذبحاً وقدم عليه قرابين الشكر وانطلق دخان البخور فارتفع إلى حيث يجلسَ الآلهة. ثم قسم السنة وجعل لكل شهر ثلاثة كواكب، كما جعل لإله القمر حكم الليل وإضاءته. ومنحه كل شهر يوماً يستريح فيه.

أما الشبكة الهائلة التى صحبته فى معركته مع تيامات، فقد جعل لها كوكباً ومعها القوس.

وأما الرياح التى ساعدته فى القضاء عليها، فقد جعل لكل منها كوكباً جديداً.

وإذ انتهى مردك من إقرار كل إله فوق كوكبه، وضع نفسه هو الآخر فى كوكب كان أكبر من كل الكواكب الأخرى وأضخم، وجعله المصدر الرئيسى للنور فى صفحة السماء، غير أن مردك لم ينس الأرض عندما كان يرفع صفحة السماء، فقد كانت الأرض التى وضعها فى حاجة هى الأخرى إلى معجزة.

وأطل مردك وهو يفكر: لقد كانت الآلهة فى حاجة إلى من يصلى لها ويعبدها، إذن فلتكن المعجزة هى خلق الإنسان.

وانحنى مردك على الأرض، وشرع يعجن التراب بدمائه، ويصنع من الطين ناسا تقوم على خدمة الآلهة، والصلاة لهم وعبادتهم. وهكذا خلقت البشرية! عمرت الأرض بالمخلوقات الجديدة، وطفق البشر يتزاوجون ويتناسلون، ويقيمون الصلاة للآلهة التى خلقتهم وسوت لهم الأرض وقدمت لهم النور من السماء.

ولكن الأمر لم يكن ليستمر طويلا على منوال واحد؛ فإذا القوم كلما ازداد عددهم كلما تنافروا وتنازعوا، وإذا الصلوات تقل والعبادة تنهار، والشر يدخل كل يوم من حيث خرج الخير، وأصبح الخلق غير الخلق، والناس غير الناس، وظهرت على الأرض سلسلتان من البشر تسيران فى خطين متوازيين: إحداهما: لا تزال

متصلة بالآلهة.

أما الأخرى: فقد قطعت كل صلاتها بهم، ولم يعد أمام أصحابها من هدف سوى الوصول إلى اللذة من أى طريق، وامتلأت الأرض بالشر، وأطل الآلهة من عليائهم وملأهم الحزن؛ إن الإنسان لم يعد هو الإنسان الذى خلقه مردك، وجعله صورة منه كريمة بريئة طاهرة.

وغضبت الآلهة على مخلوقات الأرض، وكان أكثر الكل غضباً الإله مردك، الذى قرر أن يرسل طوفاناً عارماً ليهلك البشر ويمحو به آثار أعمالهم العامرة بكل ما هو سيئ وخبيث!

غير أن آى - إله الحكمة- أخذته الشفقة على البشر، واعتزم أن ينجى منهم على الأقل رجلا وامرأة، يحفظان سر الخلق، وكان «شمس نيشتين» وزوجته هما اللذان وقع عليهما اختيار الإله، وفى ذلك اليوم، وبينما كان شمس نائماً، جاءه صوت الإله فى الحلم يقول: انهض يابن «أوبارا توتو» يا من أطلعت الآلهة، وحفظت لهم العهد الذى وضعوه فيك، انهض: فاهدم بيتك، واصنع من الخشب فلكاً ضع فيه كل ما تحتاجه لحياتك، وخذ معك حبة حبة من كل شىء نحميها كما نحميك من الطوفان الذى سيحل على الأرض التى امتلأت بالشر والفساد والطغيان، وصدع «شمس نيشتين» بأوامر الإله، ومع مطلع النهار نهض من نومه ليهدم بيته، ويبنى من الخشب فلكاً ضخماً.

واستخدم شمس عدداً من العمال وأخذوا يعاونونه ويشقون له الألواح، حتى إذا ما انتهت أيام سبعة، كان الفلك قد نهض قائماً على الأرض كأحسن ما يكون الفلك، وقد ضم بين جنباته كميات كبيرة من الخمر والزيت، وأكوام من حبوب حبة من كان نبت ظهر على الأرض وزوجين من كل حيوان أو طير جرت فى عروقه الحياة.

وأطل شمس إلى فلكه وامتلأ رضا؛ لقد كان طوله يصل إلى (١٢٠) ذراعاً.

وكان مقسماً إلى ستة طوابق مقسمة إلى تسع غرف.

أما سطحه الخارجى فمدهون بالقطران، وسطحه الداخلى بالقار.

وعرف شمس من إلهه أن عليه الدخول فى فلكه وإغلاقه، متى ظهرت الإشارة المتفق عليها، وهى مطر غزير يسقط من السماء. ومرت أيام، وسقط المطر مدراراً لقد أتت الساعة. وانطلق شمس نيشتسن إلى الفلك ومعه زوجته وأبناؤه، ومن خلفه أغلق الأبواب ومرت بالأفق سحابة سوداء غطت كل الأرض، يسوقها الإله رامان مطلق الرعود، وتمسك بسكانها الآلهة «أورجال» ومن خلفها الإلهان «نابو»، و«مردك» يفتحان للمطر كل طاقات السماء!

وأطبقت العاصفة والظلام على الأرض، وراح الناس يتساقطون غرقى وصرعى، حتى الذين ركضوا يطلبون النجاة فى الأقبية والغرف ذات السقوف، ما استطاعوا أن يجدوا تحتها منقذاً من الطوفان، ولا الذين لجأوا إلى قمم الجبال، فقد طفت المياه وارتفعت، حتى اختفت كل الجبال التى تحت السماء!

واستمر الطوفان ستة أيام، كان فيها الكفاية لتطهير الأرض من كل من فى أنفه نسمة حياة، من إنس، وطير، وبهائم، ووحش، ولم يعد هناك سوى شمس نيشتين، وكل من حل معه فى الفلك الأمين.

وجاء اليوم السابع، فهدأت الأمطار وانسدت ينابيع السماء، وبدأت المياه تنجاب عن الأرض.

وأطل شمس نيشتين من طاقة فى الفلك ثم صرخ عالياً: لقد كان الناس جميعاً غرقى فى الطين، وحيث كانت تمتد الحقول، وظهرت هناك مستنقعات وبرك، لم يكن هناك شىء حى، وكل العالم لم يعد يظهر منه سوى بحر مهول عملاق.

وظل شمس يبكى، والفلك يسير على سطح الماء فى اتجاه التيار، ينخفض ويرتفع والمياه تتناقص من حوله شيئاً فشيئاً، حتى إذا ما مضى اثنا عشر يوماً ظهرت الأرض بعد، وكانت الأرض التى ظهرت، هى قمة جبل نازير.

وأرسل «شمس» غراباً يستطلع حال الأرض، ولكن الغراب برغم أنه لم يجد

مكاناً يحط عليه، فإنه انشغل فى نهش الجثث الكثيرة المستلقية. ولم يفكر فى العودة إلى الفلك، وانقضت أيام سبعة أخرى، وأرسل شمس عصفوراً، ولكن العصفور ظل يطير من مكان إلى مكان فلا يبصر شجراً. أو أرضاً جافة، ولم يجد مستقراً لساقيه فاضطر آخر اليوم للعودة إلى الفلك. وانقضت أيام سبعة ثانية. وأرسل «شمس» يمامة، فظلت تطير وتطير باحثة عن مقد تحط عليه فلا تبصر أرضاً جافة. ولكنها ما كادت تفكر فى العودة حتى أبصرت أشجاراً خضراء فتحط عليها، ثم تحمل فى منقارها ورقة من غصن الزيتون تعود بها إلى الفلك! وابتهة شمس، وعرف أنه الفرج، وفتح أبواب الفلك. وخرج ومعه حاجاته وعائلته. وكل الأزواج الحية من حيوان وطيور وفى اللحظة التى لمست أقدامهم فيها الأرض، انكفأ شمس على وحهه وخر ساجداً. ثم بنى مذبحاً. وقدم عليه قرابين الشكر، من أعواد القصب والبخور، وانطلق دخان البخور العطر فارتقع حيث يجلس الالهة.

وشمت الالهة الرائحة الزكية فتعجبت، ثم راحت تتجمع كالذباب حول القربان وبين الجمع، كانت هناك إشتار- رية الحب الربيع- التى رفعت قلادتها الإلهية تحيى بها صاحب القربان، ثم قالت:

باسم جواهري الإلهية التى تحيط بعنقى، لن أنسى هذا اليوم أبداً، سأضعه دائماً فى ذاكرتي، وسأذكر به كل الآلهة الذين يحيطون الآن بالقربان حتى مردك، الذى لا يريد أن يقترب من قربان الإنسان، ورفض من قبل أن يجمع مجمع الآلهة يستشيرهم، وأرسل الطوفان يقضى به على عبيدى المخلصين ويسلمهم للهلاك والدمار.

والحق أن مردك لم يكن بعيداً عن القربان، فقد كان يقترب منه هو الآخر، ويعجب لهذا المخلوق الفانى كيف نجا من الطوفان. ويقسم أنه لابد من قتل شمس، ووقف الإله آى، الذى كان قد أوحى إلى شمس ببناء الفلك فأنقذه، ووقف يدافع عن المخلوق الفانى الذى أخلص للآلهة، ولم يحقد عليها. بل كان أول ما فعله حين وضع قدمه على الأرض أن قدم لها القرابين.

وانتقد آى مردك الذى لم يستشر الآلهة عندما اتخذ قراره المدمر لمخلوقات الأرض.

واستسلم مردك آخر الأمر، واقترب من القربان، ثم أخذ بيد شمس وزوجته وباركهما، وسوى لهما مستقراً جديداً عند مداخل أنهار الأرض. وعادت الآلهة إلى السماوات، ولكنها لم تنس قبل عودتها أن تكافى شمس الذى قدم لها القربان، وحفظ لها الجنس البشرى، ومنح شمس سر الخلود، ورفع إلى مرتبة الآلهة. وأصبح عليه أن يقيم فى مستقره عند مدخل الأرض حتى الأبد، لا يغادره إلا فى رحلة يومية طويلة يرافق فيها موكب مردكو ليشرف على أبنائه البشر الذين ينطلقون فى الأرض ليعيدوا إليها المجد والحياة. ثم يعود آخر اليوم الى مستقره، ليستأنف مع الصبح رحلته الطويلة الخالدة من الشرق إلى الغرب.

وانطلقت البشرية تحيا من جديد.

■ ■ ■

أسطورة إنكى

- مولد إنكى وزواجه بننخرساج:

إنكى Enki أخو الإله «إنليل»، وهو الابن الثانى للإله «آن» إله السماء، وأمه «كى» إلهة الأرض. وإنكى هو إله الماء، ويوصف بأنه إله الحياة لأنه أب لكل شيء حى. وهو لذلك إله الطب والشفاء وهو إله الحكمة وإله السحر، ويشكل مع أبيه «آن» وأخيه «إنليل» الثالوث السومرى الأول. ومدينة إنكى المقدسة هى «آريدو» (أبو شهرين الحالية)، وهو سليل «أبسو» مياه الأعماق، ورمز الإله أنكى السومرى هى الجرة الكمثرية الشكل التى تنبع منها خطوط المياه، ويقابله فى الأكدية الإله «إيا» الذى كان اسمه الأكدى يلفظ فى الأصل «آ»، وربما لفظ فى الأصل كـ «حيا» الذى يدل على الحياة، ويعتقد أن اسم الإله الحثى «آش» والاسم اليونانى «آرس» مشتقان منه.

يقول إنكى عن نفسه:

أنا الرب، من إذا أمر لا يسأل عن أمره.

أنا الأول من بين جميع الأشياء.

بأمرى، الاصطبلات شيدت، وحظائر الغنم سورت.

عندما قاربت الأرض، فاضت ينابيع.

وعندما قاربت مروجها الخضر.

تكدست الحبوب أكواما وتلالا بكلمتى.

لكن إنى لا يأتى بالمطر من السماء لإخصاب الأرض وحسب، وإنما هو يملأ الأنهار بالماء العذب الرقراق، تقول النصوص:

عندما رفع الأب إنكى عينيه على نهر الفرات.

وقف بخيلاء كالثور الهائج.

رفع قضيبه. وقذف بالمنى.

فملأ دجلة بالماء الرقراق.

البقرة البرية تخور من أجل صغارها فى المراعى.

استسلم له دجلة كما لثور هائج.

رفع قضيبه ومعه هدية الزفاف.

جاء بالفرح إلى دجلة مثل ثور برى كبير عند الإخصاب.

الماء الذى جاء به ماء رقراق، نبيذه حلو المذاق.

الحبوب التى جاء بها، حبوبه غنية، يأكلها الناس.

ملأ «أيكور» بيت إنليل، بالمقتنيات.

بأنكى إنليل يبتهج، وتسر نيبور.

بعد ذلك - يأمر من الأرباب- يسكن إنيكى مدينة «دلمون»، وهى الأرض التى اعتبرها السومريون خالية من الشرور، ومسكونة من قبل الآلهة والخالدين من البشر، ويعتقد أن دلمون هى بلاد البحرين حاليا، وهى تشكل الفردوس السومرى، ولكنها لا تقابل مفهوم وحقيقة الجنة عند المسلمين. وذلك لأن العقائد الدينية السومرية لا تتضمن فكرة الثواب والعقاب، ومن ثم ذهاب المثاب إلى الجنة، بل نرى أن دلمون هو مكان الآلهة أولا، ثم هى مكان الخالدين من البشر مثل «زيوسدرا» السومرى و «أوتونابشتم» البابلى الذى يرد اسمه فى ملحمة جلجامش، فهو حين ينال الخلود من قبل الآلهة - بعد أن أنقذ الجنس البشرى والحياة من الطوفان- يوضع فى دلمون مكافأة له.

وفى أرض «دلمون» يتقدم إنكى إلى «ننخرساج» ليتزوجها، فترفض فى بادئ

الأمر، لأنها رأت أن إنكى إله لعوب محتال ذكى، فألح إنكى ليتزوجهت فرفضت مرارا ثم قبلت الزواج منه.

وننخرساج تعتبر إلهة الأرض كلها، وإلهة الخصب والحياة على الأرض، ولها أكثر من إثنى عشر اسم دال عليها، كل اسم فى حقيقة الأمر يمثل صورة أو شكلا جديداً من أشكالها مثل:

«دامكال نونا: زوجة الأمير الكبير»، و «ننكى: سيدة الأرض»، و«ننماح: السيدة الكبيرة»، و«ننتو: السيدة الكبيرة»، و «مامى: الأم». و«كاتوم دوك: رلهة الأطفال» و«ببليتى: سيدة الإنجاب». و«دنكيرما: الإلهة الأم» و«ننمينا: سيدة القبعات الإلهية».

بعد ذلك يتصل إنكى «الماء» جنسيا بننخرساج «الأرض» ومن الطبيعى أن ينتج من هذا الاتصال بين الماء والأرض ظهور النبات، لهذا تلد الإلهة ننخرساج الإلهة «ننسار» إلهة النباتات.

- إنكى يضاجع بناته:

بعد أن كبرت «ننسار» ابنة إنكى وننخرساج، يراها إنكى على ضفاف النهر- وهو لا يعرفها- فيود مضاجعتها، ويعرض الأمر على وزير «إيسمد» فيبدى له الموافقة، فيدعوها إنكى إلى قاربه ويضاجعها، فتحمل منه وتلد الإلهة «ننمو» إلهة الألياف، وهذا يرمز للتماس بين المياه والنباتات بشكل متصل والذى ينتج عنه ظهور الألياف.

وبنفس الطريقة يشاهد إنكى الإلهة «ننمو» إلهة الألياف، ويرغب فى مضاجعتها، ويسهل له وزيره «إيسمد» الأمر، ويضاجعها إنكى، فتحمل وتلد الإلهة «ننكور» إلهة الأصباغ، التى تأتى من اتصال النباتات والألياف بالمياه، وترمز أيضا إلى سلسلة من التفاعلات بين الماء والنباتات.

وبعد ذلك يضاجع إنكى الإلهة «ننكور» لتلد بعدها ابنتها «آتو» إلهة النسيج،

وهو أمر منطقى أن يأتى النسيج بعد الأصباغ، وكانت «آتو» رائعة الجمال، فتراها «ننخرساج» فتحذرها من إنكى: «أيتها العذراء الغالية، ليكن طريقك مليئا بالنور وحياتك مرهفة هانئة عليك أن تبتعدى عن هذا المتقلب المحتال إنكى».

وبالفعل، عندما يطلب إنكى من «آتو» مضاجعتها ترفض، وتطلب منه أن يقدم لها الهدايا وأن يتقدم للزواج منها، ويفعل إنكى كل ما طلبته منه، ويتزوجها، وتلد له ثمانى أشجار.

ونجد أن هذا الجزء من الأسطورة يقترب إلى أشد الأقتراب من مضاجعة نبى الله «لوط» لبنتيه دون أن يدرى، وذلك بعدما سقتاه ابنتاه الخمر طبقا لما ورد بالصحاح التاسع عشر من سفر التكوين.

- إنكى يأكل النباتات السامة:

هذه الأشجار أو النباتات الثمانية والتى ولدتها «آتو» كان منها ما هو محرم، ومنها ما هو سام، إلا أن «إنكى» وجدها نباتات زاهية فأخذ يأكل منها، ولهذه الفعلة لعنته ننخرساج، فرت اللعنة فى ثمانية أماكن من جسده، وسقط إنكى يئن من مرضه، ولذلك دب الخراب فى الأرض - فإنكى هو إله الماء- فاجتمع الآلهة وقرروا البحث عن «ننخرساج» والتى اختفت بعد لعنتها لإنكى - حتى تداويه من العلل الثمانى التى حلت به وإلا لن تقوم للأرض قائمة.

ترق ننخرساج لحال إنكى، وقامت بولادة الآلهة الثمانية ليقوم كل إله منها بشفاء علة من علل إنكى، فولدت «آبو» إله النباتات ليشفى عينيه. والإله «ننتلا» من أجل فكه، والإلهة «ننسوتو» زوجة «ننازو» أحد آلهة العالم السفلى من أجل ضرسه، والإلهة «ننكاسى» التى تشفى الام الفم والتى تشبع شهوة القلب من أجل فمه، والإله «نارى» من أجل رقبته، والإلهة «أريموا» من أجل ذراعه، والإلهة «ننتى» سيد الضلع من أجل ضلعه، والإله «أينشاج» من أجل ساقه، وبعد ذلك يتعافى إنكى ويصبح قادراً على القيام بعمله.

- إنكى يدعو «إنانا» ويمنحها النواميس المقدسة:

الإلهة «إنانا» هى إلهة الحب والجمال والخصوبة والتناسل وتكلفة حراسة مدينة «إيريك أو أوروك»، ويعنى اسمها حرفيا «ملكة السماء»، ولها عدة رموز أهمها القصبتان المعقوفتان المذيلتان والقصبة ذات الحلقات الست والنجمة الثمانية ذات الستة عشر شعاعاً، وهى ابنة الإلهة «ننار» إله القمر، وتلعب دوراً شعبياً كبيراً فى نشر ممارسات الحب والجنس، وأصبحت إنانا نواة لأهم إلهة فى العالم القديم، فهى عند الساميين (إشتار أو عشتار)، وهى البطلة الرئيسية فى طقس الزواج المقدس.

تقول الأسطورة إن الإلهة إنانا قدمت إلى «الأبسو» (مقر الإله إنكى)، فأمر إنكى. وزيره «إيسمد» أن يرحب بها أشد الترحيب، وأن يقدم لها ما لذ وطاب، ثم قابلها «إنكى» وأخذ يشرب الخمر، ويرفع أنخابه للعذراء إنانا.

وفى غمرة سكرته يمنح إنكى لـ «نانا» النواميس المقدسة «مى» وهى مشتقة من كلمة سومرية غامضة المعنى، وربما تعنى الوجود، وتشمل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوى والسماوى الذى تسيره قوى إلهية خيراً أو شرا. ويعرف البعض هذه النواميس الإلهية بأنها جميلة الوظائف المرتبطة بالطقوس أو العادات أو العبادات والأعراف، ويعرفها البعض الآخر بأنها الوجود الإلهى فى الهيولى الميتة أو الحية بشكل أزلى، وهى غير مشخصة بجسد، ولكن بواسطتها تتحكم الإلهة بأمور العالم.

أخذت إنانا هذه النواميس فى قاربها السماوى لتعود إلى مدينتها المقدسة «أوروك» وتودع «أريدو»، وهذا يشير إلى انتقال السلطة والملوكية من «أريدو» إلى «أوروك».

وبعد أن صحا إنكى من سكرته سأل عن نواميسه المقدسة وزيره إيسمد، فأخبره أنه وهبها لابنته إنانا وهو فى حالة سكره، فيأمر إنكى وزيره ايسمد أن يمنع قارب إنانا السماوى من الوصول إلى أوروبا، وذلك بأن يذهب ومعه وحوش

البحر ويقتفون أثر إناناً.

وبالفعل يصل إيسمد ومعه وحوش البحر إلى قارب إنانا، ويخبرها أن إنكى أمرها أن تذهب إلى أوروك ولكن عليها أن تعيد قارب السماء - والنواميس المقدسة إلى أريدو، فتستنجد إنانا بوزيرها «ننشوبر» لينقذ القارب السماوى ونواميس إنانا الإلهية من أيدى وحوش البحر، فيهجم «ننشوبر» عليهم وينقذ المركب والنواميس الإلهية. ويتكرر هجوم وحوش البحر على المركب عدة مرات، وفى كل مرة يهزمهم «ننشوبر» حتى وصل القارب بسلام إلى مدينة أوروك مدينة إنانا.

■ ■ ■

أساطير الطوفان

تدور أساطير الطوفان - البابلية والسومرية - حول غضب الآلهة على بنى الإنسان، واتخاذها قراراً بتدمير البشرية دمارا شاملاً، لأنها لم تصن ما منحتها الآلهة إياه، بل أخذت تنشر الفساد فى الأرض، إلا أن الآلهة - وفق هذا المعتقد - أن بعضهم قد أشفقوا على الجنس البشرى من هذا الفناء. ورأوا أنه من الحكمة البقاء على الصالح منهم دون الطالح. فما كان إلا أن اختاروا أحدهم - وهو بالطبع أشدهم ورعاً- وأوكلوا له مهمة إنقاذ الجنس البشرى، فكان هذا المنقذ هو «زيوسدار» عند السومريين، أو «أوتو - نبشتم» و«أترا - حاسس» عند البابليين.

أسطورة الطوفان السومرية «زيو - سدرا»:

لم يصل إلينا عن الطوفان باللغة السومرية سوى نص واحد مدون فى لوح طينى، وقد عثر عليه فى خرائب مدينة «نفر» السومرية، إلا أن هذا اللوح قد وجد فى حالة سيئة، ورغم ذلك فإننا نستطيع أن نعلم الخطوط العريضة لهذه الأسطورة.

وتعرف هذه الأسطورة بين الباحثين باسم ملحمة أو قصة «زيو سدرا» (Ziu-sudra)، ويعنى اسمه «خالد» أو «ذو الحياة الطويلة»، مثل الاسم البابلى لبطل الطوفان فى ملحمة جلجامش، أه أوتو - نبشتم» والذى قابله جلجامش - كما أسفلنا - فى رحلة بحثه عن الخلود.

وتبدأ القصة - كما وردت فى النص - بمقدمة قصيرة - ناقصة - تروى طرفا من قصة الخلق حيث الآلهة «آن» و«إنليل» و«إنكى» والإلهة «ننخرساج» خلقوا البشر والحيوانات، ثم أنزلت الملوكية بعد ذلك من السماء إلى الأرض، وقدرت الأقدار والمصائر، وأسست المدن الخمس، وحلت فيها الملوكية، وهى: «دو»

و«باد – بيرا» و«لرك» و«سبار» و«شروباك»، ويعقب ذلك انخرام فى النص، يبدو أنه قرار الآلهة بتدمير البشر عن طريق الطوفان، ثم يستقيم النص عند نوح «إنانا» لحزنها على تدمير البشر، فتتخذ الآلهة قراراً بإنقاذ البشر من هذا المصير المأساوى، واختاروا لذلك «زيوسدرا» – الملك الصالح الذى يخاف الآلهة – ليكون هو منقذ الجنس البشرى من هذا الفناء، وفى نهاية الأسطورة يمنحانه الإلهان «آنو» و«إنليل» الخلود حيث يدخلانه فى مجمع الآلهة، وينقلانه إلى أرض «دلمون» التى تشكل «الفردوس السومرى».

وسنعرض النص بداية من الفقرة التى تحزن فيها إنانا» لاتخاذ الآلهة قرار الطوفان، ومن ثم تخفيف الآلهة من وطأة هذا الطوفان:

لقد ناحت «إنانا» المقدسة من أجل الناس.

وفكر «إنكى» فى الأمر مليا.

و«آنو» و«إنليل» و«أنكى» و«ننخرساج».

وأقسم آلهة الكون باسم «آنو» و«إنليل».

وفى ذلك الحين كان يحكم الملك «زيو – سدرا» الممسوح بالزيت.

وكان تقيا ورعا يكثر من الدعاء والتضرع.

كان يقوم على الدوام خاشعا.

ولم يكن ما سمعه حلما.

سمع «زيو – سدرا» وهو واقف إلى الجانب الأيسر من الجدار:

«أريد أن أكلمك فاستمع لكلامى.

وتفهم قولى وإرشادى:

ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل.

وأن تدمير نسل البشرية.

هو القرار المحتوم من مجمع الآلهة.

إنه القرار الذى أصدره «آنو» و«إنليل» و«ننخرساج».

تجمعت كل الرياح والعواصف المدمرة.

وجرف عباب الطوفان جميع المدن.

وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال.

وجرفت العواصف المدمرة السفينة الضخمة وسيرتها فى المياه العالية.

أشرقت الشمس وأضاءت الأرض والسماء.

وأحدث «زيو - سدرا» فتحة فى السفينة.

ودخلت أشعة الشمس إلى السفينة العظيمة.

وسجد الملك «زيو - سدرا» على الأرض أمام الإله «أوتو».

وقرب الملك عددا كبيراً من البقر والضأن.

وأخذ يدعو بحق السماء والأرض السفلى.

وتوسل إلى «آنو» و«إنليل» بالسماء والأرض السفلى.

وأخرجت الحيوانات وتجمعت من الأرض.

وسجد الملك «زيو - سدرا» أمام «آنو» و«إنليل».

اللذين منحاه الحياة الخالدة مثل الآلهة.

وحافظ الملك «زيو - سدرا» على ذرية البشر من الفناء.

لقد أسكناه فى أرض عبر البحار، فى المشرق، فى أرض «دلمون».

- أسطورة الطوفان البابلية «أوتو - نبشتم»:

قال جلجامش لـ «أوتو - نبشتم» القاصى:

«كلما نظرت إليك يا «أوتو - نبشتم».

وجدت هيئتك غير مختلفة، فأنت مثلى لا تختلف عنى.

أجل، أنت لم تتبدل بل إنك تشبهنى.

ويراك قلبى كاملا كالبطل علي أهبة القتال.

فأخبرنى: كيف دخلت مجمع الآلهة وحصلت على حياة الخلود»؟

فقال «أوتو - نبشتم» لجلجامش:

يا جلجامش سأكشف لك عن سر خفى.

سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة.

«شروباك» مدينة أنت تعرفها.

التى تقع على شاطئ نهر الفرات.

لقد شاخت المدينة والآلهة فى وسطها.

فعزم الآلهة العظام وقتئذ على إحداث الطوفان.

تشاوروا فيما بينهم وكان معهم أبوهم «آنو».

و«إنليل»، البطل، مستشارهم.

و«ننورتا» مساعدهم، ووزيرهم.

و«نوكى» حاجبهم ورسولهم.

وكان حاضراً معهم «نن - ايكى - كو» أى «ايا».

فنقل هذا (يعنى ايا) كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:

«يا كوخ! ياكوخ القصب! ياجدار، يا جدار.

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط.

أيها الرجل «الشروباكى» يا ابن «أوبار - توتو»

قوض البيت وابن لك فلكا.

تخل عن مالك وانشد النجاة.

انبذ الملك وخلص حياتك.

واحمل فى السفينة بذرة كل ذى حياة.

والسفينة التى ستبنى.

عليك أن تضبط مقاسها.

ليكن عرضها مساويا لطولها.

وغطها بسقف مثل سقف «أبسو».

ولما وعيت ذلك قلت لربى «ايا».

«سمعا يا سيدى، سأنفذ ما أمرتنى به.

ولكن ما عسانى أن أقول للمدينة؟

وبم سأجيب الناس والشيوخ».

ففتح «ايا» فاه، وقال لى، أنا عده:

«قل لهم هكذا: إنى علمت أن إنليل يبغضنى.

فلا أستطيع العيش فى مدينتكم بعد الآن.

ولن أوجه وجهى إلى أرض إنليل وأسكن فيها.

بل سأنزل إلى الـ «أبسو».

وأعيش مع «ايا».

وأنتم سيمطركم (ايا) بالوفرة والفيض.

ومن مجاميع الطير، وعجائب الأسماك.

وفى المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح».

ولما نورت أولى بشائر الصباح تجمع البلدِ حولى.

حملوا إلى أضاحى الأغنام الغالية.

وأحضروا إلىَّ أضاحى من ماشية مراعى البرارى.

... (تشوه فى سطرين).

جلب إلىَّ الصغار منهم القار.

وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى.

وفى اليوم الخامس أكملت هيكل السفينة.

وكان سطح أرضها «ايكو» واحدا وعلموا جدرانها مائة وعشرين ذراعا.

وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعا.

حددت شكلها الخارجى هكذا:

جعلت فيها ستة طوابق «سفلية».

وبهذا قسمتها إلى سبعة طوابق.

وقسمت أرضها إلى تسعة أقسام.

وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء.

ووضعت فيها المرادى وجهزتها بالمؤن.

سكبت ستة «شارات» فى الكورة.

سكبت أيضاً ثلاثة شارات من القطران.

وجلب حاملوا السلال ثلاثة «شارات» من السمن.

بالإضافة إلى شار واحد من السمن لحشو أوتاد الماء.

و«شارين» من السمن اختزنهما الملاح.

ونحرت البقر وطبختها للناس.

ونحرت الأغنام كل يوم.

وقدمت عصير الكرم والخمر الأحمر والأبيض والسمن.

إلى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر.

ليقيموا الأعياد كما فى أيام رأس السنة.

ومسحت يدى بسمن الزيت.

وتم بناء السفينة فى اليوم السابع.

وكان إنزالها (إلى الماء) أمرا صعباً.

فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع فى الأعلى وفى الأسفل.

إلى أن غطس فى الماء ثلثاها.

وحملت فيها كل ما أملك.

وكل ما عندى من فضة حملته فيها.

وحملت فيها كل ما عندى من ذهب.

وحملت فيها كل ما كان عندى من المخلوقات الحية.

أركبت فيها جميع أهلى وذوى قرباى.

أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر.

وجميع الصناع أركبتهم فيها.

وضرب لى الإله «شمش» موعدا معينا حيث قال:

«حينما ينزل الموكل بالعواصف فى المساء مطر الهلاك.

فادخل فى السفينة وأغلق بابك».

وحل أجل الموعد المعين.

وفى الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكا.

وتطلعت حالة الجو فكان مكفهرا مخيفا للنظر.

فولجت فى السفينة وأغلقت بابى.

وأسلمت قياد السفينة إلى الملاح «بوزر - آمورى».

أسلمته الهيكل العظيم بكل ما فيه من ثروات.

ولما ظهرت أنوار السحر.

علت فى الأفق البعيد غمامة سوداء.

وفى داخلها أرعد الإله «أدد».

وكان يسير أمامه «شلات» و«خانيش».

وهما ينذران أمامه فى الجبال وفى السهول.

ونزع الإله «إيراكال» الأعمدة.

ثم أعقبه الإله «ننورتا» الذى فتق السدود.

ورفع الـ «أنوناكى» المشاعل.

وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها.

وبلغت رعود الإله «أدد» عنان السماء.

فأحالت كل نور ظلمة.

وتحطمت الأرض الفسيحة كما تتحطم الجرة.

وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوما كاملاً.

وازدادت شدتها حتى غطت الجبال.

وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان.

وصار الأخ لا يبصر أخاه.

ولا الناس يميزون فى السماء.

وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان.

فابتعدوا وصعدوا إلى سماء «آنو».

وانكمشوا كالكلاب الخائفة وتربصوا فى أسى.

فصرخت «عشتار» كالمرأة فى مخاضها.

انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجى نادبة:

«واحسرتاه! لقد عادت إلى طين تلك الأيام القديمة.

لأننى نطقت بالشر فى مجمع الآلهة.

فماذا دهانى إذ نطقت بالشر.

لقد سلطت الدمار على الخلق.

دمار من أعطيتهم أنا الميلاد.

لقد ملأوا اليم كبيض السمك».

وبكى معها آلهة الـ «أنوناكى».

جلسوا يندبون وينوحون.

وقد يبست شفاههم.

ستة أيام وسبع أمسيات.

وزوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد.

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة الزوابع.

وكانت قبلها كالجيوش المحاربة.

ثم هدأ البحر وسكتت العاصفة وغيض عباب الطوفان.

وتطلعت إلى الجو، فوجدت السكون عاما.

ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً إلى طين.

وكالسقف كانت مياه الغدران مستوية.

فتحت كوة طاقتى فسقط النور على وجهى.

سجدت وجلست أبكى.

فانهمرت الدموع على وجهى.

وتطلعت إلى حدود سواحل البحر.

فرأيت جزيرة وهى تعلو مئة وأربعا وأربعين ذراعا.

واستقر الفلك على جبل «نصير».

أمسك جبل «نصير» بالسفينة ومنعها من الحركة.

ومضى يوم ويوم ثان والجبل ممسك بالسفينة فلم تجر.

ومضى اليوم الثالث والرابع والجبل ممسك بالسفينة.

ومضى اليوم الخامس والسادس والجبل ممسك بالسفينة.

ولما حل اليوم السابع.

أخرجت حمامة وأطلقتها فى السماء.

طارت الحمامة ولكنها عادت.

رجعت لأنها لم تجد موضعا تحط فيه.

وأخرجت السنونو وأطلقته.

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه.

ثم أخرجت غرابا وأطلقته.

فذهب الغراب، ولما رأى المياه قد قرت وانحسرت.

أكل وحام وحط ولم يعد.

عند ذلك أخرجت كل ما فى السفينة إلى الجهات الأربع.

وقربت قربانا.

وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل.

ونصبت سبعة قدور للقرابين.

وكدست أسفلها القصب وخشب الأرز والآس.

فتنسم الآلهة شذاها.

أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب.

فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب.

ولما حضرت الإلهة العظيمة «عشتار».

رفعت عقدها الذى صنعه «آنو» وفق رغباتها وقالت:

«أيها الآلهة الحاضرون، كيما لا أنسى هذا العقد اللازوردى.

الذى يزين عنقى.

فإننى لن أنسى هذه الأيام قط وسأذكرها دوما.

تقدموا جميعاً وقربوا من هذه الذبيحة.

إلا «إنليل» وحده لن يقترب.

لانه سبب الطوفان دونما ترو.

وأسلم شعبى للدمار».

ولما أن جاء «إنليل» وأبصر الفلك غضب.

وامتلأ حنقا على آلهة الـ «ايكيكى»، وقال:

«عجبا، كيف نجت نفس واحدة،

وكان المقدر ألا ينجو بشر من الهلاك؟

ففتح الإله «ننورتا» فاه وقال مخاطبا البطل «إنليل»:

«من ذا الذى يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير «ايا»؟

أجل، إن «ايا» هو الذى يعرف خفايا الأمور».

وعندئذ فتح «ايا» فاه وقال مخاطبا «إنليل» البطل:

«أيها البطل، أنت أحكم الآلهة.

فكيف لم ترو فأحدثت عباب الطوفان؟

حمل المخطئ زور خطيئته.

وحمل المعتدى اثم اعتدائه.

ولكن ارحم «المخطئ والمعتدى» لئلا يهلك.

وتشدد (فى عقابه) لئلا يمعن فى الشر.

ولو أنك بدلا من إحداثك الطوفان.

سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم.

ولو أنك بدلا من إحداثك الطوفان.

سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس.

وبدلا من الطوفان لو أنك أحللت القحط فى البلاد.

وبدلا من الطوفان لو أن «ايرا» فتك بالناس.

أما أنا فلم أفش سر الآلهة العظام.

ولكننى جعلت «أترا - حاسس» يرى رؤيا.

فأدرك سر الآلهة.

والآن تدبر أمره وقرر مصيره».

ثم صعد «إنليل» فوق السفينة.

وأمسك بيدى وأركبنى معه فى السفينة.

وأركب معى أيضاً زوجى وجعلها تسجد بجانبى.

ووقف بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلا:

«لم يكن «أوتو - نبشتم» قبل الآن سوى بشر.

ولكن منذ الآن سيكون هو وزوجه مثلنا نحن الآلهة.

وسيعيش «أوتو - نبشتم» بعيدا عن «فم الأنهار».

ثم أخذونى بعيداً وأسكنونى فى «فم الأنهار».

- أسطورة «أترا - حاسس»:

هذه الأسطورة أو الملحمة عبارة عن قصيدة بابلية مطولة نوعا ما. إذ يبلغ عدد أبياتها نحو ١٣٠٠ بيت موزعة على ثلاثة ألواح. ويرجح أن يكون اسم «أترا - حاسس» صفة مركبة تعنى «المتناهى فى الحكمة»، وهى ذاتها صفة لبطل الطوفان «أوتو - نبشتم».

وتبدأ الرواية بمقدمة تصف حياة الآلهة قبل خلق الإنسان، ثم اتخاذهم

قراراً بخلق من يعينهم ويوفر لهم حاجاتهم، وبعد ذلك تعرض الرواية كيف كثر عدد البشر حتى أن ضوضاءهم وضجيجهم أزعج الإله «إنليل» بحيث إنه حرم من النوم والراحة، فقرر أن يسلط عليهم الطاعون حتى يقلل من عددهم، ويظل يسلط عليهم الآفات حتى ينزل عليهم عقابًا شديدا وهو الطوفان. وسنبدأ بعرض نص الملحمة بداية من اللوح الثانى:

لم تكن تمضى ستمائة وستمائة عام.

حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس.

وصارت البلاد تجار وتخور كالثور.

فانزعج الإله بضوضائهم وصخبهم.

لقد سمع «إنليل» صخبهمو ضجيجهم.

فخاطب الآلهة العظام وكلمهم قائلا:

«إن ضوضاء البشر قد ثقلت على فلا أحتملها.

لقد حرمنى ضجيجهم النوم.

فلتتقطع المؤن عن الناس.

ولتحل الندرة فى النباتات.

حتى لا تكفيهم سد جوعهم.

وليحبس الإله «أدد» أمطاره.

ولينقطع ارتفاع مياه العمق من الأسفل.

ولتهب الرياح اللافحة فتحرق الحقول.

ولتتكاثف السحب ولكن ليمتنع هطول الأمطار.

ولتنقص الحقول من غلالها.

ولتوقف الإلهة «نصابا» نتاج ثدييها.

ولتزل الأفراح من بينهم».

باقى الأسطورة مخرومة، وحينما يصبح النص واضحاً. تبدأ أوامر الإله «إيا» (إنكى) على الوجه الآتى:

«ليعلن المنادون بأصوات عالية فى البلاد:

لاتبجلوا آلهتكم.

ولا تصلوا لآلهتكم.

بل اقصدوا باب الإله «أدد».

وخذوا معكم رغيف خبز إليه.

ولعل قرابين السمسم ستسره.

فيخجل من قرابينكم ويرفع يده عنكم.

ولعله سينزل طلا وضباباً فى الصباح.

وينزل الطل خلسة فى السماء.

فتنتج الحقول الغلال خلسة».

لقد أقاموا فى المدينة معبدا للإله «أدد».

ولم يبجلوا آلهتهم.

ولم يصلوا لآلهتهم.

بل قصدوا باب «أدد».

وقدموا إليه رغيفاً من الخبز.

وسر بقربان طعام السمسم.

واستحى مما قدم له وكف عن الأذى.

وفى الصباح حل الضباب.

وأمطر طلا فى المساء خلسة.

وأنتجت الحقول الغلال خلسة.

ونعرض الآن للوح الثالث الذى يتضمن رواية الطوفان، وتبدأ بسؤال «أترا - حاسس» لإنكى عن تفسير الرؤيا التى رآها فى منامه، فيقوم «إنكى» بتفسيرها ويخبره بما عليه أن يفعل حتى ينجو بحياته:

فتح «أترا - حاسس» فاه.

وخاطب سيده قائلا:

«عبر لى عن معنى الرؤيا.

حتى أعرف مغزاها ونتيجتها».

ففتح إنكى فاه، وقال مخاطبا عبده:

«أنت تريد أن تعرف مغزى الرؤيا.

فانتبه إلى المعنى الذى سأبلغك به:

يا حائط! اسمعنى يا حائط.

يا كوخ القصب، تفهم كلماتى.

انقض بيتك وابن لك فلكا.

انبذ المال وانج بحياتك.

والسفينة التى ستبنى.

(الأسطر ٢٦ إلى ٢٨ مخرومة):

سقفها واحكم بناءها كمياه الأبسو.

بحيث لا ترى الشمس داخلها.

واحكم سقفها من الأعلى والأسفل.

ولتكن حبالها متينة قوية.

وليكن القير تخينا لتكون السفينة قوية.

أنا سأمطركم بوافر من الطيور والأسماك».

لقد فتح «أترا - حاسس» الساعة المائية وملأها.

لقد أبلغه بوقوع الطوفان لليلة السابعة.

انصاع «أترا - حاسس» للأمر.

وجمع الشيوخ عند بابه.

وفتح «أترا - حاسس» فاه وخاطب الشيوخ قائلا:

«إن إلهى على خلاف مع إلهكم.

إن «إنكى» و«إنليل» غاضب أحدهما على الآخر.

لقد أخرجانى وطردانى من بيتى.

ولأننى أخص إنكى بالتبجيل.

فإنه أخبرنى بالأمر.

ولذلك فلن أستطيع العيش فى مدينتكم.

ولا أستطيع أن أضع قدمى على أرض «إنليل».

(عدة أسطر مخرومة تتضمن جمع العمال والنجارين وتهيئة المواد لصنع السفينة»:

....

كل ما عليك..

ومن الحيوانات الطاهرة..

والحيوانات السمينة..

وأطيار السماء.. والماشية وحيوان البر.. اجمعها فى السفينة.

دعا الناس.. إلى وليمة.

وأركب عائلته فى السفينة.

أكلوا وشربوا.

وكان يدخل ويخرج على الدوام.

ولا يستطيع الجلوس ولا النوم.

لأن قلبه قد تحطم، وصار يتقيأ المرارة،

وتبدلت هيئة الجو.

وأرعد الإله «أدد» فى السحاب.

وحالما سمع «أترا - حاسس» صوت «أدد».

أحضر القير ليسد بابه.

وبعد أن أغلق بابه.

كان «أدد» لايزال فى السحاب.

وازدادت الرياح فى شدة هبوبها حينما استيقظ.

فقطع المرساة وأطلق السفينة.

....

(عدة أسطر مخرومة)

وصار الطائر «انزوا» يمزق السماء بمخلبه.

لقد حطم صوته.. كما تحطم الجرة.

... وجاء الطوفان.

وفتك فى شدته بالناس كالحرب العوان.

وصار الأخ لا يرى أخاه.

ولم يكن الناس ليميزوا من هول الهلاك.

وخار عباب الطوفان كالثور الوحشى.

وكان صوت الطوفان كنهيق الحمار

وغطى الناس الظلام الدامس، ولم تظهر الشمس

.....

(عدة أسطر مخرومة)

استشاط «إنكى» غضبا

وهو يرى أبناءه يسحقون ويهلكون

و«ننتو» السيدة العظيمة

يبست شفتاها من الحرارة

والـ «أنوناكى»، الآلهة العظام

جلسوا وهم عطشى وجياع

وبكت الآلهة وهى تشاهد الكارثة

وقالت الحكيمة «مامى»، قابلة الآلهة:

«ليعم الظلام النهار، وليعم البؤس والشقاء

وأنا فى مجلس الآلهة

ماذا دهانى أنى قررت معهم الهلاك والدمار

لقد تجاوز إنليل المدى فى الشر والهلاك

ومثل شيطان «تريرو»، أمر بالشر والدمار

وأوقعت الأذى بنفسى عندما أصغيت إلى ضوضائهم

وإن ذريتى - وقد قطعت عنى - غدت كالذباب

وأنا أصبحت كالساكنة فى بيت الندب والبكاء

فلا يسمع نحيبى وعويلى

فهل سأرقى إلى السماء

وكأنى سأعيش فى بيت الكنز؟

إلى أين ذهب كبيرهم «آنو»؟

«آنو» الذى يطيع أمره أبناؤه الأقداس

إنه الذى لم يترو فأحدث الطوفان

وأسلم الناس إلى الهلاك والفناء

(عدة أسطر مخرومة)

لقد ملأوا النهر كأنهم اليعاسيب

صاروا كالأرزات الطائفة فى النهر

لقد شاهدتهم وبكيت من أجلهم

أجل، انتحبت من أجلهم

حتى استنفذت رثائى وندبى من أجلهم»

لقد ناحت «ننتو» بكل حرارة عاطفتها

وبكى الآلهة معها من أجل البلاد

لقد ملكها الحزن وأصابها الظمأ إلى الجعة

وحينما جلست جلسوا معها يبكون

وملأوا الحوض كأنهم الغنم

ويبست شفاههم من شدة الظمأ

وحل بهم الضعف والشلل من شدة الجوع

وطول سبعة أيام وسبع ليال

عم الطوفان والزوابع

(نحو ٢٧ سطرا مخرومة، ونحو ٢٩ سطرا من الحقل التالى)

.... إلى الرياح الأربع

وجهز الطعام....

وشم الآلهة طعام الوليمة

فتجمعوا كالذباب على القرابين.

نهضت «ننتو»، وهى غاضبة على الجميع فقالت:

إلى أين ذهب «آنو» كبير الآلهة؟

هل حضر «إنليل» إلى البخور والقرابين؟

إنهما اللذان لم يترويا فأحدثا الطوفان

وسلطا الدمار على الناس،

لقد أرادوا الهلاك الشامل؟

والآن غدت وجوههم النظيفة كدرة مغبرة

ثم أمسكت بالذباب الكبير

وهى التى صنعتها لها «آنو» وكانت تحملها

وقالت: إن حزنه حزنى، والآن قرر مصيرى

ليخلصنى من هذا الحزن والغم

وليكن هذا الذباب أحجار اللازورد التى فى عنقى

لأتذكر بها كل يوم وإلى الأبد

شاهد البطل «إنليل» السفينة

واستشاط غضبا على آلهة الـ «أيكيكى» وقال:

نحن آلهة الـ «أنوناكى» العظام

لقد قررنا وأقسمنا بذلك

فكيف نجا بعض الأحياء؟!

وكيف سلم الإنسان من الهلاك؟!

ففتح «آنو» فاه وخاطب «إنليل» قائلا:

من غير «إنكى» من يستطيع أن يفعل ذلك؟

أنا لم أفش سر القرار

ففتح «إنكى» فاه وخاطب الآلهة العظام قائلا:

«لقد فعلت ذلك حقا بمحضركم

أنا المسئول عن نجاة الحياة»

(عدة سطور مخرومة)

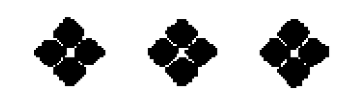
فليعاقب المذنب بوزر ذنبه

وكل من يخالف أوامرك

ففتح «إنليل» فاه وخاطب «إنكى» قائلا:

هلم! احضر «ننتو» إلهة الولادة

أنت وهى قد حضرتما الاجتماع



وهنا ينخرم النص، ولكن الأسطر القليلة الباقية تنتهى بها الملحمة بخلق الإلهة «ننتو» صنفاً ثالثاً غريباً من البشر هو جنس الإناث اللواتى لا يحملن، وخلق أنواع من الشياطين.

■ ■ ■

أسطورة «أترو»
الصراع من أجل السيادة العظمى

حين تغلب الآلهة الكبار على آلهة العماء، أخذوا ينظمون الكون. لم يتحقق هذا التناغم الكونى دون أن يتعرض للمساس، وكانت موجودة بالفعل كما تظهر أسباب العكر والاضطرابات التى كان من شأنها أن تضع الآلهة وأعمالهم فى خطر.

ولقد استحوذت هذه القوى الفوضوية على الميثولوجيا السومرية،وهى تمثل الجانب الثابت للاضطراب فى عالم تخضع فيه الآلهة أنفسهم إلى قدر أعلى وأعمى، وإن علم اللاهوت الأكادى يعنى جيداً كل ذلك. فهو يقر بأن النظام الإلهى كان حقا عرضة لبعض التشويش المؤقت وقد تجاوزه من جراء أن مسببيه كانوا دوماً مهزومين ومحكوماً عليهم بعدم الاستمرار بين أيدى الآلهة كأدوات سهلة من أجل القصاصات الضرورية.

وفى هذه الأزمات التى تضعضعت فيها دنيا الآلهة، كان ثمة إله يؤدى دوراً رئيسياً حاسماً هو الإله «نينورتا» إله محارب بطل ينقذ أجداده وإخوته حين يدهمهم خطر. بيد أن أساطير البطولات، كل التى كان الإله يمثلها لم تصل إلينا مع الأسف. ومن أشهر هذه الأساطير التى نعرضها أسطورة «أنزو» التى نقدم هنا ترجمتها.

إن «أنزو» طائر العاصفة، مخلوق مجنح له رأس أسد، يذكر فى طقوس رأس السنة فى عداد الآلهة المدمرين، المغلوبين على أمرهم كل سنة، من قبل آلهة التجديد. ففى مطلع القصيدة نجد «أنزو» فى خدمة الإله «أنليل» وهو يمثل إلى حد ما رسوله المجنح. غير أنه وهو يعيش فى كنف سيده، ويرى كل يوم استخدام سلطته العليا، استحوذ عليه الشوق إلى أن يحظى بخصائص هذه السلطة

وممارستها. وفجأة ها هو يفلح فيصبح إلى حين سيد الأقدار.

وبالفعل انطلاقاً من مجازفة «أنزو» وسقوطه النهائى، فإن موضوع القصيدة العميق يمثل تأملات مصورة عن القدرة الإلهية الفائقة أو بعبارة أوضح يمثل ممارسة تلك القدرة كما تشير إليها الصورة المجردة لاسم «أنليل»: أنليلوتو» (وهو السلطة الإلهية المنفذة) نجد ذلك التعبير فى لوحة الأقدار حيث يسجل كل ما سيحدث كل سنة تحت ختم «إنليل» بالنسبة للبشر والآلهة ومن يقوم بذلك فى نهاية الأمر بما آلوا إلى ما هم عليه.

على لوحة الأقدار هذه وفى أحد الصباحات لقد استولى «أنزو» على اللوحة مستفيداً مما وضعه «إنليل» وهو فى الحمام من صفات قدرته. على نحو خاص بالإشعاع الذى يحيط به عادة، نور لا يقاوم.

وبعد أن أصبح «أنزو» سيد الكون، لجأ جبله الذى لا يمكن الارتقاء إليه متحديا كل هجوم عليه، لقد فشل إله المياه وإله النار وغيرهما قبل أن ينجح أخيراً «نينورتا» بناءً على نصح أمه الإلهة الكبرى التى خلقت الأشكال كلها وولدت القدرات فى التغلب عليه-وتصحيح نواميس الكون المضطربة.

اللوحة الأولى

- إنه هو ابن ملك الكون المجيد وحبيب مامى
- القوى الذى سأنشده، بكر «إنليل»
- إنه «نينورتا» المجيد حبيب مامى
- بكر «أنليل» القوى الذى سأعظمه
- إنه من ذرية «الايكور» الأول بين ستمائة إله وسند «اينونو»
- حامى السياج الساهر على البيت والشارع والمدينة
- الخبير فى الحرب الذى يهز وشاحه الثمني

● المنتصر على الأعداء الشرسين بلا كلل، الذى يرعب بهجومه

● إنى أريد أن أبيح بقدرته «البيريد»

● والذى تغلب بسلاحه على «أنزو» المجنح.

● والذى أخضع البقر الوحشى فى وسط البحر

● وبسلاحه اصطاد...

● الذى حيثما كان فى العالم يجر إلى المعركة والقتال

● وبفضله أقيمت عروش الآلهة

● إنه هو الذى سمى «القوى» بين «الإيجيجى»

بعد هذا التمهيد الذى ينتهى هنا، فإن ما تبقى من العمود الأول/... نحو أربعين سطراً../ مفقودة تماماً. ولا يأخذ النص مجراه ثانية إلا بعد العمود التالى، حيث سبق لأنليل أن وزع على الآلهة كل القدرات الإلهية.

(ثانياً) ● بالنسبة لجميع الآلهة فقد زرع عليهم الأحكام

● ومن أجل إبلاغهم ذلك أرسل «أنزو»

● وبعد أن أعتق «أنزو» من مهمته، نال ثقة «أنليل»

● واستحم أمامه فى المياه المقدسة

● وكان بإمكان عينيه أن تريا كيف نفذ «أنليل» قدرته:

● إن تاج سيادته ومعطف ألوهيته

● ولوحة الأقدار هى رمز ألوهيته

● فكان «أنزو» يرنو إليها باستمرار

● وبرؤياه دوماً على هذا الشكل، أبو الآلهة «دورانكى»

● استحوذ على قلبهإذ يسلب «أنليل» هذا السلطان:

● نعم أنا، أريد الاستيلاء على لوحة الأقدار الإلهية
● وأجمع بين يدى أحكام كل الآلهة
● وعلى أن أقيم عرشى وأعلم الوظائف الإلهية
● وأن أتحكم بمجموعة «الإيجيجى»
● وبينما يرنو قلبه إلى هذه القدرة
● كان ينتظر بزوغ الفجر على مدخل المكان المقدس حيث اعتاد أن ينظر
● هذا، وإذا كان «أنليل» يستحم فى المياه المقدسة
● عارى الرأس إذ وضع تاجه على العرش
٢٠● وأمسك «أنزو» بيده لوحة الأقدار
● فاستولى على قدرة «أنليل» فضعضعت الوظائف الإلهية
● ولما كان «أنزو» قد طار وذهب إلى جبله
● فقد عم الرعب وساد الصمت
● ران الصمت على «أنليل» فسجد «أنليل» الأب ومستشار الآلهة
● ومن بهائه المعتاد سقط تاج المكان المقدس
● وعادت الآلهة من كل صوب إلى تلقف الأخبار الجديدة
● وعندئذ فتح «آنو» فمه وقال:
● قال للآلهة أبنائه
● من منكم يرغب فى قتل «أنزو»
● فيجعل اسمه ممجداً فى المسكونة
● إنه «حافظ السد» الكبير ابن «آنو» هكذا صرخت الآلهة

- و«آنو» الإله الذى يعطى الأوامر توجه بالكلام إلى هذا الأخير:
- أنت يا «حدد» القوى، المحارب الذى لا يأبى القتال
- اقتل «أنزو» بسلاحك
- وليكن اسمك فى مجمع الآلهة، الأعظم
- على ألا يكون لك مثيل بين الآلهة إخوتك
- فإن وجدوا وأقاموا لهم عروشاً إلهية
- اجعل من جهات الدنيا الأربع، أمكنة مقدسة لك
- ولتأخذ الأماكن المقدسة مكانها فى «الايكور»
- مجد ذاتك أمام الآلهة وليكن اسمك «الأقوى»
- وعندئذ ردد حدد هذا الكلام
- وإلى أبيه «آنو» فاه بهذه الكلمات
- يا أبت، من سيتأخر عن الصعود إلى الجبل الوعر
- أى واحد، من بين الآلهة أولادك فى مقدوره أسر «أنزو»
- أمسك بيديه لوحة الأقدار
- واستولى على سلطان «أنليل». إن وظائف الآلهة قد تداعت
- وهكذا حلق «أنزو» متجهاً إلى جبله
- إن كلمته أصبحت الآن مثل كلمة أنزو إذ كان إله: دورانكى»
- فمن يتصدى له يصبح كالآجر
- وحين سمعه الآلهة أغمى عليهم

«آنو» حدد بألا يذهب

إن مطلع العمود الثالث مفقود بفعل الكسر، لقد فقد معظم ما فيه من فصل جديد الذى فيه على طلب الآلهة، يستعدى «آنو» بطلاً جديداً، لم نتوصل إلى معرفة اسمه، غير أن المقطع الأخير من اسمه ينتهى بـ «جى» فقد رأى بعض العلماء أنه «جيبيل» وبعضهم الآخر يرى أنه اسم «ايجيجى» المستشار وهى صفة من صفات «شاره».

غير أننا نفهم من الأبيات الأخيرة أنه يأبى بدوره مجابهة أنزو مستعملاً فى رفضه عبارات حدد السابقة نفسها:

(ثالثاً):

● لقد طار «أنزو» ولجأ إلى جبله

● وأصبحت كلمته الآن مثل كلمة «آنو» إله «دورانكى»

● فمن يتصدى له يصبح كالآجر

● فالآلهة عند سماعهم ذلك أغمى عليهم

● فأعطى «آنو» أوامره بعدم الذهاب

● إنه «شاره» بكر «عشتار» هكذا صرخ الآلهة

● أما الإله «آنو» الآمر فقال:

● أنت القوى يا «شاره» المحارب، فلا ترفض النزال

● اقتل «أنزو» بسلاحك

● وليكن اسمك، الأعظم فى مجمع الآلهة

● وينبغى ألا يكون لك مثيل بين إخوتك الآلهة

● وإن وجد وأقاموا لهم عروشاً إلهية

● فاعمل على أن يكون لك فى الجهات الأربع من المعمورة أماكن مقدسة

● ولتأخذ أماكنك المقدسة مركزها فى «الايكور»

● عظم نفسك أمام الآلهة وليكن اسمك «الأقوى»
● ردد «شاره» هذه الكلمات وقال لأبيه «آنو»:
● يا أبت، من الذى يسرع إلى الجبل الوعر
● ومَنْ من بين الآلهة أنبائك، فى ميسوره أسر «أنزو»
● أمسك بيديه لوحة الأقدار
● واستولى على سلطان «أنليل» فاضطرب حبل الوظائف الإلهية
● لقد طار «أنزو» ومضى إلى الجبل
● وأضحت كلمته الآن كما كانت بالنسبة إلى «آنو» إله «الدورانكى»
● إن من يتصدى له يصبح كالأجر
● وحين سمعه الآلهة أغمى عليهم
● فأمر «آنو» «شاره» بألا يذهب
● وبعد أن هدأ روع الآلهة عقدوا اجتماعاً
● ولما حضروا جميعهم، إن الايجيجى آلهة الكون وهم فى اضطراب شديد
● أتوا إلى «آنو» «سيد الأوراك» الساكن فى اللجة
● وفى اجتماع الايجيجى آلهة الكون وهم أيضاً فى اضطراب شديد
● أتوا لـ «آنو» بالإله «إيا» الساكن فى اللجة
● فأبدى لأبيه رأيه مطولاً:
● يا أبت، سآتى بالإله الذى يقبل القتال
● وأحدد أمام المجمع من سيأسر «أنزو»
● نعم سآتى أنا بالإله الذى يقبل القتال

● وفى المجمع سيتم تحديد من سيأسر «أنزو»
● لما سمع «الايجيجى» منه هذا الكلام
● قبلوا قدميه وهم يرتجفون
● وعندئذ فتح «نين - ايجى - كو» فمه وقال
● موجهاً كلامه إلى «آنو» و«ماه»
● معلناً فى الجلسة سيادة «ماه» سيدة جميع الصيغ
● استدع القوى المجيد حبيبك
● ذا الصدر العريض الذى يقود الآلهة السبعة إلى القتال
● استدع «نينورتا» القوى المجيد حبيبك
● ذا الصدر العريض الذى يقود إلى القتال الآلهة السبعة
● وإذ سمعت «ماه» منه هذا الكلام، قالت السيدة العظمى: نعم
● وكصدى لكلامها فرح آلهة البلاد
● وقبلوا قدميها وهم يرتجفون
● وعندئذ نادت من مجمع الآلهة
● وأتت بابنها حبيب قلبها وقالت له:
● أمام «آنو» و«داجان» الأعظمين
● وبعد أن يعلنا فى المجمع قدرات الآلهة
● ففى الآلام ولدتهم جميعاً
● لأنى أنا «مامى» المساوية للآلهة
● فإن أخى وإلى «آنو» خصصت ملكوت السماوات

- لأنى أنا الأم لهذه الملكية التى خصصتها لهما
- و... أعطيت الشكل إلى أبيك نفسه

اللوحة الثانية

- ضع حداً لشقائهم
- وفجر ضياءك من أجل الآلهة الذين خلقتهم
- وأضرم قتالك بكامله
- ولتعصف فيه زوابعك السبع
- ومهما كان منجحاً فخذ أسيراً «أنزو»
- واجعل السلام فى الأرض التى خلقتها وخرب منزله
- ولينهمل عليه الذعر
- ولترتعد فرائصه إذ يواجه قتالك الرهيب
- أطلق فى وجهه الزوبعة بكاملها
- وشد وتر قوسك ولتحمل اسم سهامك
- ولينقلب وجهك الجميل إلى وجه شيطان
- انشر الضباب حتى لا يتميز شكلك
- ولتنطلق خيوط إشعاعاتك نحوه
- ولتتوقف الشمس فى الأعالى عن الإشعاع
- وبالنسبة إليه، فلينقلب ضياء النهار إلى ظلام
- إنه حياته وأسر «أنزو»
- ولتحمل الرياح جناحيه إلى أماكن سرية

- باتجاه «الايكور» عند أبيك «أنليل»
- دس الجبال والسهول، وأسرع
- فى حز رقبة اللعين «أنزو»
- حتى تعود الملكية إلى «الايكور»
- فتعود وظائف الآلهة إلى الأب الذى خلقك
- وإن وجدت أن العروش الإلهية أقيمت
- اجعل أن تكون لك فى الجهات الأربع من المعمورة أماكن مقدسة
- ولتأخذ الأماكن المقدسة عندئذ مركزها فى «الايكور»
- مجد نفسك أمام الآلهة وليكن اسمك هو «القوى»
- حين تناهى إلى سمع البطل نداء أمه
- وهو البطل فى القتال، شد على قوته واتجه شطر جبل «أنزو»
- وقد قرن السيد السبعة من أجل القتال
- قرن البطل الزوابع السبع الرديئة
- والأعاصير السبعة التى تدوم الغبار
- لقد شرع فى الهجوم معلناً عن رعب المعركة
- وفى سبيل القتال لاذت الرياح إلى جنباته بالصمت فى انتباه
- وفى منحنى من الجبل، وقف «أنزو» و«نينورتا» وجهاً لوجه
- وإذ رآه «أنزو» تقدم نحوه
- لقد صر بأسنانه كالشيطان وغطى بهاؤه الجبال
- زأر كأسد وكأنه فى ذعر

- ويملء غضب قلبه صرخ بالبطل:
- لقد حزت كامل الوظائف الإلهية
- وحركت أوامر الآلهة جميعاً
- من أنت؟ يا من جئت لتصارعنى؟ اكشف عن هويتك
- وحين فاه بهذه الكلمات
- أجابه البطل «نينورتا» قائلا:
- باسم «آنو» الملك مؤسس «ورانكى»
- وباسم إله البحر الواسع «إيا» محدد الأقدار
- جئت لأصارعك وأنا الذى سيسحقك
- حين سمع «أنزو» كلامه
- أطلق وسط الجبال صراخه الوحشى
- فعم الظلام وكست الظلمة وجه الجبال
- وأظلم شمس، نور الآلهة
- .... زأر مع «أنزو»
- وفى وسط زحام المعركة وقع الهجوم وتولى الطوفان الغضب
- .... سقى درعه بالدم
- وأمطرت غيوم الموت وأبرقت السهام
- وزأر القتال بعنف بينهما
- إن القوى والمجيد بكر «مامى»
- بطل «آنو» و«داجان» حبيب «نين - إيجى - كو»

- شد قوسه وألقمه سهماً
- ومن صدر القوس أطلق السهم فى وجه «أنزو»
- ودون أن يمسه عاد السهم إلى الوراء
- لأن «أنزو» صرخ فيه قائلا:
- أيها السهم المصوب إلى عد إلى جعبتك
- أيها الشكل الذى يشبه القوس عد إلى حراجك
- عد أيها الوتر إلى ظهر الحمل وعودى أيتها القوادم إلى الطيور
- ولم يلبث أن رفع بيديه لوحة الأقدار المقدسة:
- حاملة وتر القوس
- والسهام عجزت عندئذ على إصابة جسده
- ران على المعركة الصمت وتوقف القتال
- وسكتت قرقعة السلاح فى الجبال
- ولم تتمكن هذه الأسلحة من أسر «أنزو»
- فدعا «نينورتا» حدد وقال له:
- أنبى «نين - إيجى - كو» وقل له ماذا رأيت من أفعال
- قل له: أيها السيد إن «نينورتا» قد حاصر «أنزو»
- واستولى على منطقة معسكره
- لقد شد على قوسه وسلمه السهم
- ومن صدر قوسه نزع السهم
- ولكن دون أن يصيبه وعاد السهم إلى الوراء

● لأن «أنزو» كان قد صرخ به:
● أيها السهم الآتى إلى، عد إلى جعبتك
● أيها السهم المتوهم، عد إلى حراجك
● عد أيها الوتر إلى ظهر الحمل وعودى أيتها القوادم إلى الطيور
● ورفع بيديه اللوحة الإلهية المقدسة
● فأبعدت يداه وتر القوس
● ولم تقو السهام على إصابة جسده
● فخيم الصمت على المعركة وتوقفت
● توقفت فى الجبل قرقعة السلاح
● ولم تفلح فى أسر «أنزو»
● وعندئذ سجد الأمير «حدد» وتناول الرسالة
● ثم قص على «إيا نين - إيجى» ما دار فى المعركة
● لقد أعاد على مسمع «إيا» كل ما قاله السيد:
● انظر أيها السيد، لقد حاصر «نينورتا» «أنزو»
● وشد قوسه وسلحه بسهم
● ومن صدر القوس أطلق السهم ضد «أنزو»
● ودون التمكن من إصابته، ارتد السهم
● لأن «أنزو» صرخ فيه قائلا:
● أيها الآتى نحوى عُد إلى جعبتك
● أيها القوس المتوهم عد إلى حراجك

- ويا أيها الوتر عد إلى ظهر الحمل وعودى أيتها القوادم إلى الطيور
- ثم رفع بين يديه اللوحة الإلهية المقدسة
- وانتزع بعيداً وتر القوس
- فلم تتمكن السهام والقتال توقف
- وتوقفت قرقعة السلاح فى الجبال
- ولم تفلح فى أسر «أنزو»
- وإذ سمع «إيا نين - إيجى - كو» كلام ابنه
- لاذ بالصمت ثم أعطى تعليماته:
- أعد على مسمع سيدك فحوى كلماتى:
- وما سأقوله أحفظه كله له جيداً
- وهو هذا: عليك ألا توقف المعرة. ضع من أجلها كل قدرتك
- أنهكه، حتى إذا ما جابه العاصفة هوى جناحه
- خذ سيفاً بعد أن تكون أطلقت سهامك
- قص جناحيه واقطعهما يميناً وشمالاً
- وإذ يرى جناحيه على هذا النحو ستتوقف قدرته على الكلام
- وسيصرخ: جناحاى! جناحاى! ولا تخف أنت منه بعدئذ
- شد على قوسك ولتنطلق من صدره السهام كاللمع
- وليرقص الريش والجناحان كالفراش
- ضع حداً لحياته. اأسر «أنزو»
- ولتأخذ الرياح جناحيه فى أماكن خفية

- ونحو الايكور عند أبيك «أنليل»
- دس بقدميك جباله وسهوله وبادر
- إلى قطع رقبته، رقبة «أنزو» الردئ
- كيما تعود الملكية إلى «الايكور»
- وتعود الوظائف الإلهية إلى الأب الذى خلقك
- وإن وجدت بعدئذ أن عروشاً إلهية قد أقيمت
- ولتأخذ أماكنك المقدسة مكانها فى «الايكور»
- مجدك نفسك أمام الآلهة وليكن اسمك «القوى»
- سجد «حدد» وتناول الرسالة
- ثم حمل «نينورتا» أخبار المعركة
- مردداً على مسمعه ما قاله له «أيا»
- وهو أنه يحب ألا تتوقف المعركة
- أنهكه حتى إذا ما جابه العاصفة هوى جناحه
- خذ سيفاً بعد أن تكون أطلقت سهامك
- قص جناحيه على هذا النحو تتوقف قدرته عن الكلام
- وسيصرخ: جناحاى، جناحاى! ولا تخف منه أنت بعدئذ
- شد على قوسك ولتنطلق من صدره السهم كاللمع
- وليرقص الريش والجناحان كالفراش
- ضع حداً لحياته. أأسر «أنزو»
- ولتأخذ الرياح جناحيه فى أماكن خفية

● ونحو «الايكور» عند أبيك «أنليل»

● دس بقدميك الجبال وسهولها وبادر

● إلى قطع رقبته. رقبة «أنزو» الردىء

● كى تعود الملكية إلى «الايكور»

● وتعود الوظائف الإلهية إلى الأب الذى خلقك

● وإن وجدت بعدئذ عروشاً إلهية قد أقيمت

● أعمل كى تكون لك عروش إلهية فى الجهات الأربع من المعمورة

● ولتأخذ أماكنك المقدسة مكانها فى الايكور

● مجد نفسك أمام الآلهة، وليكن اسمك القوى

● حين بلغ سمع السيد فحوى رسالة «إيا - نين - ايجيكو»

● ارتجف وارتعدت فرائضه بيد أنه توجه ثانية نحو الجبل(١)

● وقد قرن السيد السبعة للقتال

● وقرن البطل الرياح الرديئة السبع

● مع الزوابع السبع التى تجعل الغبار يدور

اللوحة الثالثة

تشتمل القصيدة دون شك على لوحة ثالثة هى الأخيرة فى الأصل وهى تروى وتمجد انتصار «نينورتا» على «أنزو».

ولدينا من هذه اللوحة على ضوء النسخة الآشورية نسختان وجدتا فى «سلطان تيبه» وهما مشوهتان. بيد أن الكسر الذى تعرضتا له لا يسمح بترجمة متتابعة. وحتى نسخة «سوز» ذاتها تتوقف عند عتبة الخاتمة:

● هناك وسط القتال، انطلقت الرياح الأربع

● فارتعدت الأرض وامتلأت السماء رعباً

● وأظلمت أنوار النهار وحلت العتمة فى السماوات

● .... ومن أجل التصدى للعاصفة، تخلى «أنزو» عن جناحه.

● ● ●

وثمة مقطع مهشم يذكر القتال وفق التعابير التالية:

● إن البطل «نينورتا» و«أنزو» تماسك كل منهما بالآخر

● ومن أجل التصدى للعاصفة تخلى «أنزو» عن جناجه

● امتشق «نينورتا» السيف بعد أن راش سهامه

● وقص جناحيه من اليمين واليسار وشوههما

● وإذ رأى جناحيه علي هذا النحو انتزع من «أنزو» موهبة الكلام

● ● ●

هنا أيضاً يبدو لنا من النص العائد إلى «سلطان تيبه»، إنه كان أكثر تعقيداً، إذ إنه كان يوجد إلى جانب «أنزو» مساعدون يدعمونه تغلب عليهم «نينورتا» قبل أن ينتصر على الفائز الرئيس

● وبسرعة أدركه البطل

● فصرع بهاؤه من هم أكثر هيجاناً

● وصرع الرعب الذى كان يوحيه أبسلهم

● لقد غطت البلاد قوة إشعاعه

● ودك الرغب الجبال ببهائه

● وأرعب «أنزو» وحز رقبته

غير أن المعركة تبدو هنا إضافية لأن المهم فى القصة، هو فرح الآلهة عند

سماعهم انتصار «نينورتا» وهكذا عاد النظام إلى العالم، وعادت الوظائف الإلهية إلى شرعيتها تمارسها وأصبحت لوحة الأقدار بين يدى الإله العظيم الذى عليه أن يحتفظ بها.

تنتهى القصيدة قطعاً بتمجيد البطل «نينورتا» وبتثبيت الوعد الذى قطعه له بمجد لا يضاهى يستحق إلى الأبد إعجاب البشر وتمجيدهم.

■ ■ ■

الصالح المتألم

إن معضلة الظلم والعدل الإلهى كما يعلنها اللاهوت البابلى هى أيضاً موضوع قصيدة أخرى لا تقل شهرة عما درج الأقدمون على أن يطلقوا عليه عنواناً يتألف من الكلمات الأولى الثلاث مثل: «أبغى مديح سيد الحكمة» وهو معروف منذ زمن طويل. ومن ترجم مؤلفاته صدم فى بادئ الأمر، بالشبه الكبير بينه وبين «أيوراة» مما جعلهم يطلقون عليه صفة «الصالح المتألم» تلك الصفة التى بقيت ملازمة له.

والموضوع هنا لا يمت بصلة إلى المناجاة كما هو فى علم اللاهوت لا بل على العكس، فإنه يعنى مناجاة طويلة لرجل حلت به النكبات والآلام التى لا يستحقها وهى موضوع خطة العاثر.

كانت القصيدة تتألف من أربع لوحات كما وجدت. غير أنهم ترددوا فى إضافة جزء آخر عثر عليه وهو يتضمن النفس ذاته ومن المرجح أن يكون هو الجزء المتبقى من اللوحة الرابعة والأخيرة.

وهذه المناجاة موجهة إلى إله «بابل» مردوخ. ويعتبر هذا الإله الأوحد أو على أقل تقدير الإله الوحيد المسئول عن قدر الإنسان وما يبرزه الصالح (واسمه «شوبشى - ميشرى - شاقان») فى حياته، يرمى إلى الاعتقاد بأنه قبل أن يقع في المجنة، كان شخصية لها تقديرها فى بلاط أحد ملوك بابل، وذلك في آخر الألف الثانى استناداً إلى اسمه واسم اثنين من معاصريه ومداخلتهما عند سرد القصة. وهما واحد من «نيبور» والآخر من بابل، المعروفين فى كتابات أخرى. إنهما مثقفان اشتهرا شهرة واسعة ودائمة وبموجب هذا يمكن التفكير أن مغامرة الرجل الصالح الحزينة ليست بكاملها خرافية فهى تذكر بقصة رجل محترم زالت حظوته فسقط ولم تكن شخصيته تحمل العبر نفسها التى ترمى إليها تجاربه.

إن قصة آلام هذا الرجل هى موضوع القسم الأكبر من المفاجأة ففى اللوحة الأولى نجده منكود الحظ يتذمر من فقدان ثروته، ومركزه الاجتماعى وثقة الملك به واحترام مواطنيه. وهو الآن سيستمر فقيراً محتقراً دون أن يكون قد عمل ما يستوجب محنته.

وإلى هذا السقوط الاجتماعى تأتى اللوحة الثانية لتضيف ما قاساه من آلام ومرض، كما داهمته الأوجاع المتعددة الأكثر إيلاما وغموضاً لا يستحقها فوصل إلى آخر المطاف حيث بدأت عائلته تبكيه وتحضر ما يلزم لجنازته.

ومع ذلك يبدو بريق أمل كما ينص على ذلك البيتان الأخيران. وهذا الأمل فى الشفاء والرحمة نجده فى اللوحة الثالثة ففى ثلاثة أحلام متتابعة ظهرت له شخصيات تظهره وتتوسط مساعدته. وشخص رابع أرسله مردوخ جالباً له عفو الإله عنه والوعد باستعادة سعادته.

ومن دون شك نجد القاص فى سرد أرزائه يذكر عرضاً خطاياه وأخطاءه وإهمالاته، بيد أنه يؤكد القسوة التى عومل بها. فلماذا يعامله إلهه كملحد متهم بكل الجرائم فى الوقت الذى يحس بأن سلوكه بروحه ووجدانه وأفكاره، لا عيب فيه أبداً ولذلك نراه يتساءل ما إذا كانت القيم الأخلاقية والدينية لها نفس المعنى؟ وقد فهم أخيراً أن مرامى الآلهة لا يسبر غورها تجاه الفانين، وأن هذا السر الغامض، هو وحده الذى يفسر الظلم الظاهرى فى أحوال البشر.

إنا نلاقى هنا الفكرة الرئيسة للاهوت البابلى، التى تبرز فى إعلان التفوق الدينى والتأكيد على حرية الإله غير المُدركة. بيد أننا فى هذه المناجاة الطويلة نكون على بعد شاسع من فهم دقة هذا اللاهوت، الذى بهذر كيفى يعتمد كثرة الكلام والاستعارة. أن رصد التعابير السريرية فى وصف الأعراض والأمراض، لا يؤدى إلا إلى القليل من المؤثرات التى تظهرها الآلام بالنسبة لما يرمى إليه النص من تأثير أدبى.

ومع هذا وعلى الرغم من براعة الأسلوب هذه لا يمكن أن ننكر على قطعة

«أبغى مديح سيد الآلهة» المركز الذى استحقته من بين أعظم نصوص تاريخ الأديان.

اللوحة الأولى

● إنى أبغى مديح سيد الحكمة، الإله الفطن

● الذى يثير الليل وينشر الضوء فى النهار

إنه مردوخ سيد الحكمة الإله النبيه

● الذى يثير الليل وينشر الضوء فى النهار

٥ ● وكالزوبعة العاصفة يغلف بغضبه كل شىء

● بيد أنه وهو المنعم، يكون كالنسيم عند الصباح

● أما الذى لا يقاوم غضبه فهو هائج كالطوفان

● وأما قلبه فيحنو دائما ويصفو فكره

● هو الذى لا تقوى السماوات على صدمة يده

١٠ ● لكن راحة كفه مهدئة وتنعم على الأموات

إن الأسطر الأولى من هذه القصيدة التى عثر عليها مؤخراً، لا تصوب إلا جـزءاً من النقص الكبير الذى يشوه فى بدايته اللوحة الأولى. و/... النقص يتناول ثلاثين سطراً../

● ● ●

● لقد تخلى عنى إلهى واختفى إلى الأبد

● وإلهتى تغيبت عنى وابتعدت

٤٥ ● وانفصل عنى الملاك المحسن الذى كان يرافقنى

● وهرب منى الملاك المخلص مفتشاً عن سواى

● لقد انتهكت حيويتى وعتمت رجولتى البارزة
● وفقدت صحتى الجميلة واختفت كل حماية لى دفعة واحدة
● وكأنها علامات مخيفة بدت أمامى
● خرجتُ من بيتى ومشيت دون هدف
● استنطقت طالعى فإذا به ملىء بالعكر وملتهب كل يوم
● وبعد أن تركت العراف ومفسر الأحلام
● لم أعد أجد الطريق التى سأسلكها
● وكانت أحاديث الناس إلى فى الطريق دلائل شؤم بالنسبة لى
● وعندما أنام فى الليل فحلمى يكون مخيفاً
● وأصبح قلب الملك الإلهى شمس العالم
● غاضباً وفى سبيل شقائى لم يقف
● ورجال البلاط أخذوا يرهقوننى بالعدوان
● فكانوا يتجمعون ويتبادلون الحديث فى أشياء لا تقال
● كان الأول يقول: سأنهى حياته
● ويعلق الثانى: سأجبره على التخلى عن مركزه
● وبالنسبة للثالث فيقول: سأستولى على كل ما أودعوا لديه
● قال الرابع: سأدخل بيته
● وقال الخامس: سأخرب مكتبه
● ويقول السادس والسابع: سأضطهد ملاكه الحارس
● إن عصبة السبعة جمعوا دروسهم السريرية

- بلا شفقة كالشيطان «آنو» ومثل...
- إن لهم جسداً واحداً وليس لهم سوى فم واحد
- وفى قلبهم سعير ضدى يشتعل كالنار المحرقة
- والمعروف الوحيد الذى يسدونه إلى ليس بأقل من الاغتياب والنميمة
- كان فمى بالأمس مملوءاً باليقين فكمموه
- وقد أصبحت كالأصم الأبكم أنا الذى كانت شفاهم زلقة
- كما أن نداءاتى الطنانة أصبحت صامتة
- ورأسى المرفوع أبداً انحنى حتى الأرض
- وقلبى العنيف ضعف من شدة الخوف
- وأصبح صدرى الواسع يصده عامل بسيط
- وبينما كانت ذراعاى مملوءتين نشاطا أصبحتا مشلولتين
- أنا الذى كنت أختال مثل سيد تعلمت مسح الجدران
- وتحولت من سيد إلى عبد
- وبينما كنت ضمن عائلة كبيرة أصبحت وحدى
- وعندما أمشى فى الشارع يُشار إلى بالبنان
- وإذا دخلت القصر فالأنظار تحدق إلى خلسة
- وأصبحت مدينتى تنظر إلى وكأنى عدو
- وكأنها عدوتى فى بلادى المرعوبة
- وأخى تحول عنى كالغريب
- ورفيقى كالخبيث والشيطان

- إن غضب رفيقى لا ينفك عن اتهامى
- وزميلى يشهر سلاحه دائماً فى وجهى
- إن أعز أصدقائى يريد أن يختصر حياتى
- وفى قاعة المحكمة شتمنى عبدى
- وخادمتى، وصمتتى بالقبح أمام الجمهور
- وإذ ترانى إحدى معار فى تقف على الحياد
- وتعامنى عائلتى كأنى لست من لحمها
- ومن يذكرنى بعطف فإن الحفرة أمامه
- ويكون فى الأوج من يتهمنى بالعار
- والله يعلم من يتهمنى باطلاً بأمور لا تقال
- والموت يحدق بمن يتقدم لمساعدتى
- ومن يتهمنى بالغباء فإن ملاكه الحارس يسدى إليه النصيحة
- لم أعثر على أحد يرافقنى ولا على أحد يشفق على
- لقد وزعوا ما أملك على الأوغاد والرعاع
- وطردوا من حقولى أصوات الحصادين المفرح
- وجعلوا مقامى ساكناً كمقام الأعداء
- كما حولوا مركز عملى المقدس إلى شخص آخر
- وعينوا ضابطاً غريباً يقيم طقسى
- فأصبح النهار تأوهات والليل شكاوى
- وامتدت طوال الشهر شكواى وأحزانى

- وكل أيام حياتى نوح كالحمام
- وعوضاً عن الغناء أصرخ بصوت نائح
- وحتى أصبحت عيناى تبكيان دوماً دون إنقطاع
- لقد احترقت وجنتاى من الدموع التى لا تنقطع
- وبدا على وجهى قلق قلبى

وأصبحت قسمات وجهى كلها خوفاً ورعباً

● ● ●

اللوحة الثانية

- من هذه السنة وإلى ما بعدها قد نفذ الأجل المحدد
- فكم تطلعت حولى ولم أجد غير الشقاء
- بالنسبة إلىَّ يزداد الخبث ولا أرى عدلاً
- فصرخت إلى الإله غير أنه حول وجهه عنى
- تضرعت إلى إلهتى ولم تدر إلىَّ رأسها
- ولم يحدد العراف مستقبلى
- وعلى الرغم من إراقة الخمور، لم يوضح حالتى مفسر الأحلام
- توسلت إلى روح الأحداث ولم أفهم شيئاً
- والرقاء وفق الطقوس، لم يحل الغضب الإلهى عنى
- فيا للعجب مما يجرى حولى
- فأتطلع إلى ما ورائى فلا أجد غير الاضطهاد والقلق
- وكأنى مثل رجل لم يسكب الخمور للآلهة

- أو لم يدع إلهته إلى المائدة
- أو لم يحسن وجهه ويسجد بوضوح
- أو توقفت صلاته وتضرعاته
- أو نسى يوم الإله وأهمل الأعياد الشهرية
- أو نسى بإهمال منه أداء طقس الآلهة
- ولم يعلم اتباعه الخوف لا ولا الاحترام
- أو من يكون قد أكل زاده من دون أن يشكر الله
- أو أهمل إلهته دون أن يقدم لها قربان الطحين
- أو كمن نسى سيده وكأنه فى حالة الجنون
- أو تضرع بلا ترو إلى حياة إلهه فى عهد علنى. ها أنا هنا مستعد
- وعلى الرغم من ذلك فكرت فجأة بالصلوات والتضرعات
- إذ كان التضرع بالنسبة إلى حكمة والذبيحة شريعة
- واليوم الذى فيه نمجد الإله يكون يوم حبور
- ويوم الطواف من أجل الإلهة يكون يوم ربح وفائدة
- والصلاة من أجل الملك كانت كل فرحى
- والموسيقى من أجله كانت سعادتى
- لقد أخضعت بلادى إلى احترام طقوس الإله
- وعلمت أتباعى إجلال اسم الإلهة
- وساويت بين تسابيح الإله وتسابيح الملك
- وقد اعتقدت أن كل ذلك يروق للإله

- غير أن ما يبدو لى صالحاً قد يكون بنظر الإله إساءة
- وماهو مكروه بالنسبة لنا قد يكون حسناً عند الإله
- فمن هو الذى يستطيع إدراك مرامى الآلهة فى السماء؟
- ومن هو الذى يدرك التصاميم الإلهية فى اللجة
- وأين يتعلم الفانون طرقات الإله؟
- فمن يكون البارحة بصحة جيدة يموت اليوم
- وذو الوجه المكفهر سرعان ما يستعيد نشاطه
- وإذ يهم بالعطس. فإنه يطلق لحناً فرحاً
- وبعد خطوة ينوح كالنداب
- وما أن يفتحوا أفواههم ويغلقوها حتى تتغير روحهم
- فهل هم جياع؟ إنهم كالجثث
- هل هم فى امتلاء. إنهم يتخاصمون مع آلهتهم
- وفى وقت السعادة يفكرون بالتدرج نحو السماء
- وهل هم يتألمون؟ إنهم يشتكون من نزولهم إلى الجحيم
- وإزاء هذه التناقضات أتساءل دون أمل إلى المعنى العميق
- أنا المضنى الذى تطارده العاصفة
- وزيادة على ذلك فقد أصابنى مرض منهك
- وعصفت بى ريح آتية من عمق الأفق
- وانتشرت حمى «الريو» من على سطح العالم السفلى
- والسعلة الكريهة أتت من عالم «الآبو»

- واندفع من الأيكور الشيطان «أتوكو» الذى لا يقاوم
- و«اللاماشتو» نزل من قلب الجبل
- ومع قبض النهر أتت الرعشة المثلجة
- ونبت الذبول من التربة مع الخضرة
- فقد تضافرت كل هذه الأوبئة واقتربت منى
- فصدعت رأسى وضغطت على جمجمتى
- إن وجهى قد عتم وعينى قد ثقلتا
- فحلت الأوجاع فى رقبتى وشلت عنقى
- وأصابت صدرى وانقضت على أحشائى
- ومرغت جسدى ورقبتى فى الصرع
- والتهب أعلى معدتى
- لقد تبلبلت أحشائى وتشوشت أعضائى
- وجعلتى أقذف بلعابى كما ألهبت رئتى
- ألهبت كل أعضائى وأصبح ذهنى يهتز
- وقامتى الشامخة انخفضت وهوت كما يهوى الجدار
- والتوى منكباى العريضان كالقصبة
- فهبطت منسيا كالعشبة أعفر الأرض بوجهى
- لقد لبسنى الشيطان «آتو» كما يلبس الرداء
- وأحاط الرعب كالشبكة
- وجحظت عيناى ولم تعودا تريان شيئاً

- وعلى الرغم من أن أذنىَّ مفتوحتان فإنهما لا يسمعان
- الشلل أحاط بكامل جسدى
- والرعشة أعثرت كامل لحمى
- فأخذ التصلب بمجامع ذراعى
- والعفن دب فى ركبتى
- لقد نسيت رجلاى السير
- وحلت بى صدمة وها أنا أختنق فجأة
- الموت دونى وقد خيم على وجهى
- لم أعد أصغى إلى مفسر الأحلام
- عائلتى تبكينى وقد فقدت الوعى
- وضُعت كمامة على فمى
- ومزلاجٍ أغلق شفتى
- بابى موصد وينبوعى جف
- وجوعى يطول وحنجرتى مغلقة
- وإذا ما ناولونى حبة فإنى أشعر بها وكأنها نتن
- لقد أصبحت الجعة وهى حياة البشر، كريهة المذاق
- وزيادة على ذلك لقد طال أمد هذا الألم
- وفسدت قسماتى من قلة الغذاء
- وتهدل لحمى وسال دمى
- لقد برزت عظامى تحت جلدى الذى يغطيها وحده

● كما أصبحت عضلاتى ملتهبة وكأنى أصبت بعلة «أوريكتو»
● فأصبح سريرى كسجن إن حاولت فتحت وطأة الأنين
● أصبح بيتى وكأنه بالنسبة لى سجن
● كما أصبح لحمى غطاء لذراعى المتصلبتين
● وتوضعت رجلاى وكأنهما فى سلاسل
● إليمة جداً هى الصدمة التى أصابتنى وجرحى خطير
● إن السوط الذى سقط على ملىء بالشوك
● والمنخس الذى اخترقنى كله شوك
● وفى كل يوم يضطهدنى معذب
● ولا يدعنى فى الليل أتنفس لحظة
● وفى الاضطرابات التى وقعت فيها تهدمت عضلاتى
● ويفعل التفسخ تبعثرت هنا وهناك
● وفى الاسطبل كنت أقضى ليالى كالثور
● إن أعراض مرضى أفزعت الرقاء
● ودليل شؤمى فات على الرقاء
● لم تتوضح للرقاء أسباب مرضى
● ولا العراف حدد نهاية لمرضى
● ولم يأت الإله لمساعدتى ولم يأخذ بيدى
● وإلهتى لم تشفق على ولم تمش إزائى
● قبرى مفتوح وحليتى الأخيرة مهيأة

- لقد وقع عليَّ النحيب قبل موتى
- وقالت عنى البلاد كلها: لقد عومل دون حق
- وإذ سمعت ذلك فمن كان يريد بى شراً إنفرجت أسارير وجهه
- وعندما أخبروا بذلك كم يريد بى شراً فرح قلبه
- غير أنى أعرف جيداً يوم عائلتى
- حيث تشفق الشمس على كل معارفى

اللوحة الثالثة

- كانت يده ثقيلة ولم أستطع تحملها
- كان خوفى منه هائلاً....
- كان وجهه غاضباً وصوته كالطوفان ذاته
- وكان تصرفه عنيفاً...
- ويفعل هذا المرض المضنى، لم أعد أعى ذاتى
- فقدت الوعى وجعلنى ألمى أهذى
- فكنت أنتحب ليل نهار
- وفى الحلم كما فى اليقظة كنت سقيماً جداً
- وإذ بفتى ذى قامة غير مألوفة
- وبنسب عضلية رائعة
- وثياب نظيفة
- يشع منها بهاء غير طبيعى
- وفى أردية مخيفة

- يظهر لى واقفاً فوق رأسى
- وعندما رأيته، أصابتنى الشلل
- فقال لى: أرسلتنى السيدة لأقول لك:

● ● ●

إن/... الأسطر الخمسة اللاحقة.../ محرومة جداً بحيث لا تسمح بإعطائنا فى هذا الحلم الأول سرداً متماسكاً فنقرأ فيه فقط:

«إنى أعلنه... وقد استدعتنى لعند الملك نفسه... فى هدوء... وفى هدوء أصغوا إلى...» ويعود النص إلى الوضوح مع الحلم الثانى

● ● ●

- وللمرة الثانية رأيت حلماً.
- وفى الحلم الذى رأيته فى هذه الليلة
- ظهر لى كاهت مطهر
- يمسك بيده المن المطهر
- إنه «تاب- أوتول- أنليل» مطهر نيبور قال لى:
- لقد أرسلنى إليك لأطهرك
- وسكب على الماء الذى يحمله
- وأطلق رقية الحية وفرك جسدى
- وفى المرة الثالثة رأيت حلماً
- وفى هذا الحلم الذى رأيت هذه الليلة
- تظهر لى فتاة بهية الطلعة
- سيدة الشعوب، أشبه ما تكون بإلهة

- ظهرت لى وجلست عند رأس السرير
- أسألك الشفاعة أنا الذى أتألم جداً
- قالت: لا تخش شيئاً سأتدخل من أجلك...
- إنى أسأل العفو عنه، هو المتألم جداً
- وأياً كان من أنته هذه الرؤية فى الليل
- قد ظهر فى الحلم «أور- نين- دين- لوجاء البابلى
- إنه فتى، ملتح يعلو رأسه التاج
- إنه مردوخ نفسه كما قال: هو الذى أرسلنى لأقول لك:
- إنى أجلب لك الرخاء يا مشويشى- ميشرى- شاقان»
- وهكذا، يكون مردوخ نفسه قد وشعنى بين يدى الشافى
- وفى يقظتى أرسل يبتغينى
- مظهرا لجميع رجالى علاقة عطفه بكل وضوح
- لقد خلصنى دفعة واحدة من الألم المزمن
- وفجأة توقف مرضى وتحطمت قيودى
- وبعد أن هدأ قلبى بتدخل سيدى
- هدأت روح مردوخ الرحيم
- لقد تبلغ تضرعاتى وتقبل صلواتى
- وبعد أن أظهر وداً وعطفاً نحوى
- عفا عنى أنا الذى كنت أتألم جداً
- حل عقدة آثامى التى اقترفتها

● وأبعد عنى العقوبات الإلهية التى تحملتها

● وعفا عن جميع المخالفات التى اقترفتها

● وذر فى وجه الريح كل الإهمالات التى وقعت فيها

● ● ●

يبدو أن ثمة مقطوعة تتم إلى حد ما هذا النص وهى تحكى كيف أعاد مردوخ إلى الصالح المتألم صحته، بطرده تدريجياً كل الأمراض التى انصبت عليه

● ● ●

● قرب منى صيغته التعزيمية التى تقيد العلة

●ه وطرد الريح الخبيثة حتى عمق الأفق

● ومن على سطح العالم السفلى أفنى حمى «دييو»

● وفى الأبسو عرينه أسقط العلة الخبيثة

● وأبعد الإيكور «أوتوكو» الذى لا يقاوم

● وطرد «الماشكو» إلى الجبل

● وإلى فيض النهر أو البحر أعاد الرجفة المثلجة

● وكالعشب انتزع جذر النتن

● أما الخوف اللعين الذى كان يخترق نومى

● فقد أجبره على الانتشار كالدخان الذى يملأ السماء.

● وجعل أرزائى وتأوهاتى

● كالضباب ترتفع وتختفى فى الأرض

● كما أن وجع رأسى الدائم الذى يثقل على كالغيمة

● أوقفه وكأنه ندى الليل وطرده بعيداً عنى

● وعيناى الجاحظتان وقد غلفهما الموت

● أبعد عنهما الموت ٣٦٠٠ فرسخاً وعندئذ عاد الوضوح إلى بصيرتى

وأذناى اللتاين كانتا مغلقتين ومسدوتين

● فقد رفع عنهما الصملاخ فانفتح سمعى

● أما أنفى، فمن شدة الحرارة أختنق تنفسى

● لقد أخفض من حدة دائى حتى استطيع التنفس بسهولة

● ومن على شفتى المسعورين قد اتخذنا...

● مسح الرعب وفك عقدة التشنجات

● وفمى الذى كان مغلقاً وغير ماهر فى التحدث

● قد نظفه وأصبح كالنحاس وجعل كمده يشع

● وأسنانى التى كانت مكزوزة مضغوطة ككتلة واحدة

● فتحها عن بعضها وحرر جذورها

● ولسانى المتشنج الذى لا يقوى على الحركة

● نظفه مما كان يلونه فأصبحت ذلق اللسان

● وحلقى الذى كان مسدوداً وهو يختنق وكأنه محاصر

● أعاد إليه وضعه السليم وأصبح صدرى يعزف مثل الناى

● وجذر لسانى الذى كان منتفخاً ولم يعد يتلقى الهواء

● أنهى أوساخه لتنتهى فيعود إلى طبيعته ويتحرر

● ● ●

يتوقف النص عند بعض/... الأبيات المخرومة.../ ومن نهاية اللوحة التى لم تحصل عليها، توجد سلسلة من الأبيات مذكورة بصورة مستقلة فى الشرح

تعطينا بأقل الدرجات بعض الدلائل. إن أكثرها ينتهى الصيغة ونفس المعنى فى السرد السابق.

● ● ●

- وحتى شاطئ النهر، حيث تتم مقاضاة البشر
- مسدوا جبهتى وتحررت من العبودية
- فجبت رحاب الخلاص رحاب طريق «كونوش - كادرو»
- إن من أخطأ بحق الإيزاجيل ليأخذ عبرة عنى
- إنه مردوخ هو الذى وضع الكمامة على فم من كان يلتهمنى
- مردوخ هو الذى خطف مقلاع من كان يطاردن ويرد عنى الحجر

اللوحة الرابعة

/... الأبيات الأولى مفقودة أو تألفة إلى حد ما.../

● ● ●

- لقد رأى البابليون كيف أن مردوخ يعيد إلينا الحياة
- فمجد عظمته كل الساكنين فى المناطق
- فمن تصور أنه سيرى الشمس ثانية
- ومن واتته فكرة الذهاب إلى آخر الشارع
- ومن يكون سوى مردوخ الذى يرد الحياة إلى المشرف على الموت
- وما عدا «زربانيتو» فأى إلهة تعيد الحياة
- إن بإمكان مردوخ أن يحيى من هو فى القبر
- و«زربانيتو» تعرف كيف تجنب الإنسان الكارثة

● فحيثما تكون الأرض وتمتد السماوات
● وحيثما تسطع الشمس أو تشتغل النار
● وحيثما تجرى المياه وينفخ الريح
● إن «أرورو» هو الذى عجن الطينة البدئية
● وجعلها على هيئة خلائق حية تسمى
● فيا أيها الفانون مجدوا عظمة مردوخ

● ● ●

يوجد هنا/... نقص يقارب الثلاثين بيتاً.../ ويبدو أنه بعد أن تابع مديح مردوخ و «زربانيتو» ذكر الرجل الصالح فى نهاية الأمر فعل الشكل الذى قدمه إلى الإيزاجيل وانتهى باسترداد صحته والسلام والسعادة.

● ● ●

● فى غمرة السجود والتضرعات ذهبت إلى الإيزاحيل
● أنا الذى نزلت إلى القبر قد عدت إلىَّ باب الشمس المشرقة
● إلى باب الخيرات، أعيدت إلى الخيرات
● إلى باب الملاك الحارس فعاد إلى جانبى ملاكى الحارس
● إلى باب الخلاص حيث وجدت الخلاص
● إلى باب الحياة حيث وجدت نعمة الحياة
● إلى باب الشمس المشرقة حدث عدت من جديد إلى عداد الأحياة
● إلى باب النبوءات فتحققت نبوءاتى
● إلى باب غفرات الخطايا، فغفرت خطيئتى
● إلى باب المديح حيث تمكن فمى من السؤال

● إلى باب نهاية التأوهات، فتوقفت تأوهاتى
● إلى باب المياه العذبة مياه التطهير حيث اغتسلت
● إلى باب السلام حيث واجهت مردوخ
● إلى باب الكمال النهائى فقبلت رجل «زربانيتو»
● وفى حالة من الابتهال والتضرع لم أنفك عن الصلاة
● فوضعت أمامهم البخور العطر
● وقدمت الهدايا والقرابين بأكداس
● وذبحت ثيراناً سمينة وخرافاً ضخمة
● وسكبت الخمور، والجعة المعسلة، والخمر النقى
● إلى الملاك المخلص، إلى الملاك الحارس إلى الآلهة حراس جدران الإيزاجيل
● ومن كثرة ما سكبت من الخمور جعلتِ بشاشتهم تشع
● وبطعام غزير أفرحت قلبهم

■ ■ ■

حكماء وأساطير الصعود

أسطورة آدابا

لقد وجدت فى بلاد ما بين النهرين قصص تاريخية أو خرافية ذات علاقة وثيقة بالتقاليد الملكية يقال عنها أساطير الحكماء، يستنير بها الملوك بالنصائح التى تسديها إليهم من جيل إلى جيل. وكانت هذه النصائح تزيد من معارفهم الإنسانية. إذ كانت إلى حد ما الحكمة على سلم العرش.

وقد عرفت مصر الفرعونية مثل هذه الصيغ. إن سيرة «أحيقار» وهى من مصادر آرامية تعتبر من أشهر القصص. ونحن نعرف أن ملكاً عاش فى «بلاط» آشور فى القرن السابع قبل الميلاد وقد جاء فى لائحة اكتشفت حديثاً ما يلى: تحت حكم الملك أسرحدون كان ثمة حكيم يدعى «أبا نينو - دارى» يسميه الآراميون «أحيقار». وقد حكى الآرامى الأخلاقى قصية بشىء من الفكاهة، اشتهر منها موضوع مفضل يتعلق بهذه التقاليد وفحوى ذلك، أن الغضب الذى لحق بالحكيم بفعل نكرانه لجميل الملك أعفى عنه وعاد فى ساعات الخطر. والموضوع لم يكن منسياً تماماً فى بلاد ما بين النهرين، إذ إننا نلاقى صداه فى الأمثال السائرة كقولهم: إن الحكيم الوزير.. الذى نسيه سيده عندما شعر هذا السيد بحاجة إلى حكمته عاد واستدعاه.

ولكن المصادر الآشورية البابلية أكدت جوانب أخرى فى أسطورة الحكماء. ففى العهود التاريخية عرف الحكماء فى المؤلفات الأدبية أو الأخلاقية التى اشتهرت بمؤلفيها.

ففى العهود الأسطورية، ارتبط ذكرهم بعلاقات الحكماء مع الآلهة الذين كانوا تارة عطوفين وتارة حسودين من هؤلاء الأشخاص النادرين فى كشف الأسرار.

كان يرعاهم الإله «إيا» إله الذكاء والمعرفة وبفضل هذا كانوا يشاركون فى معبده إله المياه والجحيم، مصدر كل المعارف: «أين هم إذن حكماء الجحيم السبعة «سمك البورادو» الطاهرون مثل أبيهم «إيا» المنعمون بالفهم الواسع» وهذا ما نقرؤه فى نشيد «إيرا». فتحت هذه الصورة عاش ذكرهم حتى أيام «بيروز»[1] الذى يحكى فى «بابلياته» أن «يونس» الإنسان السمكة خرج من البحر فى يوم من الأيام ليعلم البشر أولى مبادئ الحضارة.

وفى لائحة الحكماء الأسطوريين المار ذكرهم توجد أسماؤهم إزاء أسماء ملوك ما قبل الطوفان المقدر أنهم عاشوا فى زمنهم سبعة منعهم تعاقبوا على إيردو وباد تيبيرا ولاراك وزمير وكما يقول النص وبعد الطوفان تحت حكم أنيميكر كان الحكيم «نون جال بيرى جال» الذى هبط من السماء فى «الإيانا» الإلهه عشتار واخترع القيثارة من البرونز ذات ملاد من اللازورد. وإلى جانب هؤلاء الحكماء يوجد تلميح فى إحدى الرقى إلى الحكماء كما يلى:

– كان الأول آدابا الكاهن المطهر فى معبد أريدو الذى صعد إلى السماء فالحكماء الطاهرون سمك بواردو الحرى، وعددهم سبعة وهم الحكماء الذين عاشوا فى النهر وأمسكوا بالتناغم بين السماء والأرض وهم:

– «نون بيريجالديم» حكيم الملك اينميكار الذى أنزل من السماء الإلهة عشتار إلى معبد «إيانا».

– «بيريجا لنون جال» الذى خلق فى كيش وأغضب جداً الإله حدد فى السماء فأوقف المطر والخضار ثلاث سنوات.

– «بيريجا غالابزو» الذى عاش فى أريدو وعلق دلوه بسمكة «سوها رماشو» فأغضب الإله إيا فى الجحيم فقطع فقرات دماغه.

– وكان الرابع «لونانا» حكيم بثلثيه فقط الذى أخرج التنين «أوشو جللو» من «إينينكار نونا» عشتار معبد الملك شولجى.

---

(١) كاهن بابلى.

- وأما الباقون فهم بشر وهبهم السيد «إيا» إدراكاً كاملاً وواسعاً. فإذا قابلت هذه اللائحة بالسابقة تلاحظ أنه فيما يتعلق بالقدماء فإن المأثور غير ثابت، بينما كان ثابتاً فى المقدمة ذاتها حيث يشار إلى نوع آخر من هذه المخلوقات النادرة فى البرارى كالحيوانات.

ومن نص آخر ذى صفة طبية تأكيد على أن «أنليل - موباليت» حكيم نيبور: هو مأثور الحكماء القدامى قبل الطوفان فى السنة الثانية من حكم «أنليل - بانى» ملك السين.

وثمة نشيد موجه إلى الملك شولجى يسجل اسم أحد الحكماء وهو «أور - جانوما - دوغا» الذى ولد فى مدينة أور ووصفه بأنه «مطهر العالم».

فإذا انتهى ذكر هؤلاء الحكماء فى عهد الآشوريين والبابليين فإن ذكرهم لم يستمر إلا فى القصص الغامضة ومع هذا فقد استمر المعتقد بأنهم أصحاب سلطات غير طبيعية.

فمن أجل الشفاء من مرض أو التنبؤ به كانوا دوماً يلجأون إليهم. فكانوا يستدعونهم فيصيغون صوراً تمثلهم. أما عددهم وشكلهم وأسلوب عملهم فكان يختلف من نص لآخر.

بيد أنهم كانوا يمثلونهم بشكل طيور أو أسماك. وهذا التخيل يذكر بصعود «آدابا» إلى السماوات أى انتساب الحكماء القدامى إلى العالم المائى عالم الإله «إيا». وكانوا يرمزون إليهم بعدد سبعة وكان هذا العدد نفسه بمثابة رمز.

ومن بين الأساطير التى تحكى حياة الحكماء ومآثرهم، وصلت إلينا فقط أسطورة «آدابا» وهى تحكى كيف صعد إلى مكان إقامة الآلهة ثم عاد بعد أن نزل إلى الجحيم. فبقى «آدابا» الحكيم الأعظم واتخذ مكاناً له فى أدروك، فى معبد «آنو» والاعتقاد بصعوده كان مصدر إيمان فى الديانة الرسمية. وكهنة الإيزاجيل لم يطعنوا فى ملك بابل نبونيد الذى سبق وأعلن أن «آنو» لم يعرف اسم «آدابا» (٥٥٥- ٥٣٩)، إن اسم آدابا الأصلى «وآنا - آدابا» والمقطع الأول من

الاسم يشتق دون شك من صيغة هيلينية «تذكر بيونس».

ولقد وصل إلينا نص النشيد فى ثلاثة أجزاء متفاوتة الأهمية. إن أوسعها وجد فى مصر بين مستندات تل العمارنة. ولوحتان أخريان مؤلفتان جزئياً فى بداية ونهاية النشيد. فالنشيد بسيط واضح ومع ذلك جرت مناظرات عديدة حول مضمون الأسطورة العميق لأنه يثير معضلات دينية فلسفية كبيرة. فسلوك الإلهين «آنو وإيا» يثير الدهشة.

فهل كان «إيا» وفياً فى نصحه إلى محميه بألا يركن إلى تقدمات «آنو» وهل كان ذلك عن جهل منه أو على أساس حكمة عميقة تمنع «آدابا» من الحصول على الخلود؟.. إن نهاية النشيد التالفة جداً، تجعلنا نبتعد عن فهم مرمى «إيا». فالبعض رأى فى سلوك «آنو» لعنة كقصاص لـ آدابا على جرأته. هذا ومن المفضل كما يبدو أن نترجمها كبرهان على عدل «آنو» فقد اعتقد أن آدابا كان يستحق الخلود حتى وصل دون أى ضرر إلى مقر الخالدين. ومادام قد سيطر على ريح الجنوب فقد منحه بعدل هبة شفاء الأمراض التى تجلبها ريح الجنوب إلى البشرية.

■ ■ ■

نشيد آدابا

البدء/.. مخروم.../ ومن المقرر أن الإله إيا يجهز الحكيم بالفضائل اللازمة التى كان يظهرها بين البشر

●●●

- لقد أراد أن تكون كلمته مسموعة مثل كلمة آنو
- لقد حصل على إدراك واسع لينبئ عن مستقبل البلاد
- وقد منح هذا الرجل الحكمة دون أن يمنحه الخلود
- وفى هذا الوقت وهذه السنين كان الحكيم من مواليد أريدو
- وقد خلقه من بين البشر كمثال
- إنه حكيم ولا أحد يرفض كلمته
- إنه عالم ولا يوجد أذكى منه من بين الأنوناكى
- إنه قديس ويداه طاهرتا إنه كاهن ممسوح شديد التعلق بالطقوس
- كان يطهو مع الطهاة
- ومع طهاة أريدو كان يطهو
- وكان كل يوم يقدم الطعام والشراب
- ويهيئ بيده الطاهرة مائدة القرابين
- ويرفع الأطباق وحده
- كان يقود السفينة ومن أجل أريدو يصطاد فى المياه العذبة

- وفى هذا الوقت بالذات، كان آدابا ابن أريدو
- يسهر على مكان أريدو المقدس إذ يكون إيا مضطجعاً على سريره
- وفى يوم من الأيام ومن على الرصيف المقدس أبحر فى مركب شراعى
- فعصفت الرياح وكادت السفينة أن تتوه
- وبالعصا فقد أصبح يقود السفينة
- وإذ وصل إلى وسط البحر الواسع
- بدأ يصطاد . وكان البحر كالمرآة...
- غير أن ريح الجنوب بدأت تعصف وكادت تغرقه
- وتنزله إلى مرقد الأسماك
- فصرخ: أيتها الريح الجنوبية لتكن ملعونة كل أعمالك المؤذية
- فهل «أكسر جناحك!» وعندما نطق بهذه الكلمات
- إذا بجناح الريح الجنوبية ينكسر
- وتمر سبعة أيام دون أن تعصف الريح الجنوبية على البلاد
- فدعا آنو رسوله «ايلا برات» وقال له:
- لماذا لم تعصف الريح الجنوبية على البلاد منذ سبعة أيام
- فأجاب رسوله «ايلا برات»: يا سيدى
- إن «آدبا» ابن إيا كسر جناح الريح الجنوبية
- عندما سمع «آنو» هذه الكلمات
- صرخ: أوه! وقام عن كرسيه
- وقال: «ليأتونى به حالا»
- ولكن «إيا» كان يعرف ما فى السماوات

- فلمس آدابا وجعل شعره وسخاً
- وألبس ثياب حداد
- ومن ثم: زوده بهذه التعليمات
- يا «آدابا»، إنك ستذهب شخصياً وتمثل أمام آنو الملك
- ستأخذ طريق السماوات وعندما تصعد إلى السماوات
- وتقترب من باب آنو
- ستجد فى باب آنو دموزى وجيزيدا(١)
- وإذ يريانك سيطرحان عليك بعض الأسئلة:
- أيها الرجل. لماذا علمت بنفسك هكذا؟
- يا آدابا، لماذا لبست ثياب حداد؟
- فتقول لهما: لأن إلهى اختفيا من بلادنا
- ولذلك عملت بنفسى هكذا - ومن هما الإلهان
- اللذان اختفيا من البلاد؟ - هما دموزى وجيزيدا
- وعند ذلك يتطلع الواحد إلى الآخر
- ويستغرقان فى الضحك، وستكون هذه الكلمات لصالحك
- إذ عندما ينقلانها إلى آنو. وعندما يسمحان لك
- برؤية وجه آنو وإذ تمثل أمام آنو
- سيقدمون لك خبز الموت
- فلا تأكل منه وإذا قدموا لك ماء الموت
- فلا تشرب منه. وإذا قدموا لك ثياباً

---

(١) النها الخصب والخضار.

● فالبسها. وقدموا لك زيتاً فامسح به جسدك

● لا تهمل التوصيات التى أعطيك إياها

● واحفظ جيداً ما أقوله لك

● أثناء ذلك وصل رسول آنو الذى قيل له:

● لقد كسر آدابا جناح الريح الجنوبية

● فقال له آنو آتنى به

● فدله على طريق السماء

● وعندما وصل إلى السماوات

● واقترب من باب آنو

● رأى على باب آنو دموزى وجيزيدا

● وإذ رأياه صرخا: «أوه»!

● أيها الإنسان من أجل من عملت بنفسك هكذا

● ومن أجل من لبست ثياب حداد؟.. فأجاب:

● لأنه اختفى من البلاد إلهان

● فلبست ثوب الحداد هذا

● فقال آنو: من هما هذان الإلهان اللذان اختفيا من البلاد؟

● إنهما دموزى وجيزيدا

● فالتفت الواحد إلى الآخر

● وضحكا. وعندما اقترب آدابا من الملك صرخ به قائلاً:

● تعالى إلى هنا يا آدابا. ولماذا كسرت جناح الريح الجنوبية؟

● أجاب آدابا: «يا سيدى»

- من أجل معبد سيدى القائم فى وسط البحر
- كنت اصطاد السمك. وكان البحر كالمرآة
- فبدأت ريح الجنوب تعصف لتغرقنى فى مرقد الأسماك
- ومن غضب قلبى لعنت الريح الجنوبية. وعندئذ
- أخذ كل من دموزى وجيزيدا يدافعان عنه.
- فقالا لـ آنو الذى هدأ قلبه وتأثر:
- «أيا» لماذا، من أجل إنسان غير مستحق
- كشف عن أسرار السماء والأرض
- ومنحه قلباً صلباً وجعل له اسماً
- فلماذا نعمل له: خبز الحياة
- فليقدم له ويأكل
- فجلبوا له خبز الحياة فلم يأكل
- جلبوا له مياها لحياة فلم يشرب
- جلبوا له ثوباً فلبسه
- جلبوا له زيتاً فمسح به جسده
- نظر إليه آنو وضحك منه:
- تعالى إلى هنا يا آدابا. لماذا لم تأكل ولم تشرب
- إنك لن تكون خالداً بيد أن «إيا» سيدى
- هو الذى قال لى، لا تأكل ولا تشرب
- – فقال آنو: خذوه إذن وأعيدوه إلى الأرض

عثر على جزء آخر من القصيدة يحمل ترجمة أخرى.

- أمر بأن يؤتى له بزيت فمسح جسده به
- أمر بأن يؤتى له بثوب. فلبسه
- وعند ذلك ضحك آنو
- من بين آلهة السماء والأرض وهم على ما هم عليه
- من منهم كان يستطيع أن يقول هكذا؟ من سيأمر كما أمر
- مهما كان كبيراً ومعادلاً إلى آنو
- بيد أن آدابا قد شاهد السموات من أساساتها حتى السمت
- لقد تمكن من مشاهدة بهاء آنو الذى لا يقاوم
- وعندئذ وضع آنو على آدابا يداً راضية
- ومنح لمعانه إلى أريدو مدينة «إيا»
- وحدد قدره بأن يزهو ويزهو كهنوتها إلى الأبد
- ومن ثم ماذا.قال آدابا البشرى؟
- إنه كسر جناح الريح الجنوبية بوسائله الخاصة
- وبلا عقاب صعد إلى السماء وليكن هكذا
- إلى كل بشر تؤذيه الريح الجنوبية
- وأى مرض يجعله يصيب أجساد البشر
- فإنه مع «نينكاراك»[1] يمكنه أن يهدئه
- فلتذهب إذن العلة وليذهب المرض
- ومن دونه فلتقع الحمى الثلجية
- وليستمر المرض دون أن يرتاح فى نوم لذيذ

(١) إلهة الصحة والشفاء.

أسطورة إيتانا

فى الحالة التى وصلتنا فيها الأسطورة، لا يمكن تقدير اتساعها وحتى استخلاص المعنى العميق للقصيدة التى أعطاها المعلقون الحديثون. عنوان «أسطورة إيتانا» بينما القدماء سموها تحت عبارة: «عندما الآلهة رسموا المدينة».

إن مصادر القصيدة متعددة، فقد نشر منها نحو خمس عشرة لوحة أو أجزاء طويلة. وكلها تعود لعدة أنماط للمؤلف، دون أن تعيد بناء النص بكامله. وتعود هذه المصادر إلى أصول وتواريخ متنوعة. تعود القديمة منها إلى بابل أو «شوز» والعهد الآشورى المتوسط وآشور والعهد الآشورى الحديث وإلى قصر «نينوى». وعلى أقل تقدير تدل هذه المصادر أن القصيدة لاقت خلال عدة قرون انتشاراً واسعاً وشهرة كبيرة فى ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين.

ولكن، على ضوء ما نعرف، فإن هذه الأساطير متنوعة غير كاملة، ولايوجد خيط واحد يربط بين الأحداث الثلاثة المتبقية منها.

تبدأ الأسطورة فى إظهار مطلع الحياة المدنية فى الوقت الذى لم تكن فيه الملكية قائمة على الأرض إن مبادئ وخاصية الملكية كانت يوميذ محصورة بالآلهة.

من هذه المقدمة، التى تتوقف فجأة بسبب التلف فى اللوحات، لا نرى جيداً كيف يدخل المؤلف فى جو القصة حيث يقودنا المشهد الثانى. ويضع هذا المشهد على مسرح الأحداث حية ونسراً، ارتبطا بصداقة قوية. فكانا يعيشان فى أخوة إلى أن التهم النسر فراخ الحية. فصرخت الحية أمام الآلهة، معلنة عزمها على الانتقام، فيحكم على النسر أن يموت من الجوع والعطش فى داخل جحر لا يمكن الخروج منه. لقد تأثر الإله شمش بشكواها فقاد إيتانا حتى الجحر الذى

سيفنى فيه النسر وإيتانا هذا هو بطل الجزء الثالث من القصة..

إيتانا معروف خارج أحداث الأسطورة. إن لوائح الملوك القديمة تجعل منه الملك الرابع لسلالة كيش الأولى أى العاهل الثالث عشر الذى حكم بعد الطوفان، وقد سجلت له هذه اللوائح عمراً خيالياً أى ما يقارب ٦٣٥ سنة كما تقول بعض اللوائح بينما غيرها يسجل له ١٥٠٠ سنة من العمر.

ولكن بموجب هذه القصة الخرافية، كما هو الحال فى تقاليد العرافين أو فى الفهرس المصدر لصنع النحاتين. فإن هذا الملك القديم الإله الذى يطلقون عليه أحيانا لقب «الراعيش قد اشتهر بنوع خاص بصعوده إلى السماء.

وبكل تأكيد إن هذا الصنيع قد احتوى الفصل الثالث من الأسطورة.

قبل إيتانا بإطعام النسر المحتضر وأن يخرجه من جحره شرط أن يساعده على أن يحصل على «نبتة الإنجاب» التى بفضلها ستنجب له زوجته ولداً.

وعلى أساس هذا العهد إن النسر سيحمل «إيتانا» فوق جناحيه ويصعد إلى السماوات.

إننا لا نعلم جيداً نهاية هذه المغامرة، ويبدو أنه إذ وصل إلى عتبة العالم الإلهى رفض إيتانا الصعود أكثر من ذلك، فنزل إلى الأرض ولم يبلغ مأربه أو بالحرى سقط عن ظهر النسر وسرعان ما خفف النسر من وقع هذا السقوط.

فإذا تركنا جانباً هذه القصة الخرافية فإن خطوطها الأساسية تؤكد مصدر الملكية الإلهى كما تبرز الزمن الذى نزلت فيه الملكية من السماء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تظهر عبثية الجهود التى تمكن مخلوقاً بشريا من أن يرتفع عالياً إلى دنيا الآلهة وبالتأكيد فإن إنساناً ما وبأقل تقدير «آدابا» هو الذى وصل إلى ذلك، ولكن قد تم هذا بعقل تواطؤ إله الحكمة.

أما «إيتانا» وهو الذى لا يملك الصعود إلى السماء سوى بإمكاناته الأرضية أى أقوى جناحى طائر، فإنه سيفشل على الرغم من تدخل الإله شمش مرحباً

بهذه المغامرة.

وفى الواقع، هل يمكن أن نقول إنه فشل؟ فإذا كان تفسير القصيدة النهائى صحيحاً، فيكون إيتانا قد حصل على ما يريد على الرغم مما تعرض له. إن الآلهة ترفض للبشرى أن يعلو فوق طبيعته وعلى الرغم من ذلك كافأته على محاولته تلك.

ومن المستغرب فى هذه القصة طول الأحداث التى وقعت بين الحية والنسر لاسيما وأنها تبدو على هامش الأسطورة. غير أنها قد تكون أقل هامشية كما تبدو. فالمهم أن النسر قد أجبر على تقديم أى مساعدة يطلبها الرجل.

وعلى ما يبدو فإن كل المغامرات السابقة، لم تكن سوى ترابط ضرورى لذلك الإذعان وقد تكون القصة حاملة اعتبارات أخلاقية خفية.

اللوحتان الأولى والثانية

- وضع الآلهة مخطط المدينة....
- وأسس الآلهة المدينة... ...
- وضع الآلهة أساساتها....
- والآلهة الكبار أنوناكى محددو الأقدار
- تذاكروا وهم فى المجمع بشأن البلاد
- مع آلهة الكون الذين يخلقون كل شكل
- مهيبة كانت هيئة الايجيجو فى نظر البشر
- لقد حددوا للبشر عيد رأس السنة
- دون أن يعينوا ملكاً يحكمهم
- فلم يكن حتى ذلك الزمان من عمرة أو أكليل

● ولا من صولجان مرصع باللازورد

● ولا من عرش قد أقيم حتى ذلك الحين

● وكان الآلهة السبعة يوصدون الأبواب وراء البشر

● وفى الأماكن المأهولة كانوا يوصدون الأبواب

● وكان الايجيجى يحيطون بالمدينة

● وفى هذه الحالة كانت عشتار ترغب فى إيجاد راع للبش

● فكانت تفتش عن ملك للبلاد

● وترغب «أنينا»[1] فى إيجاد ملك البلاد

● فأخذ أنليل فى التحرى عن عروش فى السماء

● ففتش فى كل مكان عن عرش الملك

● لأنه لم يكن بعد من ملك فى البلاد

● وعندئذ نزلت الملكية من السموات

● فقرر «أنليل» أن يخلق ملكاً للبلاد

● وآلهة البلاد...

وهنا تتوقف الفاتحة بسبب/... كسر مهم جداً.../ وعندما يعود النص إلى مجراه فى الفقرة... ب يأخذ نغمة وكأنه حكاية يمكن أن نطلق عليها اسم: «النسر والحية».

● فتح النسر فمه وقال للحية

● تعالى نتصالح نحن الاثنين

● ولتكن شريكين أنت وأنا

---

(١) اسم آخر لعشتار.

- فتحت الحية فاها وقالت للنسر
- تعالى إذن نعقد صلحاً أمام شمش
- ولتكن هناك عقوبة شديدة لمن يخل بالعقد
- وليكن لنا نحن الاثنين بمثابة محرم من قبل الآلهة
- تعال ننهض ونتسلق الجبل
- ولنقسم بالجحيم أن نبقى أصدقاء
- وعندئذ أقسما اليمين أمام شمش:
- من منا يخل بقسم شمش
- فليقدمه شمش إلى يد الجلاد
- من منا ينتهك حدود شمش
- فليفقد الطريق ولم يعد يعرف الدرب
- ولتبعده الجبال عن منافذها
- والسلاح الذى يطلق فليرتد عليه
- وفخ شمش المحرم ليصرعه ويجعله أسيراً
- ولما أقسما بالجحيم أمام شمش
- وبعد أن نهضا وتسلقا الجبل
- ولداً سويا وسويا ولدا
- وكان ذلك فى ظل شجرة صفصاف حيث وضعت الحية فراخها
- بينما وضع النسر فراخه فوقها
- وفى يوم من الأيام بينما كل واحد منهما يراقب الكواسر

- وعندما كان النسر يأتى بصيد من الثيران أو الحمار الوحشى
- كانت الحية تأكل مع فراخها من هذا الصيد
- وعندما كانت الحية تجلب من صيد العنز البرى أو الغزلان
- كان النسر يأكل مع فراخه من هذا الصيد
- وعندما كان النسر يجلب من صيد الخراف الوحشية أو الثيران البرية
- كانت الحية وفراخها تأكل منها بدورهم
- وعندما كانت الحية تجلب من صيد فهود الصحراء ومن حيوانات البر
- كان النسر وفراخه يأكلون بدورهم منها
- فالنسر والحالة هذه كانت له حصة من الغذاء
- كبرت فراخه وأصبحت بالغة
- وبعد أن كبرت فراخ النسر ونمت أجنحتها
- راودت النسر أفكار سيئة
- وبعد أن راودته الأكفار السيئة
- قرر أن يلتهم صغار حليفته
- ففتح النسر فاه وقال لصغاره:
- إنى سألتهم صغار الحية
- وحتي أفلت من غضب الحية
- سأصعد إلى السماوات وأستقر فيها
- ولن أحط بعدها على رءوس الشجر لآكل من ثمارها
- فانبرى أصغر الفراخ وكان أذكاهم

- قائلا لأبيه النسر
- يا أبت لا تأكلها لأن شبكة شمش ستنال منك
- إن لعنة شمش ستطرحك وتأسرك
- إن من ينتهك حرمة شمش
- فإن شمش يحيله إلى يد الجلادين
- ولكن النسر لم يصغ إلى كلام أبنه
- وما كان منه إلا أن نزل والتهم فراخ الحية
- فى المساء عند المغيب عادت الحية
- حاملة بعض اللحم
- ووضعته قرب جحرها
- وتطلعت فرأت عشها قد اختفى
- فانحنت ولكنها لم تجد فراخها
- فبأظافرها فلحت الأرض
- وارتفع الغبار من العش وغطى السماء
- وبعدها نامت الحية وهى تبكى
- انهمرت - دموعها أمام شمش قائلة:
- لقد وثقت بك يا شمش البطل
- إنى قدمت إلى النسر كل مقدمات الصداقة
- لأنى خفت من قسمك واحترمته
- ولم أفكر بالأذى تجاه صديقى

● أما هو فقد بقى عشه سليماً وأما عشى ضرب
● إن عش الحية أصبح مكان التوجعات
● فراخه بقيت سليمة بينما فراخى فقدت
● لقد نزل والتهم ذريتى
● إن المصيبة التى أحاقت بى نعم يا شمش، إنك تدركها
● فإذا كانت شبكتك بالحقيقة سعة الأرض
● وحبالك ملء السموات الواسعة
● فيجب ألا يفلت النسر من شبكتك
● إنه صانع الشر والخطيئة
● فلما سمع شمش شكاوى الحية
● فتح شمش فاه وقال لها:
● اسلكى هذه الطريق التى تجتاز الجبل
● ومن أجلك قتلت ثوراً وحشياً
● فافتحى جنبه واثقبى بطنه
● واستقرى فى بطنه
● وعندئذ، فإن جميع طيور السماء تنزل لتأكل من لحمه
● ويكون النسر قد أتى ليأكل من لحمه
● دون أن يدرك الشقاء الذى سيحل به
● ومن اللحم فإنه سيفتش عن الرخص
● فيقترب من الدهن الذى يغطى الأحشاء

- وعندما يلج أمسكى بجناحيه
- اقطعى ريشه ورفلته
- وانزعى جناحيه واطرحيه فى جحر
- حيث يموت من الجوع والعطش
- وكما قال لها البطل شمش
- ذهبت الحية واجتازت الجبل
- وعندما وصلت إلى الثور الوحشى
- فتحت جنبه، ثم ثقبت بطنه واستقرت فيه
- وعندما أتت جميع الطيور
- وحطت لتأكل اللحم
- فلو كان النسر على علم بما سيصيبه
- لامتنع عن أكل اللحم مع جماعة الطير
- بيد أن النسر فتح فاه وقال لفراخه
- هيا ننزل ونأكل نحن أيضا من لحم الثور الوحشى
- فقال أصغر فراخه وهو الأذكى
- قال هذه الكلمات لأبيه:
- لا تنزل يا أبت! إذ ربما كانت الحية كامنة فى جوف الثور
- ولكن النسر لم يأبه له فقال:
- سأنزل وآكل من لحم الثور الوحشى
- كيف يمكن للحية أن تأكلنى؟!

- إنه لم يصغ إلى فراخه ولم يصغ إلى ما قال ابنه
- فنزل وحط فوق الثور الوحشى
- وفى المرة الأولى دقق النسر فى اللحم
- ليرى كل شىء أمامه وخلفه
- وبالدرجة الأولى دقق فى اللحم
- فتش كل ما يمكن أن يكون أمامه وخلفه
- وأخذ يتقدم خطوة خطوة وبكل حيطة
- حتى وصل إلى الدهن الذى يغطى الأحشاء
- وعندما دخل تعلقت الحية بجناحيه
- ففتح النسر فاه وقال للحية
- اشفقى على وسأقدم لك هدية كما لو كنت خطيبتى
- غير أن الحية فتحت فمها وقالت:
- إذا تخليت عنك فبماذا أجيب شمش فى الأعالى
- إن نتائج عقابك سترتد على
- العقاب الذى أنا بالتأكيد سأفرضه عليك
- وما كان منها إلا أن قطعت ريشه ورفلته
- ونزعت جناحيه وطرحته فى جحر
- حيث يموت من الجوع والعطش
- وفى كل يوم كان النسر يتضرع إلى شمش ويقول:
- هل حقاً سأموت من الوجع فى هذا الجحر

● من يعرف إنى أسأم هنا من قصاصك
● أنا النسر دعنى أعيش
● وإلى الأبد سأمجد اسمك
● أنت كنت سيئاً، لقد قرحت قلبى
● لقد انتهكت حرمة الآلهة وكل محظور
● وحتى إذا أشرفت على الموت فلن اقترب منك!
● ولكن لا فسأرسل لك إنسانا يساعدك
● كان إينانا يتوسل إلى شمش فى كل يوم
● أى شمش لقد أكلت كل خرافى السمينة
● وارتوت الأرض من أجلك بدم أكباشى السمينة
● لقد أكرمت الآلهة كما أكرمت أرواح الموتى
● وملأت أماكن التنبؤات بالخمور
● وأفممت الآلهة بالأكباش الأضاحى
● أيها السيد تلفظ بأمر من أجلى
● أمنحنى نبتة الإنجاب
● اكشف لى عن النبتة التى تساعد على الإنجاب
● ارفع عنى حملى واجعل لى اسماً
● فتح شمش فاه وقال لـ «إتيانا:
● امش فى هذا الدرب واجتز الجبل
● انظر إلى ثقب وانظر إلى ما فى داخله

● ففى داخله يوجد نسر

● إنه هو الذى يكشف لك عن نبتة الإنجاب

● وكما قال البطل الإله شمش البطل

● أخذ إيتانا طريقه واجتاز الجبل

● رأى الثقب ونظر إلى ما فى داخله

● فرأى فيه نسراً مقعداً

● وهذا ما دبره شمش أخيراً من أجله

اللوحة الثالثة:

فتح النسر فمه وقال لـ «شمش سيده»:

● إذا أخرجتنى من هذا الحجر

● وإذا قدمت لى عصافير واستعدت قواى

● فسأعمل كل ما يقوله

● شرط أن يقوم بكل ما أقوله له

● وبناء على أمر البطل، أخرجه إيتانا من الجحر

● فتناول النسر العصافير واستعاد قواه

● وعندئذ فتح النسر فمه قائلاً لـ إيتانا

● أنت إذن، قل لى لماذا أتيت إلى هنا؟

● فتح إيتانا فمه وقال للنسر:

● يا صديقى أعطنى «نبتة الإنجاب»

● اكشف لى عن النبتة التى تؤدى إلى الإنجاب

● أزح عن كاهلى هذا الثقل واجعل لى اسماً

● ● ●

يظهر هنا/... نقص كبير.../ يشمل كامل اللوحة الأخيرة. وفى هذا الجزء من القصة كان من الممكن أن نفهم ما إذا كانت رغبة إيتانا فى الحصول على نبتة الإنجاب مرتبطة بصعوده إلى السماوات. ومهما يكن من الأمر، فإن بداية اللوحة التالية ترينا إيتانا والنسر يتآخيان فى هذا التحليق الخطير. إن الأسطر الأولى من اللوحة التالية ترينا إيتانا والنسر يتآخيان فى هذا التحليق الخطير. إن الأسطر الأولى من اللوحة مشوهة إلى حد ما إذ نرى النسر يصل إلى باب سموات آنو وإيا، ومن ثم إلى باب شمش وحدد.

وكما يبدو فإنه طالب باستحضار الإلهة عشتار الجالسة على عرشها فى أعلى السماوات حيث تعتلى العرش بكل أبهتها الإلهية.

اللوحة الرابعة:

● قال النسر لـ «إيتانا»

● يا صديقى إن السماوات رائعة

● تعال لأنهض بك إلى سماوات «آنو»

● ألصق صدرك بصدرى

● وضع يدك على طرف جناحى

● وطوق بذراعيك أعلى الجناح

● وضع إيتانا صدره على صدر النسر

● وطوق بذراعه أعلى جناحه

● وبشدة ضغط بثقله عليه

● ولما حلق به إلى مسافة فرسخ مضاعف

- قال النسر لـ «إيتانا»:
- انظر يا صديقى، كيف ترى البلاد؟
- أحط بنظرك البحر وفتش عن شواطئه
- أجاب إيتانا: البلاد اختفت وكأنها جبل فقط
- وأصبحت مياه البحر كمياه النهر
- فارتفع به إلى فرسخين مضاعفين
- فقال النسر لـ «إيتانا»
- انظر يا صديقى كيف هى البلاد فقال:
- أصبحت البلاد مثل تل واحد.
- وبعد أن حلق به ثلاثة فراسخ مضاعفة
- قال النسر لـ «إيتانا»:
- أنظر يا صديقى كيف أصبحت البلاد فقال:
- أصبح البحر كساقية حول بستان
- وبعد أن صعد إلى سموات آنو
- اجتازا باب آنو وأنليل وإيا
- فسجد النسر وإيتانا معاً

● ● ●

وهنا أيضاً نواجه/.. نقصاً كبيراً../ بسبب الكسر. فيبدو أنهما إذن سيستأنفان الصعود إلى المرحلة الثانية، تردد إيتانا وكاد يعدل عن التحقيق.

- إن حملك ثقيل
- دعنى....

فأجاب النسر إيتانا بما يلى:

● ● ●

○● ....

● سأحلق بك إلى أعلى من هذا فى السماء

● تهيأ .....

● ولا يضاهى النسر طائر آخر

● ولا طائر غيره يمكنه أن يصعد بك

● تعال يا صديقى لأصعد بك إلى سماء عشتار

● فبحوزه عشتار السيدة نبتة الإنجاب

● وإلى جانب عشتار السيدة....

● وضع ذراعك فوق طرف جناحى الأعلى

● وضع يدك على الطرف الأسفل من جناحى

● وضع إيتانا ذراعه على الطرف الأعلى من جناحه

● كما وضع يده على الطرف الأسفل من جناحه

● وصعد النسر إلى فرسخ مضاعف

● وقال له: يا صديقى كيف ترى الآن البلاد؟ فقال:

● من البلاد ...

● البحر الواسع أصبح كسور

● فارتفع به إلى فرسخين مضاعفين مضاعفين وقال له:

● يا صديقى انظر، فكيف ترى البلاد؟ فأجاب:

- أصبحت البلاد كالبستان
- وقد أصبح البحر الواسع كالدولو
- وأراه البلاد بعد ثلاثة فراسخ مضاعفة وقال له:
- يا صديقى، انظر إلى البلاد الآن، فكيف تراها فأجاب:
- حدقت جيداً. فقد أصبحت البلاد غير مرئية
- وعيناى لم تشبعا من منظر البحر الواسع
- ولكن يا صديقى لم أعد أرغب فى الصعود إلى السموات
- حول مسيرتنا كى أرجع إلى الأرض
- وبعد فرسخين سقط
- وسرعان ما هبط النسر والتقفه فوق ظهره
- وبعد ثلاثة فراسخ مضاعفة سقط ثانية
- وسقط معه النسر وأخذه فوق ظهره

● ● ●

وجد ما يتبع القصة مشوها بحيث لم نتمكن من معرفة ما طرأ على إيتانا عند سقوطه على الأرض. غير أنه من المؤكد أنه قد وصل سالماً وذلك مستوحى مما جاء فى الجزء الأخير من هذه القصيدة.

● ● ●

- قالت الزوجة لـ إيتانا
- ... إلىّ، إن البيت...
- مثل إيتانا زوجتى...

- ومثلك....
- إيتانا الملك
- إن شبحه...
- فقد أعطى فى البيت....

■ ■ ■

أسطورة سرجون

توجد فى الأدب الأكادى نقوش تاريخية حفرت على مسلات تمجد أعمال الملوك. إن نص هذه النقوش معروف لدينا إما مما وجد على الأبنية أو مما عثر عليه فى الحفريات، أو إلى المستند الفخارى الذى كان يستخدمه النحاة كمثال.

غير أنه توجد على لوحات نصوص أخرى يقال إنها أخذت عن مسلات ولكننا نؤكد أننا لن نجد لها مثيلاً محفوراً على الحجر. إنها دون شك مسلات خرافية أقيمت فى وقت لاحق لمؤلفيها. فثمة ملوك شهيرون فى الماضى تعرضوا هم أنفسهم للأحداث التى جرت إبان حكمهم كى تكون تعاليم لمن سيخلفهم. إنها أقرب ما تكون إلى التقاليد التاريخية منها إلى المؤلفات الأدبية حيث يحل الخيال محل الحقيقة. وتبدو الحجة فى ذلك كواقعة حقيقية ولو فى جزء منها مع التقدير أنها حجة فالتاريخ يرمى إلى «خرافات الأجيال».

إن ثمة مؤلفين يسجلان هذا النوع الأدبى اقتبسه الأكاديون إلى حد ما عن السومريين، وانتشر بعد ذلك لدى الحثيين. إن مسلة سرجون الأكادى ونارام سين هما من هذا النوع.

وليس من المستغرب أن يكون هذان العاهلان قد اختيرا كمثل لهذه المؤلفات.و يعتبر عهد أكاد قمة مأساة تاريخ ما بين النهرين. وتتمثل هذه المأساة فى سيطرة الساميين على حكم السومريين وإنشاء أول إمبراطورية سامية كبيرة، كما هى مأساة اضطرابات متواترة سبقت الانهيار النهائى لهذه الإمبراطورية تحت ضربات البربر[1].

---

(١) دام حكم سلالة آكدا من ٢٣٣٤ إلى ٢١٥٤ق.م وبعد سقوطها استلم السومريون الحكم فى أيام السلالة الثالثة فى أور.

وعلى الرغم من أن النصين هما من إيحاء واحد فإنهما يختلفان فى الأسلوب والصدى إن مصراعين مزدوجين يتعارضان وهما مسلة نرام سين المحزنة مقابل مسلة سرجون البسيطة الهادئة. وهنا يبرز القدر المتناقض بالنسبة لهذين الملكين وهذا طبعا وفق صيغة الخرافة. فيمثل سرجون انطلاق سلالة مظفرة بينما على عكس ذلك بالنسبة لـ «نرام سين» الذى يمثل سقوط الإله ولقد أضفنا إلى هذين النصين، نصين آخرين. وعلى الرغم من أنهما لا ينتميان إلى خرافة المسلات الوهمية، إلا أنهما منبعثان هما أيضاً، من دروس التاريخ.

فالنص الأول يعود إلى ماض سحيق. إنه يغطى ويجتاز زمن سلالة أكاد وسرد الأحداث أشبه بالأخبار ولكنه ينتهى كما تنتهى النهايات الدينية ليفسر تلاحق الأنظمة والسلالات باحترام أو بالتخلى عن طقس الإبزاجيل.

أما النص الرابع فيشير إلى أحداث أقرب عهد وكأنه سفر مناسبات ومهما سعى المؤلف إلى إعطائه صفة عامة، وبنوع ما أبدية، فإنه يندرج فى وقت محدد بالنسبة للعلاقات فى مملكة آشور وبابل، إنه نقد سياسى وأما واقعيته فتختفى تحت أخطار موجهة إلى أمير أو بشكل نبوءات كما هو الحال فى مجالات أخرى. وهذه البراعة فى الأسلوب تؤدى إلى الأمثولة الممكن استخلاصها من التعميمات الحذرة.

■ ■ ■

لم تصل إلينا أسطورة سرجون كاملة. فنصف النص مفقود غير أن المطلع على أقل تقدير شهير. إنه يحكى طفولة العاهل العجائبية أى سر ولادته السرية، والتخلى عنه وهو لما يزل طفلاً. كما يحكى اتساع إمبراطوريته التى يجعلها مثلاً للأمراض الآتين بعده. ولكنه فى آخر حكمه تظهر إشارات نذيرية بنهاية السلالة. وقد تكون هذه الإشارات هى المعنية فى القسم المفقود من النص ومؤداه تحذير خلفائه فى حال تعرضهم إلى ما يشبهها. تقول الأسطورة:

● أنا سرجون الملك القدير ملك أكاد

● كانت أمى كاهنة عالية الشأن. وأما أبى فلا أعرفه

● وكان إخوة أبى يسكنون الجبال. وأما مسقط رأسى

● فكان مدينة «أزوبير آنو» القائمة على ضفاف الفرات

● أنجبتنى أمى الكاهنة الكبيرة سراً. ووضعتنى فى سلة من الأسل وأغلقتها بالقار. ثم رمتنى فى النهر دون أن أتمكن من الخروج من السلة.

● فأخذنى النهر حتى حط بى عند آكى الغراف الذى وهو يغرف الماء بدلوه انتشلنى من النهر، وآكى الغراف هذا تبنانى وكأنى ابنه وأنشأنى. وما كان منه إلا دربنى على مهنته كبستانى.

● بعد أن أصبحت بستانياً، أشفقت على الإلهة عشتار وها أناأقوم بأعباء الملك مدة ستة وخمسين سنة.

● «نعم لقد حكمت وتسلطت على الشعب ذوى الرؤوس السوداء» وبمعاول من البرونز دمرت جبالاً قوية. تسلقت أعلى الجبال والجبال الأدنى علواً. لقد تسلقتها كلها. وجبت ثلاث مرات البلاد الواقعة ما وراء البحر[1] لقد وضعت يدى على «دلمون» وصعدت باتجاه «دير» الكبيرة[2] وأخضعتها كما أخضعت كل من كان بالنسبة إلى عدوانياً.

(١) وتعنى العبارة جزيرة قبرص أو مصب نهر الاندوس فى الخليج الفارسى

(٢) تقع دير الكبيرة على حدود عيلام جنوب شرق بابل.

إن أى ملك يأتى من بعدى ويستلم الحكم فإذا أراد أن يكون مساوياً لى، فحيثما وضعت قدمى فليضع هو أيضاً قدميه وليحكم أيضاً ويسيطر على ذوى الرءوس السوداء ويهدم بمعاول من البرونز جبالاً شاهقة. وحيثما ارتقى الجبال الشاهقة وحيثما انحدر نحو الجبال الأقل علواً فعلية أن يلتف ثلاث مرات حول البلاد الواقعة وراء البحر. ولتحتل يده دلمون وليصعد إلى «دير» الكبيرة ويحتلها.

■ ■ ■

عشتار والعرافون

يبقى وضع شخصية عشتار ناقصا إن لم يبرز دور حامية عرش آشور المسجلة فى الحوليات الملكية كما فى الإيحاءات فى زمن السرجونيين. فبلسان العرافات كانت تتكلم عشتار مباشرة مع الملك مسدية إليه النصائح المشجعة مؤكدة له مساعدتها وحمايتها له والانتصار.

- يا أسرحدون[1] ملك البلاد، لا تخش شيئاً
- ألم أكسر الريح التى كانت تعصف بك
- ألم أكسر جناحيها
- وأعداؤك حيثما كانوا يتمرغون عند قدميك
- وكأنهم التفاح الناضج فى شهر «سيوان»
- أنا البعلة الكبرى أنا عشتار «أربيل»
- التى تدمر أعداءك عند قدميك
- فلماذا قلت لك ولم تركن إلى ما قلت
- أنا عشتار «أربيل»
- سأمشى أمامك وخلفك
- فلا تخش أمراً
- وستكون فى فرح
- أما أنا فسأكون فى قلق

(١) ملك أشور حكم من ٦٨١ - ٦٦٩ق.م

- سأسير فى المقدمة، فابق هنا
- (بفم العرافة «عشتار لا تاشيات» أربيل»
- أنا عشتار «أربيل»
- أى أسرحدون ملك آشور
- فى مدن آشور ونينوى وكالاه وأربيل
- سأعطى أسر حدون مليكى
- أياماً طويلة وسنين عديدة
- أنا القابلة الكبرى
- أنا المرضعة الجيدة
- لأيام طويلة وسنين دائمة
- وطدت أركان عرشك
- تحت قبة السماوات الواسعة
- وسهرت من أجله فى وسط السموات
- فوق بساط من ذهب
- وسوف أجعل نور العنبر فى لمعان
- وسأسهر عليه أمام «أسرحدون» ملك آشور
- كما أسهر على تاج رأسى
- لقد قلت لك: لا تخش شيئاً أيها الملك
- نعم لن أتخلى عنك
- ولقد أكدت لك مساعدتى

- ولن أعدك تذل
- ولسوف أجعلك تقطع النهر دون أذى
- أسرحدون أيها الوريث الشرعى ابن نينليل[1]
- أنا بيدى سأقضى على أعدائك
- أى أسرحدون ملك آشور
- سأعطيك فى آشور
- أياماً طويلة وسنين عديدة
- ويا أسرحدون فى الأرابيل
- أنا ترسك المفضل
- يا أسرحدون الوريث الشرعى وابن نينليل

■ ■ ■

(١) إلهة والملك ابنها

نزول عشتار إلى الجحيم

ليس لهذا النص مثيل لما سبقه من نصوص، فهو من إيحاءات مختلفة ومن طبيعة ملحمية للنصوص الأدبية الآشورية التى يسميها المعلقون الحديثون بالتقليدية تحت عنون «نزول عشتار إلى الجحيم». إن مرامى الشاعر تختفى تماماً تحت الحبكة الغيبية. وقت عدم ظهور نجمة الزهراء «نجمة عشتار» فكما فى الطبيعة الخدر المؤقت لعزيزة الخلق فقد تم تصويرها شكلياً أو كنتيجة لمكوث إلهة الحب فى بلاد الأموات.

وكذلك أيضاً فى الميثولوجيا اليونانية فإن أفردويت تنزل لعند «هادس» من أجل انتشال حبيبها «أدونيس» من بين أيدى «بيرسيفون»، فقد اعتقدوا مدة طويلة بأن عشتار جازفت بالذهاب إلى بلاد ليس منها «رجعة» حيث توجد انهتها أريشكيجال وذلك للتفتيش عن «تموز» حبيب صباها الذى يمثل موته واتبعاته فى الأبيات الأخيرة من القصيدة. فكان من الواضح أن اكتشاف النمط السومرى الذى منه اقتبست القصة أوضح لنا فحوى الخاتمة. ومن دون شك إننا نجهل تحت أى نزوة أو طموح أو قدرية حملت إلهة الحب على النزول إلى المسكن المظلم الذى تعيش فيه أختها النزقة المتصلبة. بيد أننانعرف جيداً أن أختها احتفظت بها أسيرة ولم تفك أسرها إلا بعد حيلة قام بها الإله «إيا» مؤداها أن تدفع له دية «رأس برأس» كما تقول الأسطورة، فكان «تموز» يمثل الدية إذا قذفته للموت حبيبته القاسية غير الثابتة فى سبيل إطلاق سراحها.

- إلى البلاد «دون رجعة» مقر أريشكيجال
- ركزت فكرها عشتار ابنة «سين»

---

(١) اريكالا أى الجحيم وهو يحمل اسم هذا الإله

● ركزت فكرها ابنة «سين»
● باتجاه مقر «اريكالا»[1] المظلم
● صوب المقر الذى لا مخرج منه
● نحو الطريق الذى لا رجوع منه
● نحو المقر الذى ليس له نور لمن يدخل إليه
● حيث الغبار يغذى جوعهم والطين خبزهم
● لا يرون فيه النور ويقبعون فى الظلام
● إنهم يرتدون كالطيور ورداؤهم من ريش
● وعلى الباب المزلاج يتكدس الغبار
● وعندما وصلت عشتار إلى باب «البلاد دون رجعة»
● توجهت إلى حارس الباب بهذه الكلمات:
● إيه أيها الحارس افتح لى الباب
● افتح لى بابك لأنى أريد الدخول
● وإذا لم تفتح بابك وتمكنت من الدخول
● فإنى سأخلع المصراع وأكسر المزلاج
● سأدمر دعائمه، وأخلع المصاريع
● سأقيم الأموات ويأكلون الأحياء
● وسيصبح الأموات عندئذ أكثر عدداً من الأحياء
● فتح البواب فاه وقال:
● قال لعظمة عشتار
● توقفى يا سيدتى ولا تطرحى الباب أرضاً

- سأعلن عن اسمك للملكة «أريشكيجال»
- إنها أختك الواقفة فى الباب
- إنها الماسكة بأعظم أربطة الصيد
- التى تعكر الأعماق فى وجه «أيا» الملك
- وإذ سمعت أريشكيجال هذا الكلام
- امتقع وجهها وأصبح كمقطعة من الأثل
- كما أسودت شفتاها مثل ندبات القصب
- فما الغرض من مجيئها إلى
- أنا التى تشرب الماء مع الأنوناكى
- والتى تأكل الطين عوضا عن الخبز
- وعوضاً عن الجعة تشرب الماء القذرة
- دعونى أبكى الأزواج الذين أهملوا زوجاتهم
- أبكى الصبايا اللواتى انتزعن من صدور أزواجهم
- أبكى الطفل الصغير المخطوف قبل أوانه
- فاذهب أيها البواب وافتح لها الباب
- وعاملها وفق الشرائع القديمة[١]
- ذهب البواب وفتح لها الباب قائلاً:
- ادخلى يا سيدى، ولتفرح بك «كوتا»
- وليبتهل أمامك قصر البلاد دون رجعة
- وعندما جعلها تجتاز الباب الأول

---

(١) هى حتماً شرائع الموت فى ذلك الزمن

● نزع عن رأسها التاج الكبير
● فقالت له: لماذا أيها البواب أخذت عن رأسى تاجى الكبير
● ادخلى يا سيدتى إنها قوانين سيدة الجحيم
● وإذ جعلها تجتاز الباب الثانى
● نزع عنها أقراط أذنيها
● فقالت له: إنها قوانين سيدة الجحيم ادخلى مولاتى
● ولما جعلها تجتاز الباب الثالث
● نزع اللآلئ عن عنقها
● فقالت له: لماذا أخذت لآلئ عنقى
● قال: ادخلى يا مولاتى إنها قوانين سيدة الجحيم
● ولما جعلها تجتاز الباب الرابع
● نزع منها الصدرة فقال:
● لماذا أيها البواب نزعت صدارتى فقال:
● ادخلى يا سيدتى إنها قوانين سيدة الجحيم
● ولما اجتازت الباب الخامس
● نزع عنها حزام حجارة الإنجاب
● أيها البواب لماذا نزعت عنى حزام حجارة الإنجاب فقال:
● ادخلى يا مولاتى إنها قوانين سيدة الجحيم
● وبعد اجتيازها الباب السادس
● نزع من يديها الأساور ومن رجليه الخلخال فقالت:
● أيها البواب لماذا نزعت أساورى وخلخاى فقال:

- ادخلى يا سيدتى إنها قوانين سيدة الجحيم
- وبعد أن جعلها تجتاز الباب السابع
- جعلها تخلع ثياب طهارة جسدها فقالت:
- أيها البواب لماذا جعلتنى أخلع ثياب الطهارة عن جسدى؟.. فأجاب:
- ادخلى يا سيدتى إنها قوانين سيدة الجحيم
- وفى اللحظة التى نزلت عشتار «البلاد دون رجعة»
- رأتها اريشكيجال ضربت الأرض برجليها
- أما عشتار فقد انطلقت نحوها دون تفكير
- وعندئذ فتحت أريشكيجال فمها وقالت:
- قالت هذه الكلمات إلى رسولها «نمتار»:
- اذهب يا نمتار احبسها فى قصرى
- وأطلق نحوها الستينعلة.
- علل العيون ضد عينيها
- علل الأذرع ضد ذراعيها
- علل الأرجل ضد رجليها
- علل القلب ضد قلبها
- علل الرأس ضد رأسها
- فإليها كلها أطلق العلل الستين
- وبعد أن نزلت السيدة عشتار إلى الجحيم
- ها إن الثور لم يعد يعلو العجلة
- والحمار لم يعد يعلو الأتان

- ولم يعد الشاب فى الشارع يُخصب المرأة الشابة
- فليرقد الرجل إذن وحده فى غرفته
- ولتنم المرأة وحدها إلى جانبه
- فقد انحنى أنف «بابسو كان» رسول الآلهة الكبار
- وأصبح وجهه مظلماً
- كان يلبس ثياب حداد كاملاً حاملاً علامة الأسى[1]
- هكذا أصبح وأخذ يبكى أمام أبيه «سين»
- تساقطت دموعه أم «إيا» الملك
- وعندها نزلت عشتار إلى الجحيم حتى لا تعود
- ومنذ أن نزلت عشتار إلى بلاد دون رجعة منها
- امتنع الثور عن اعتلاء العجلة
- والحمار عن إخصاب الأتان
- والفتى فى الشارع عن إخصاب المرأة الفتية
- وأصبح الرجل ينام وحده فى غرفته
- وتنام المرأة الشابة وحدها إلى جانبه

إن التورية واضحة. فما دامت إلهة الحب قد حجزت فى الجحيم وفقدت شخصيتها فإن كل الحياة الجنسية تكون توقفت على الأرض.

وأول من راقب ذلك هو رسول الآلهة، الذى تسمى وظائفة فى دنيا البشر مثل وظائف موطن الآلهة. فقد يئس فى حياته وأعلن ذلك لأسيادة الآلهة.

إن المعنى فى باقى القصيدة غير مفهوم وقد يكون السبب فى ذلك كثرة الاستعارات.

---

(١) بصورة أدق: الغبار والتراب يدهن بهما الوجه والجسد كعلامة حداد.

وكما يبدو يجب الافتراض أن عشتار سجنت وتعرضت لجميع الأوبئة. وأما أريشكيجال فحتى تجعل قرارها نافذ المفعول أقسمت علناً أنها لن تمنح شيئاً لمخلوق أنجبه إنسان أو إله. ومثل هذا التحديد قد قضى عليها. فإن إله الحكمة والذكاء «إيا» خلق مخلوقاً ليس له أم فقط بلَ فاقد قوة التناسل فهو لم يعد قادراً على الإنجاب ولا على التناسل.

إن الترجمة النينوية وصفته بكملة «أسينو» وغيرها «كلوأوا». إن اللفظتين تعنيان قديماً «كهانا» بزى امرأة كانوا يشتركون بالتعهد الطقسى. أما هنا فلا المرأة ولا الرجل يمكن أن يسمى «آزووشو - ناميـر» (مختصر أزناميـر فى الترجمة الآشورية» إن اسمه يعنى «ظهوره الوهاج» وهذا يعنى دون شك جماله. الذى وفق ما نقدر، دفع بـ إريشكيجال إلى قبوله، لأن تعابير القسم المفروض، لا تنطبق عليه. كما أنه بحسب تقديرنا أو من أجل الحصول على وعد منها بألا ترفض ما سيطلبه منها، وبحسب الوعد الحاصل، فإنه سيرغمها على أن تشرب من القرية السحرية التى تحتوى على ماء الحياة. ولقد فهمت أريشكيجال فى نهاية المطاف أنها خدعت وإن ماء القدر من شأنها أن تبعث عشتار غير أنها وقد ارتبطت بوعدها فعليها أن توافق. وهذا لا يمنعها من الانتقام فيما بعد بأن تلعن «أسينو» وتخضعه هو وأمثاله لحياة كريهة قصيرة[1].

- خلق إيا وهو فى حكمة قلبه. مفهوماً جديداً
- لقد خلق «اسو - شو - نمير» الأسينو» وقال له:
- اذهب يا اسوشو نمير وامثل أما باب «البلاد دون رجعة»
- ولتنفتح فى وجهك الأبواب السبعة:
- ١٥ وبعد أن يهدأ قلبك وتعود روحك إلى صحوها
- توسل إليها باسم الآلهة الكبار
- وارفع رأسك وبعدئذ ألفت النظر نحو القرية

(١) تطلق هذه الصفة على مجموعة أو على كل الآلهة

- فتقول أى سيدتى أعطنى هذه القرية
- حتى أشرب ماءً
- وما أن سمعت أريشكيجال هذه الكلمات
- حتى ضربت على فخذها وعضت على أصابعها قائلة:
- إنك تطلب منى ما لا يطلب
- حسن فسألعنك يا أسو شو نمير لعنة كبرى
- وليكن خبز محراث المدينة طعامك
- ولتكن مجارير المدينة من حيث تشرب
- وليكن ظل السور حيثما تقف
- ولتكن عتبة البيت حيث تسكن
- وليصفع وجهك السكير والعطش
- وتابعت أريشكيجال كلامها قائلة
- لرسولها نمتار:
- اذهب يا نمتار واطرق باب «ايكالجينا»
- وزين العتبات بالمرجان الأبيض
- اذهب واستدع «الأنوناكى» واجلسهم على مقاعد من ذهب
- وانضح عشتار بماء الحياة وآتنى بها
- امتثل نمتار للأمر وطرق باب «ايكالجينا»
- وبعد أن زين العتاب بالمرجان الأبيض
- ذهب لاستدعاء «الأنوناكى» وأجلسهم على مقاعد من ذهب
- فقالت: أما أنت يا نمتار فأتنى بـ عشتار

● وإن هى رفضت أن تسلمك من يحررها

● فلا بأس. آتنى بها

● وعندها قام نمتار ومساعدوه بجلبها

● لقد أخرجوها من الباب الأول

● فسلمها البواب ثوب طهارة جسدها

● وأخرجوها من الباب الثانى

● وسلمها البواب أسوار يديها وخلخال قدميها

● ومن الباب الثالث أخرجوها

● وأعاد إليها البواب الحزام ذا الحجارة الكريمة حجارة الإنجاب

● ومن الباب الرابع أخرجوها

● فأعاد إليها البواب الصدارة

● ومن الباب الخامس أخرجوها

● فأعاد البواب إليها لآلئ عنقها

● ومن الباب السادس أخرجوها

● فأعاد البواب إليها أقراط أذنيها

● ومن الباب السابع أخرجوها

● فأعاد إليها البواب تاج رأسها

● - «وإن لم تسلمك من يفتديها

● فآتنى بها إلى أريشكيجال»

● فقالوا إن الأمر يتعلق بـ «تموز» حبيب صباها

● فاجعله يستحم بالمياه الطاهرة وامسحه بالزيت الحلو

- ألبسه رداء من الأرجوان
- ولتعزف له الناى الزرقاء
- ولتثر بنات الفرح عواطفه
- أما السيد «بيليلى»[1] فكانت قد انتهت زينتها
- لقد اكتسى حضنها باللآلئ
- وعندما سمعت النحيب على أخيها
- بعثرت بيليلى زينتها
- واللآلئ التى كانت تملأ صدر البقرة الإلهية قائلة:
- أى أخى يا وحيدى، لا تلمنى.
- فعندما يعود «تموز» إلى الأرض
- سيصعد معه الناى الأزرق ويصعد العقيق
- ستصعد معه النادبات الباكيات
- وستنهض الأموات ويحرقون البخور

■ ■ ■

(١) الإلهة بيليلى هى أخت قدموس وهنا تطابق عشتار.

أسطورة بابلية
أشتار وجلجميش

«تعد ملحمة جلجميش أشهر الملاحم البابلية. وتتألف فى أصلها من طائفة من القصص غير الوثيقة الاتصال، ضم بعضها فى عهود مختلفة ترجع إلى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف عام.. وكان جلجميش بطل هذه القصة حاكما أسطوريا يشبه شمشمون.. واستطاع الاطلاع على جميع أسرار الكون.. وجاء بأخبار الأيام التى سبقت الطوفان.. وسار فى طريق بعيد شاق.. ثم كتب على لوح حجرى كل ما قدم به من أعمال كانت هى أصل هذه الأسطورة».

كان جلجميش- حاكم أوروك- طاغية فى الأرض. وكان سعيدا بقامته الممتدة العملاقة، وجسمه الضخم المملوء بالعنفوان. وجماله الباهر الذى يفتن الناس..

وكان ثلثاه إلها وثلثه آدميا. فهو من نسل شمس نيشتين، المخلوق الخالد الوحيد الذى نجا من الطوفان. ولم يكن أحد يشبهه فى صورة جسمه، واطلاعه على أسرار الغيب، ورؤيته جميع الأشياء ولو كانت فى أطراف العالم المجهول..

وكان فى قلبه شوق ظامىء الى الحب.. وبسبب مغامراته لاطفاء ظمئه الدءوب. راح الآباء والأزواج يشكون كل يوم لربة الحب والجمال «ايشتار» كيف أن جلجميش لا يترك زوجة لزوجها ولا عذراء واحدة لأمها.. ويطلبون منها حمياتهم وحماية زوجاتهم وعذراهم..

واستجابت ايشتار لتوسلات الخلق.

وذهبت الى الآلهة ارورو- عرابة جلجميش- ترجوها أن تخلق ابنا آخر فى قوة جلجميش وجبروته.. يكون قادرا على أن يشغله فى نزاع طويل، حتى يستريح بال الأزواج والآباء فى كل أنحاء أوروك..

وقبلت أرورو رجاء ايشتار.. فعجنت قطعا من الطين تفلت فيها، ثم صورت «انجيدو»..

وكان أنجيدو رجلا له بأس الخنزير.. ولبدة الأسد. وبأس الطير. وكان جسده يغطيه شعر كثيف وفوق كتفيه ينسدل شعر طويل كامرأة.. ذهبى كشعر إله القمح..

ولم يكن انجيدو منذ خلق ليعبأ بصحبة أبناء البشر.. بل اعتزلهم وابتعد عنهم.. ثم عاش مع حيوانات الغاب، يرعى العشب مع الظباء، ويلعب مع مخلوقات البحر، ويروى ظماء مع وحوش الحقول.

وذات يوم أراد صياد يدعى تسايدو اقتناصه بالشباك، غير أنه عجز عن اقتناصه، وكرر الصياد محاولته يوما آخر.. ولكن انجيدو كان بارعا دائماً فى الافلات منه.

وملأ الغيظ قلب الصياد. وانطلق الى الحاكم جلجميش يشرح له الأمر.. ويقول له إن انجيدو لن يقع فى الشباك المصنوعة قط. ولكن شباكا أخرى تستطيع وحدها أن تقتنصه.. هى شباك النساء!.

وقال له جلجميش:

- وما الذى تريد منى؟ المرأة أم الشباك؟

قال له الصياد:

- أ انجيدو يدعى أنه أعظم منك قوة، وأنا أريد أن أحضره هنا أمامك لتثبت له أن قوته هى الضعف نفسه بجوار قوتك.. ولهذا فأنا أتوسل اليك أن تعرينى كاهنة حسناء تستطيع ايقاع انجيدو فى شباك غرغمها.. لنقوده اليك..!

وقال جلجميش:

- اذهب اذن ايها الصياد وخذ معك الكاهنة «أخوتى»... وعندما تحضر الوحوض ومعها انجيدو الى مورد الماء تستقى فاجعلها تكشف عن وجهها

وساقيها.. واختف أنت.. وسيتم بعد ذلك كل ما تريد..!

وانطلق الصياد والكاهنة «أخوتى» الى حيث يستقى أنجيدو مع صحبه من الوحوش.

وعندما جاء الوحش الآدمى.. مدت الكاهنة الحلوة يدها، واحت تخلع ارديتها واحدا بعد آخر. ثم وقفت امامه عارية، فى جسدها رعشات ظامئات

وأدار أنجيدو رأسه ناحية الحسناء وتوقف.. ثم بدأ يختلس اليها النظر فى شوق ولهفة.. واشتعل فى أعماقه لهيب النا..!

وحث الصياد من مخبئه الكاهنة ستة أيام وسبع ليال.. يعب فيها السعادة. حتى اذا جاءه الملل وانتبه الى نفسه.. أطل فاذا كل حيوانات الغابة من أصدقائه قد انفضوا من حوله.. وتركوه..!

وملأ الحزن قلب انجيدو.. غير أن الكاهنة راحت تهزه وتقول:

- أنت يا من بلغت عظمة الآلهة.. كيف يطيب لك العيش بين وحوض الغابة ونسائها. تعال معى ننطلق الى مملكة أوروك حيث يعيش جلجميش الذى لا يدانيه أحد فى جبروته. تعالى معى أقودك الى القصر الرائع الذى يعيش فيه الاله إونو والآلهة ايشتار.. يمنحك سر القوة وسر العنفوان..!

ووجد آنجيدو العرض مغريا.. وبدأ يتوق الى لقاء جلجميش. فأعلن موافقته على اتباع المرأة الى مدينة أوروك.. وقال لها:

تعال بنا الى حيث أرى المكان الذى يعيش فيه جلجميش.. اقاتله.. وأهزمه.. وأظهر له قوتى وعنفوانى..!

وسار الثلاثة فى طريقهم الى أوروك.. إخوتى.. وانجيدو... والصياد..!

فى ذلك الوقت كانت أوروك تحتفل بعيد «ايشتار».. وكان الناس يصخبون ويضجون ويشربون عندما بلغهم نبأ وصول أنجيدو من نفس جلجميس..

وزاد وقص الناس.. وابتهاج الآلهة.. فقد سرهم أن ينهزهم جلجميش..

سارق الزوجات والعذارى.. وأن يهبط عن العرش الذى دنسه..

والحق.. لقد كان لأنجيدو من القوة ما يستطيع أن يهزم بها جلجميش. غير أن شيئا آخر كان قد جد فى الأمر.. فقد كانت ايشتار قد رأت جلجميش.. فأعجبها.. وقررت أن تمنع الصراع الوحشى الذى كان عليه أن يخوضه.. وبدت لأنجيدو فى الحلم تهمس فى اذنه أن جلجميش أكثر منه قوة.. وأن خيرا له أن يركن الى الحكمة وأن يبتعد عن الصراع..!

ومع جلجميش حدث الشىء نفسه.. بدا له كأن أمه قد جاءته فى الحلم تحذره من منازلة أنجيدو.. وتطلب منه أن يكونا أصدقاء..

وقد كان.. والتقى من أريد لهما أن يكونا عدوين.. فاذا بهما.. يحميان أوروك من هجمات «عيلام» ويعودان معا ظافرين بعد أن يقوما بأحسن الأعمال..!

غير أن انجيدو لم يطق حياة المدينة طويلا.. وبدأ يضيق بها ويتمنى الرجوع الى الغابة حيث كان يعيش، وظهر له فى الحلم طيف شمس نيشتين..وراح يحبب اليه البقاء فى الأرض ويهديه الى الأرباح التى تعود عليه من الحياة فيها.. وقال له شمس:

- ان جلجميش صديقك وأخولك.. وسيمنحك فراشا ضخما تنام فيه، ومقعدا كالعرش الى جانبه الأيسر.. وسيجعل كل ملوك الأرض يركعون تحت قدميك اعجابا وتقديرا..!

وهز الإغراء رأسه.. واقتنع بالبقاء الى جوار جلجميش.. ولم يعد يشكو بعد وجوده فى مملكة أوروك..

وحتى جلجميش.. سره وجود أنجيدو الى جواره.. وأعلن أن السلام قد حل.. وخلع عدة الحرب ولبس الثياب القدسية البيضاء، وزين نفسه بالشارة الملكية.. ولبس التاج..!

وفى تلك اللحظة نفسها أطلت «أيشتار».. فراعها جماله وجبروته.. وراحت ترنو اليه بعينيها الكبيرتين وتقول له:

- تعال يا جلجميش وكن لى زوجا.. تعال نتبادل كئوس إلهى والحب، أضعك فى عربة من لازورد وذهب.. لها جوانب مطمعة بالعقيق... وتجرها سباع سبعة.. وتدخل بيتنا وحولك البخور المنطلق من خشب السدر.. تعال أمنحك السلطان.. وأجعل قدميك تحتضنان كل الأراضى المجاورة للبحر.. وأحنى رءوس الملوك كلهم سجدا لك يأتونك بثمرات الجبال والسهول جزية يؤدونها صاغرين..!

غير أن جلجميش كان يعرف ايشتار.. وكان يعرف لها قصصا عنيفة مخيفة.. فهز رأسه وهو يقول:

- أنت خائنة يا أيشتار.. ولن يطمئن رأسى فوق كتفى اذا أنا آمنت بحبك واستسلمت لفنون عشقك..!

قالت ايشتار:

- وما الذى تعرف عن خياناتى يا فتى..؟!

أجاب جلجميش:

- إن الجميع هنا يتحدثون عما فعله عشقك الخائن بكل موقع فى شباك غرامك.. أحببت النسر ثم قصصت أجنحته.. وعشقت الحصان حتى نفق.. وملأت كئوس الحب للأسد حتى فقد لبدته..

وقاطعته ايشتار:

- ولكن هل سمعت عن تضحياتى فى سبيل من أعشق وأحب.. هل سمعت عن قصتى مع حبيبى تموز..؟!

وهز جلجميش كتفيه.. وراحت آلهة الحب والجمال تحكى له القصة..

●●●

كـان تموز.. الفـتى الـراعى المملوء بالعنفـوان.. مـن نسل الإله العظيم آى.. ولقد شاهدته ايشتار ربة الحب والجمال وهو يرعى عنمة تحت شجرة «أريد» المقدسة التى تغطى بظلها الأرض.. فشغفت به حبا.. واختارته زوجا لها وهى بعد فى ابان الشباب..

وعاش الحبيبان أمدا طويلا فى قصة حب ندية رائعة، لم تشهد مثلها السماء قط. حت يكان يوم خرج فيه تموز يرعى غنمة.. واد بخنزير يرى يهاجمه ويطعنه فى مقتل.. فهوى تموز كما يهوى الموتى الى «آرالو» الجحيم المظلم فى العالم السفلى!.

وكانت الآلهة «أرشكجال» أخت ايشتار هى التى تحكم مملكة «آرالوا» الممتدة فى أعماق الأرض. الا أنها كانت تغار من أختها وتمتلىء لها حسدا.. فما كاد الفتى يهبط الى مملكتها حتى أحكمت غلق الأبواب.. وأقسمت ألا يعود إلى الأرض حيا قط..!

والحق أن ايشتار كانت قد فررت أن تهبط إلى آرالو فى محاولة يائسة لاسترداد زوجها الحبيب.

وانطلقت ايشتار فى رحلة طويلة قاسية، مرت خلالها بألوان مخفية من الأخطار.. حتى بلغت أبواب آرالو.. وطلبت الاذن لها بالدخول.

وسمعت أرشكجال طلب أختها ايشتار.. فأمرت خازن النار ألا يفتح لها الأبواب أبدا..

وصرخت ايشتار غاضبة.. وراحت تدق أبواب آرالو.. تهدد وتتوعد.. وتقسم أن تحطمها وتسحق أقفالها وقضبانها اذا لم يسمح لها بالدخول.

وامتلأ حارس الأبواب رعبا وفزعا. وأسرع الى أرشكجال يتوسل اليها أن تنقذه بالسماح لأختها بالدخول..

وبرغم المرارة والحقد اللذين تكنهما ارشمجال لأختها.. فقد اضطرها الأمر

أن تخفى ما يعتمل فى أعماقها أمام الحارس.. وسمحت له بفتح الأبواب.. غير إنها عندما اذنت له.. قالت إن هذا الإذن لا يمنع أن تعامل أختها بما يقضى به قانون الآلهة الذى يحرم دخول آرالو.. إلا للعراة..!

وسمح حارس النار لايشتار بالدخول. وراح يخلع عنها جزءا من ثيابها وحليها عند كل باب تجتازه من أبواب مملكة الظلمات..

ولم تغضب ايشتار.. فقد كان حسبها الوصول إلى حيث وضع تموز.. ولا شىء بعد ذلك..!

وعند الباب الأول خلع الحارس عن ايشتار تاجها.. وعند الباب الثانى خلع قرطيها.. ثم عقدها.. ثم حلية صدرها.. ثم منطقتها ذات الجواهر القدسية.. ثم رداءها المزركش البراق الذى يغطى يديها وقدميها..

وبرغم كل ذلك فما اكتفى الحارس.. بل طلب منها قبل اجتياز الباب الأخير أن تخلع آخر الأثواب.. وتمتعت ايشتار أول الأمر فى رقة.. ثم خضعت له واستسلمت..!

وهبطت ايشتار عارية الى أعماق آرالو..

وفتحت ارشكجال عينيها فى غيظ وحقد.. لقد كانت أختها فتانة خلابة رائعة.. أما هى فدميمة قبيحة عرجاء.. فصممت على أن تنزل بأختها غضبها ونقمتها..!

وانتفضت ارشكجال وهى تصدر أمرا جديدا لرسولها «نمتار»:

- اذهب يا نمتار واسجنها فى قصرى.. وسلط عليها ستين مرضا.. مرض العيون على عينيها.. ومرض الجنب على جنبيها.. ومرض الأقدام على قدميها.. ومرض القلوب على قلبها.. ومرض الرءوس على رأسها.. سلط كل ما تعرف من الأمراض على كل جزء من أجزاء جسمها البغيض..!

ونفذ نمتار أمر مولاته..

ووجدت ايشتار نفسها داخل سجن أختها.. وفى كل أعضائها مرض خبيث..!

وأظلت الأرض حولها.. فما وجدت فوق ظهرها أثرا لايشتار ربة الحب والجمال والربيع.. وشعرت الأرض أنها فقدت كل ما كان يوحيه وجود ايشار.. فنسيت جميع الفنون وطرائق الحب.. ولم يعد النبت يختلط بالنبت.. فذبلت الخضر.. ولم تشعر الحيوانات بحرارة الرغبة قط.. حتى سكان الأرض من رجال ونساء.. انفصل كل منهم عن الآخر. وما عاد هناك من سبيل لانجاب جيل جديد..!

وأخذ البشر يتناقضون.. وروع الآلهة حين رأوا نقص ما يرسله لهم البشر من قرابين.. واستولى عليهم الذعر حين شهدوا عددا كبيرا من الناس قد انصرفوا عن عبادتهم منذ اختفت ايشتار بين قضبان السجن المقيت..!

وكان اله الشمس هو أكثر آلهة السماء حزنا على أهل الأرض.. فذهب الى اله الأرض آى بيكى.. وهو يحمل اليه قصة الخراب والدمار التى حلت على كل المخلوقات.. كما يشهدها كل يوم بين الشروق والغروب..

وحزن آى للمصائب التى حلت بأرضه.. فخلق رسولا سماه اشوشو نامبر انطلق يحمل رسالته الى آرالو.. ويطلب أرشكجال باسم كل الآلهة اطلاق سراح ايشتار..

وغضبت أرشكجال عندما وصلها الأمر المقدس باسم الآلهة على لسان أشوشو.. فراحت تسبه وتلعنه.. ثم أمرت به فألقى فى جب مظلم فى أعماق آرالو.. حتى مات..!

ومع ذلك فما كانت أرشكجال تستطيع الوقوف فى وجه كل الآلهة.. فلم يمض وقت حتى أمرت رسولها نمتار بأن يطلق سراح أختها الآلهة ايشتار..!

وانطلق نمتار صادعا بأمر مولاته.. غير أنه فوجىء بايشتار ترفض الخروج من السجن.. وتقسم الا تغادره وتعود الى الأرض الا اذا سمح لها بأن تأخذ معها

زوجها تموز..!

ورفضت أرشكجال.. واستمرت الأرض قاحلة تبكى..!

وغضب الآلهة.. وأرسلوا أمرا آخر إلى ارشكجال بالافراج عن تموز.. اجابة لطلب ايشتار.. وبالرغم منها ارسلت ربة الجحيم رسولها نمتار ليصب ماء الحياة على جسد تموز.. ويطلقه خارج أسوار آرالو.. ومعم ايشتار..!

وهكذا انطلقت ايشتار تجتاز وهى ظافرة ومعها زوجها أبواب آرالو السبعة.. وتتسلم عند كل باب ما خلعته من قبل.. ملابس ما فوق الساقين.. والمنطقة، وحلى الصدر.. والقرطين.. والتاج..

وأطلت الأرض فاذا ايشتار وتموز يعودان.. نعاد معهما النبات ينمو.. والحيوانات تكثر.. وانطلق كل امرئ يبغى الاكثار من نسله.. وجلست ايشتار من جديد على عرض الحب والجمال والربيع..!



كان جلجميش يستمع فى ذهول الى قصة ايشتار وتموز.. غير أنه عندما انتهت من سر قصتها، هز كتفيه وهو يذكر النهاية القاسية التى انتهى اليها تموز نفسه.. فقد سمع انه ظل يفقد كل يوم بعض أعصابه حتى انتهى الأمر به الى الجنون.. ومات..!

وأقسم جلجميش أن لئن يستسلم قط لغرام ايشتار.. ولو فعلت به الزفاعيل.. وقال لها وهو يمضى عنها:

- انك تحبينني الآن.. ولكنك ستقصين على بعد كما قضيت على كل هؤلاء..!

وصرخت ايشتار وهى تضرب الأرض وتندفع نحو السماء. وانطلقت فى غضبها الصاخب الى أونو الإله الأعظم تطلب منه أن يخلق من الوحوش ثورا ماردا يقتل جلجميش.. غير أن أونو رفض طلبها وهو يقول:

- ألا تستحين يا ايشتار وقد ذكر جلجميش بكل مخاديك وفضائحك وألوان غدرك..؟!

وعادت ايشتار تصرخ.. وأنذرت بتعطيل كل ما فى الكون من غرائز الحب والنسل حتى يهلك كل شىء..

وكانت ذكرى خراب الأرض لا تزال مائلة فى رأس أونو.. فأضطر الى الخضوع لارادة ايشتار.. وأرسل ثورا ضخما اسمه «آلوا» لينازل جلجميش..!

والتقى آلو بجلجميش..

وفى خلال الصراع العنيف الذى نشب بينهما.. كاد جلجميش يسقط ميتا.. الا أن صديقه أنجيدو سعى اليه.. وأنقذه من برائن الثور الوحشى.. واشترك الاثنان معها فى القضاء عليه..

وأطلت ايشتار من عليائها فى غضب مجنون.. فرأت الثور يحتضر.. وجلجميش يقف من فوق جسده يضرب بالرمح كل أطرافه... وهتفت ايشتار:

- ملعون أنت يا جلجميش.. يا من أثرت غضبى أنا التى لا أغضب.. ويا من قتلت ثورى الذى أرسلته من السماء!

وسمع أنجيدو لعنات ايشتار.. فانقض على الوحش ومزق أحد أطرافه.. قم زلقى به على وجه ربة الحب والجمال وهو يهتف:

- اغلقى فمك يا ماكرة.. والا هاجمتك وحطمت وفعلت بك مثل ما فعلنا برسولك!

وملأ العار رأس ايشتار.. وأقسمت أن تنتقم..

ولم تمض أيام حتى كان أنجيدو قد سقط وهو فى عنفوان مجده، ضحية داء عضال.. صرعه بعد اثنى عشر يوما مقيتة..

وكانت ايشتار هى التى أرسلت اليه داء الموت..!

ملأ الحزن قلب جلجميش، وبدت له صورة الموت بشعة مخيفة.. وراح يفكر فى وسيلة للفرار من المصير المحتوم..

وبلغ به التفكير الى شخص واحد عزيز.. لا يستطيع الموت أن يقرب منه.. إنه جده الأكبر.. شمس نيشتين.. الخالد الذى يعرف سر الخلود.

وقرر جلجميش أن ينطلق للبحث عن المكان الذى يقيم فيه شمس نيشتين.. ولو اضطره البحث الى الطواف حول كل الأرض.

وانطلق جلجميش فى طريقه للوصول الى أول الأرض.. حيث تغرب الشمس..

وبعد أن قطع الجبال والسهول مسيرة أيام.. بلغ جبلا ضخما تقف دونه حيوانات ووحوش، لم تأذن له بالمرور الا بعد أن سلط عليها الاله سن رب القمر قدرته فاستسلمت للنوم. واجتاز جلجميش الجبل المهول ليقف عند جبل أكثر منه هولا وارتفاعا.. هو جبل الغروب حيث ينتهى الأفق الغربى بين الأرض والعالم السفلى..!

وكان يحرس الجبل ماردان مهولان تلمس رأساهما قبة السماء ويصل ثدياهما الى أعماق الأرض..!

واقترب منهما جلجميش.. وعلى وجهه تتمثل كل ألوان الرعب والخوف..

وأوقفه الماردان يسألانه عما يريد باقترابه من بداية العالم السفلى.. وأجابهما جلجميش بأنه يريد الوصول الى حيث جده الأكبر... شمس نيشتين!

ونصحه الماردان بالعودة.. فقد كانا يعلمان أن سر الخلود لا يمكن أن يصل اليه واحد من البشر.. ولكن جلجميش راح يتوسل اليهما وهو يبكى.. ورق له قلبها.. وسمحا له بالمرور..!

وسار جلجميش اثنى عشر ميلا داخل نفق غارق فى الظلمة... وعندما وصل إلى نهايته كان النور قد بدأ يشرق، ووجد نفسه أمام شاطئ بحر عظيم،

ينهض فوق مائه عرش سبتو العذراء.. ربة البحار..!

وناداها جلجميش وهو يطلب منها أن تعينه على عبور الماء... فرفضت ربة البحر. وراح هو يبكى ويتوعد.. وينذر الربة بأنه اذا لم يفلح فى الوصول الى جده شمس نيشتين فسيلقى بنفسه من فوق قمة الجبل ليموت. وزشفقت عليه سبتو، وسمحت له باجتياز البحر فى قارب يقوده واحد من خدامها الأمناء..

وبدأ جلجميش رحلة خطيرة مرغبة.. استغرقت من الأيام والليالى أربعين، وجد نفسه فى نهايتها يقف أمام جزيرة صغيرة.. هى التى يقم فيها شمس نيشتين.. المخلد ابد الدهر..!

● ● ●

عجب شمس نيشتين عندما رأى جلجميش يقترب من الجزيرة. وكان البطل فى ذلك الوقت قد سقط فى القارب فريسة داء عضال. فراح يتوسل وهو فى رقدته إلى جده الأكبر أن يمنحه سر الخلود الذى اجتاز من أجله كل هذه المخاطر والأهوال.

وهز شمس نيشتين رأسه، وراح يقول له:

– إن الموت هو نهاية كل بشرى.. وإنه لمحرم على إنسان أن يعرف سر الساعة التى تنتهى عندها حياته.. ففى السماء تجلس آلهات القدر تغزل خيوط الحياة لكل إنسان وترسم نهايته.. ولكن متى ينتهى الغزل الخاص بحياته؟. وفى أى ساعة. هذا ما لا يدريه أحد قط.. حتى الغازلات أنفسهن..!

وأجاب جلجميش:

– أنا لا أريد عدوانا على سلطان الآلهة.. ولكنى أعجب لماذا تخلد أنت وأموت أنا.. على حين أن مظهرى لا يختلف عن مظهرك..؟ إننى أشبهك تماماً.. ولست أكثر منى حكمة ولا أرجح عقلا.. ولى قلب مثل قلبك جرىء قوى.. فكيف

تدخل أنت مجمع الآلهة ولا أدخله أنا..! كيف تجد سر الخلود ولا أجده أنا..!؟

ولم يجد شمس نيشتين لكى يقنعه سوى أن يقص عليه قصة الخلق.. والطوفان.. والخلود..!

وعندما انتهى شمس من قصته.. كان جلجميش قد سقط من اليأس والاعياء فى أعماق قاريه..!

وتألم شمس نيشتين وأشفق على حفيده.. ووعده أن يعيد إليه صحته ويشفيه.

ونام جلجميش ستة أيام وسبع ليال.. وخلال نومه العميق كانت زوجة شمس نيشتين تمتلئ عطفا عليه ورحمة.. وتطلب فى النهاية من زوجها أن يرده سالما إلى بيته..!

واستجاب شمس نيشتين لرجاء زوجته.. وطلب منها أن تحضر له مادة سحرية تحتوى على سبعة عناصر مقدسة.. قطرها بين شفتى جلجميش النائم فى أعماق قاريه..!

ومرت أيام ستة.. وفى اليوم السابع، عندما استيقظ جلجميش، عاد يطلب من جده الأكبر سر الخلود..!

وأذن له شمس بالنزول على الشاطئ.. ثم أرسله إلى ينبوع ماء ليزيل عن نفسه مفاسد حياته الماضية.. وتطهر جلجميش بالماء المقدس، ثم عاد مرة أخرى إلى جده وقد أيقن أنه سيمنحه سر الخلود..!

وكان هذا هو ما حدث.. فان شمس نيشتين أخذ بيد الباطل إلى حيث يجد نبتة الخلود..!

وكانت هذه النبتة القدسية التى تعيد الشباب وتمنح الخلود لمن يأكلها. نوعا من حشائش زاحفة.. ذات أشواك تدمى من يحاول جمعها..!

وحصل جلجميش على النبتة.. وطلب من جدة أن يسمح له بالعودة إلى

أوروك..!

وهكذا بدأ رحلة العودة.. فى القارب القدسى.. الذى يقوده ملاح سبتو المخلص، ويحميه طوال الطريق.

وقطع جلجميش من الطريق الأول ما مقداره ثلاثون قسما. وعندما بلغ ذلك المكان وجد جزيرة صغيرة فى وسطها بئر قال له الملاح إن به ماء عذبا يغرى بالاستحمام.

وخلع جلجميش ملابسه.. وهبط فى البئر يستحم..

ولم يكن جلجميش يدرى أن ثمة حية رقطاء كانت ترقد إلى جوار المكان الذى خلع فيه ملابسة.. شمت رائحة النبتة القدسية فتقدمت منها.. وانقضت عليها فى لحظة.. ثم اختفت..!

وصرخ جلجميش إذ وجد نبته الخلود تضيع.. وعاد يبكى كطفل.. وجرت الدموع على خديه شقية مدرارة. ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً بعد..

واستئناف جلجميش رحلته حزينا نحو الأرض وعندما بلغ أوروك راح يطوف بالهياكل، ويدعو الآلهة أن ترد الحياة لأنجيدو ولو لحظة واحدة يكلمة فيها.

وبرغم القرابين التي راح يقدمها للآلهة وسن مردك.. إلا أن أحداً منهم لم يستجب له..

وذهب جلجميش آخر الأمر إلى الإله آى.. فعطف عليه وأمر رسوله نرجيل أن يحضر له روح أنجيدو العزيز..

وانشقت شفرة فى الأرض.. وانطلقت من خلالها روح أنجيدو كنفخة الطيب.. وراح جلجميش يحدث صديقة:

- أخبرنى يا صديقى عما رأيته.. فما عدت أستطيع الخلود على ظهر الأرض، وسأنطلق عاجلا أو آجلا حيث تقيم.. فما الذى تراه هناك حتى أستعد له.؟!

وأجاب أنجيدو:

- لا أستطيع أن أخبرك بسر العالم السفلى..!

وبكى جلجميش.. وراح يلح على صديقه أن يجلس إليه ويحدثه.. ورق له روح أنجيدو.. فراح يحكم له قصة الأهوال فى آرالو.. وكيف تجرى الأمور فى العالم السفلى..

قص أنجيدو كيف ينام الشهيد الذى يقتل فى المعركة.. أنه يرقد على السرير.. ويشرب الماء النقى.. يحيط به أمه وأبوه وأبناؤه وزوجته.. أما الرجل الذى يموت، وجثته ملقاة فى الحقول.. لاتجد من يقيم علي جسده مراسيم الدفن بعد الوفاة.. فليس له الا اختيار طعامه من النفاية والأقذار التى يلقيها الآخرون..

وختم أنجيدو حديثه وهو يقول:

- لقد مت شهيداً.. فسعدت فى العالم السفلى.. وإن أمامك الآن الخيار..!

وفى لحظة.. انشقت الأرض من تحت أنجيدو.. فتلاشى.. أما جلجميش.. فقد راح يطل حوله ذاهلا.. ثم خر على الأرض.. وقد ملأته الحيرة بين الرغبة فى الموت.. والرغبة فى الحياة..!

■ ■ ■

أسطورة آشورية

سميراميس

«اختلف المؤرخون فى حقيقة سميراميس فقال بعضهم إن وجودها خرافة. على حين يؤكد آخرون أن الأعمال التى تنسب إليها متداخلة فى تاريخ الآشوريين والبابليين الذين عاشوا على نهر دجلة والفرات... أما المنقبون عن الآثار فيرون أن سميرامس إلهة أسطورية شرقية.. هى عندهم كفينوس عند الرومان.. وأن اسمها ومعناه حمامة إنما أطلق عليها لأن الحمائم احتضنتها عند مولدها وغذتها. وهم يرونها رمز الحب والسعادة.. وفرح الرجال والظفر فى الحرب. كما يعتبرونها وسيطا أسمى بين مبداى الخير والشر على ضهر الارض!»

انسابت سيول صاخبة ذات يوم على منابع نهر الفرات فى جبل أرمينيا، ففاض النهر وتدفقت مياهه.. وخرجت الأسماك تستلقى وتتمدد على أديم الأض..

وبين تلك الأسماك، كانت هناك سمكتان كبيرتان شهدتا بيضة كبيرة طافية فى وجه الماء، فسبحتا اليها، ودفعتاها أمامهما الى الضفة. واذا حمامة بيضاء تهبط من السماء وتحتضن البيضة.. وتظل تحميها حتى يتراجع ماء الفيضان عائدا الى مجرى النهر...

واستمرت الحمامة تحتضن البيضة حتى فقست. ومن داخل البيضة خرجت الربة «دير كيتو» بوجه أمرأة.. وجسم سمكة..!

وأعجب الإله الأعظم بالربة الصغيرة، وبعدأن كبرت وملأت الآفاق بعدلها وفضلها وحكمتها. وتمثل أعجاب الاله فى وعد قدمه اليها بأن تطلب منه أى شئ تريد. ولم تدع «ديركيتو» الفرصة تضيع.. فسألته أن يخلد السمكتين اللتين أنقذتاها من الطوفان.. فرفعهما الاله الأكبر الى السماء.. وجعلهما ألمع نجمتين

فى برج الحوت..!

ورغبت الربة «ديركيتو» فى أن تحمل. والربات يحملن ويلدن بغير زواج حسب رغبتهن. وحملت الربة، ثم وضعت طفلة لها جسد أنسان كامل ينبعث من بدنها النور لروعة ما منحته من ألوان الجمال.

وأطلت الربة «ديركيتو» الى ابنتها.. وملأها الذعر. فقد أثار رعبها الا تكون طفلتها فى شكلها الالهى.. مما يجعل الربات الأخريات ينظرن اليها بعين الريبة والشك.. ويعيرونها ويتهمنها بما هى منه براء.

وحملت الربة مولودتها ذات ليلة مظلمة الى البادية.. حيث تركتها هناك عارية مهملة.. ليس حولها من شئ على الاطلاق سوى البرد والريح والزمهرير.. والجوع القاتل..!

وكان بيلوس.. اله نينوى العظيم.. يطل من عليائه. فراى الطفلة المسكينة نلقى فى العراء بغير سلاح أو معين. فأرسل من السماء رسوله «ينبو» يراعاها ويحميها، ويحمل معه سربا من الحمائم ترف بعضها عليها بأجنحتها لترد عنها حر النهار وبرد الليل. وتتطاق الأخريات الى حيث ينزل الرعاة فيحملن اليها بمناقيرهن نقطا من الحليب يلقينه فى فمها لتغذيتها ورى ظمئها..

ومع مر الشهور والسنين، تحولت الحمائم الى الأمكنة التى يضع فيها الرعاة ما يصنعون من جبن، يأخذن منه بمقدار ما تسع مناقيرهن، ليقدمنه للطفلة التى عاشت مع حمائمها سعيدة لا تعرف قط طعم الشقاء.

وكان الرعاة اذا عادوا فى المساء يرون جبنهم منقورا فيندهشون. ولما ازداد ذلك الأمر وتتابع، قرروا أن يتركوا واحدا منهم يرقب المكان على حين أنهم غالبون..

وشهد الراعى الحمائم وهى تحط حول الجبن وتلتقط قطعه الصغيرة فتحملها بمناقيرها الى مكان تطير اليه. وأخبر الرقيب رفاقه فتبعوا الحمائم حتى وصلوا الى حيث صبية ذات جمال رائع لم يخلق لغير الآلهة. فأخذوها الى

خيامهم.. واتفقوا على أن يحملوها معهم حيث يبيعونها فى سوع «نينوى» العظيم...

وحمل الرعاة الصبية الحسناء إلى نينوى.. وكانوا قد سموها سميراميس.. وهى تعنى الحمامة البيضاء...

واتفق أن كان يوم وصولهم الى المدينة يوم موسم الزواج الذى يقام كل عام، حيث تجتمع فى السوق الكبير جموع الشباب والشابات قادمةمن كل نواحى المملكة. لينتقى كل شاب عورسا شابة، أو ينتقى صبية يحملها الى داره فيربيها الى أن تبلغ سن الزواج.. فيتزوجها.. أو يقدمها عروسا لأحد بنيه..!

وكانت الساحة غصة بالشيوخ والكهول والشبان ودخل الرعاة بالصبية الصغيرة الحسناء الى حيث يعرضونها للبيع. وبينما هم يضعونها فى أول الصيف، اذا شاهدهم « سيما» ناظر مرابط خيول الملك. وكان «سيما» عقيما لا ولد له، فهفا قلبه الى سميراميس، وملأته رغبة فى تبنيها.

ودعا «سيما» الرعاج وسامهم على ثمنها. وعندما تمت الصفقة حملها الى منزله حيث ملأ زوجته فرح كبير بالصبية ذات الجمال الرائع. واعتنت بها المرأة وكأنها ابنتها.. وظلت ترعاها حتى كبرت واستدارت.. وبرزت أنوثتها كأجمل ما تكون النساء..!

●●●

وذات ربيع، جاء مينوتس- قائد الملك ووزيره- الى مرابط الخيل يتفقدها. وشهد الوزير «سميراميس» الحسناء جالسة بكل ما فيها من روعة وبهاء. ومن عينيها ينبعث النور، ورنت اليه «سميراميس» بعينين ملؤهما الدعوة. فوقف الوزير فى مكانه حائرا مبهورا.. حتى انتبه الى نفسه آخر الأمر فدعا الفتاة وسار بها الى حديقة القصر يتحدث اليها وتتحدث اليه.

وانطلقت «سميراميس» على استحياء تتبع الوزير. وعندما وقف فى بستان القصر اقتربت منه وركعت أمامه على ركبتيها تقدم له كل فروض الاحترام. ومد

مينوتس يده فرفعها لتقف أمامه. وراح يسألها من تكون..؟

ولم تستطع «سميراميس» أول الأمر أن تجيب.. ثم لم تجد الا أن تقول له أنها ناظر المرابط الملكية.

ونادى الوزير على سيما، ولكن ناظر المرابط لم يستطع أن يكذب كما بدا له أن يفعل أول الأمر.. واضطر أن يحكى قصتها كاملة للوزير.. منذ وجدها الرعاة الحمائم فى البيداء.. حتى اتخذها ابنة له.. لا يطيق فراقا لها أبدا..!

وأحس الوزير من طريقة الرجل فى الحديث، أنه لا يمانع فى تركها مقابل مبلغ كبير.. فاخرج «صرة» من المال قذفها اليه.. ثم انطلق بالفتاة فى الطريق الى العاصمة.

وكان قلب الرجل قد شغف بالفتاة شغفا كبيرا، وعندما بلغ القصر كان أول ما فعله أن سلمها للمزينات والماشطات، وأخرج لها من خزائنه حليا لا يوجد مثلها الا فى كنوز الملك. وأخذتها نساء القصر الى الحمام وغسلن بدنها بالماء المعطر، ومشطن شعوها الأسود الطويل وسدلنه على كتفيها خصلا معقدة بالجواهر.. ثم البسنها الأرجوان الفينيقى الموشى بالذهب، واخرجنها للوزير كأجمل وأروع ماعرفت «نينوى» من عروس.

واحتفل «مينوتس» بزواجه كما لم يحتفل أحد من قبل أبدا. وكان لابد أن يصبح لسميراميس المقام الأول بين محظيات الوزير ونسائه.. حتى لقد كان يلازمها ملازمة الظل ولا يطيق عليها فراها لحظة. وكأية امرأة، استطاعت مسيراميس أن تغذى ذلك الشوق والحب وتستغلهما لتتحكم فى الرجل الذى عبدها، فخضع لرغباتها، واحترم أفكارها، وصاد يأخذ بآرائها فى كل ما يلم به من أحداث ومهام.

ومرت الأيام، وسميراميس كل شئ فى حياة الوزير.. وكل شئ أيضا فى حياة الجماهير. الا أن شيئا اكثر من جمالها كان سببا فى تعلق الشعب والوزير بالعروس الالهية.. هو ذلك النصر الذى استطاعت أن تقدمه للملكة كلها..

عندما عرفت كيف تسقط أضخم حصن من حصون الأعداء.

كان ذلك يوما خالدا من تاريخ البلاد. وكان الملك «نينوس» قد انتهى من تشييد عاصمة ملكه، وراح يبحث عن السبيل ال أمجاد جديدة يحققها لنفسه ولملكته الواسعة الأطراف. فما مضت أيام حتى كان قد استقر رأيه مع وزيره وقائد جيشه «مينوتس» على تجنيد جيش كبير ضخم، يقتحم ممالك أخرى مجاورة. ثم لم تمض أيام أخرى حتى شهدت نينوى خروج جيش عظيم يخترق شوارعها ويبتعد عنها ليجاوز حدود البلاد نحو الشرق.

كان الجيش ضخما بالغ القوة لا قبل لأحد به على الأطلاق. فلم يكن عجيبا ألا تقبت أمامه أو جيش. الا أن الذى أثار «نينوى» وأضب ملكها. هو أن ذلك الجيش الضخم، وعلى رأسه القائد، والملك نفسه، عجز عن اقتحام عاصمة الأعداء.. «بكتريا» لأيام طويلة راحت الهجمات تتكسر خلالها على الأسوار المحيطة بالقلعة الشامخة.

وعجب الملك ووزيره أن يقف الجيش دون العصمة لا يستطيع لها صراعا. ومع ذلك فقد أبى الملك لا أن يستمر على حصارها ولو أودى أرسل اليها يستدعيها لتوافيه فى ميدان القتال.

وحضرت سميراميس. ولم يعرفها رجال الجيش الابعد أن تأملوها طويلا. وعرفوا جمالها الأخاذ الوضئ.. فقد كانت ترتدى ملابس الرجال على غير ما كانوا يعهدون..!

وطلع صباح.. ووقفت «سميراميس» على باب الخيمة تتأمل العاصمة الرائعة التى أنهكت الجيش أنهكت الجيش الذى لم يهزم أبدا. ولاحظت «سميراميس» أن الهجوم كان موجها الى قسم المدينة القائم فى السهل، لا ضد قلعتها، مما جعل البكاترة يحرسون حصونها بقليل من اليقظة. وخطرت لها فكرة.. ألا يمكن أن تنهار مقاومة الأعداء لو هو جمت تلك القلعة الشامخة مباشرة.. وهل يمكن أن تقوم هى بنفسها بهذا الهجوم..؟!

وانطلقت «سميراميس» الى الخيمة فأيقظت زوجها. ولم تمص لحظات حتى عرفت كيف تقنعه بخطتها التى رسمتها من خلال تأملها لقصير لجوانب الموقعة..!

وانتفضت القلعة بعد ساعة من بزوغ الشمس على هجوم عارم عنيف، تشنه عليها فرق قوية من الجنود اختارتهم «سميراميس» بنفسها وتقدمتهم الى اقتحام القلعة الشامخة.

وانقضت ساعة وبعض الساعة.. وانتبه الملك، والوزير مينوتس، والجيش جميعا.. فاذا «سميراميس» واقفة على قمة القلعة تلوح بذراعيها أن تقدموا..!

وعرف الكل أنه النصر.. وأدركوا أن المرأة التى قادت بضعة رجال قد أقتحمت القلعة التى انهارت.. وان العاصمة قد باتت بين ايديهم.. والتفت الملك الى قائده مينوتس يسأله:

- من تكون هذه المرأة يا مينوتس..؟!

وشعر «مينوتس» بدنو الكارثة.. وادرك أن «سميراميس» قد راقت فى عينى الملك، فسكت على رعب كأنه لم يسمح. وكرر الملك السؤال، ولم يجد القائدة بدا من أن يجيب:

-انها زوجتى يا مولاى..!

وعاد الملك الى العاصمة.. ودخل قصره.. وتفرق الجند والناس. وأرسل الملك الى قائدة يأمره بدعوة «سميراميس» اليه. ولم يستطع الوزير الا يحنى هامته..

أما سميراميس.. فقد وجدتها فرصة للوصول الى المجد الذى طالما حلمت به. وحملت نفسها فى محفة يرفعها أربعة من العبيد السود، وتسايرها فيها وصيفتان جملتان.. هذه راكعة وراءها تروح لها، وتلك ساجدة أمامها تلبى الرغبات..

وعندما دخلت على الملك.. ووقعت عليها عيناه فى اتكاءتها واتفاتها وزينتها وتألق طلعتها.. انهار قلبه فى هوى عربيد.. زادت هى من لهيبه بنظرات كلها دل وفتور.. لم يدع له مجال الاخيار..!

وعندما صار وحدها.. اتفق معها الملك على أن تترك زوجها.. لتكون له وحده.

وعادت «سميراميس» إلى قصر زوجها. وعاد فى أثرها رسول الملك يقول لمينوتس:

– ان «سميراميس» قد راقت فى عينى الملك. فهو يريد أن يراها فى قصره بين محظياته ونسائه. فاذا كنت فى حاجة الى زوجة تحل مكانها فليس لدى الملك ما يمنعه من أن يسمح لى بالزواج من أبنته بدلا من «سميراميس»..!

وصعق الوزير لرسالة الملك. ورغبته التى لا يمكن أن ترد. ولبث أمد لا يدرى كيف يفعل؟ واستدعى «سميراميس» زوجته يسألها كيف يتخلص من زغبة الملك.. فاذا بها تشير عليه بتلبتها.. على أن تسعى هى خلال اقامتها فى البلاط.. بما أوتيت من فطنه ودهاء.. لعلها تقنع الملك باعادتها اليه..!

ونزل القائد عند اشارة «سميراميس».. وكله حزن ويأس. ولكنه ما كاد يبصرها خرجة من القصر فى محفتها.. حتى أسودت الدنيا كلها فى عينيه.. وانطلق الى شجرة قائمة فى أقصى المدينة..

ومن غصن قوى من أغصان الشجر العجوز.. تدلت جثة لم تجد حولها أحدا يواريها التراب...

وكانت هى نفسها جثة الوزير.. الذى حكم على نفسه بالاعدام..!

● ● ●

بلغ الخبر «سميراميس» وهى بعد لاتزال فى طريقها إلى قصر الملك. ولكن ما الذى كان يهمها من انتحار رجل ما أحست يوما واحدا بأنها تحبه.. أبدا ما

أحبته قط.. وما كان ليملأ قلبها سوى حب المجد.. والسلطان.. والسيطرة. وهى تستطيع أن تجدها جميعا.. فى قصر نينوس.

وكان القصر ينتظرها كما لو لم ينتظر ملِكة من قبل أبدا. وعندما دخلته كانت تعلم أنها لن تكون فقط أولى المحظيات.. بل ستكون هى وحدها الملكة.. ولا محظيات سواها بعد...

وكان هذا هو بالضبط ما حدث...

فقد عرفت «سميراميس» الداهية كيف تجعل الملك يكتفى بها هى وحدها.. ويطرد محظيات القصر ونساءه كلهن.. كأن الدنيا لم يعد فيها غير «سميراميس»...

ورفعها الملك من محظية الى ملكة...

وولدت له الملكة ولدا سماه ميناس...

وظلت الحياة تسير.

● ● ●

عرفت «سميراميس» كيف تجعل من نفسها كل شىء فى قصر الملك.. وعرفت كيف تجعله لا يطيق فراقا لها لحظة.. حتى ولو كان خروجا لحرب أو لاخماد ثورة فحسب...

غير أن خروجها معه فى كل غيزواته ملأها كراهة له واحتقارا. فقد كان يستعمل فى حروبه ابسع وأقسى أنواع التنكيل والأرهاب تماما ككل من سبقوه من ملوك بابل وآشور.. فكيف تطيق هى التى رعتها سمامات السلام فى البيداء مشاهد الدم المسفوك هنا وهناك.. وفى كل مكان..؟!

وكان آخر ما شهدته من خروج الملك، عندما خرج إلى بلاد الطورانيين الثائرين عليه.. فعندما ظفر بأعدائه وفتحت له أبواب مدينتهم، أمر بسلخ جلود كل الشبان وهم أحياء.. وعلق الجلود على جدران بناها أمام أبواب المدينة

الثـائرة.. ولم يكتف الملك الوحش بكل ذلك.. فـقـد أمـر بقطع رءوس الثـوار.. ونظمها فى حبل على شكل عقد، وحكم على من بقى حيا من الرجال بأن يأكلوا لحوم أبنائهم وبناتهم.. أما من أبى فقد قطعت أنفه واذناه وشفتاه.. ثم سيق مع الآخرين الى العاصمة.. ليدخل بهم دخول الغزاة المنتصرين..!

ولم تطق «سميراميس» كل تلك الفظائع.. وكرهت.. الرجل الذى عرفت فيه أقسى من وجد على ظهر الأرض ودفعتها تلك الكراهة - جنبا إلى جنب مع حب الطموح والسيطرة - إلى أن تسعى للتخلص من الزوج.. عن أى طريق..!

وكانت «سميراميس» تعرف الطريق جيداً. فقد عرفت من قبل كيف تتمنع على الملك لتغريه.. وكيف تقصيه عنها لتشغل فى قلبه كل الشوق.. فإذا ما تضاءل أمامها وتحطمت منه الأعصاب.. كان هذا هو الوقت الذى تطلب فيه ما تريد.. وسرعان ما يلبى ويجيب..!

وكـان مـسـاء.. وبينمـا الملك يجلس فى مـقـصـورتهـا وكله شـوق. وحـدث «سميراميس» أن الوقت قد حـان لتطلب مـا تريد.. وكـان طلبهـا هو أن يسلمها سلطته كلها لأيام ثلاثة.. تجلس فيها وحدها على العرش.. ويكون لها أثنائها أن تأمر فتطاع.. ولو كان الأمر صادراً إليه هو نفسه..!

وابتسم الملك.. ثم ضحك.. ثم كاد يستلقى لطول ما ضحك.. ثم قال لها:

- لك ما تريدين..!

وجلست «سميراميس» على عرش نينوى.. تأمر وتنهى وتحكم.

وانقضى اليوم الأول بسلام..

وطلع صباح اليوم الثانى من الأيام الثلاثة التى منحها لها الملك.. فكان أول أمر أصدرته «سميراميس» للجنود أن يقبضوا على الملك..!

وأطاع الجنود.. واقتيد نينوى إلى السجن أمام عينيها. وعندما راح الملك يستعطفها فى ذلة وخضوع.. ابتسمت له ساخرة.. ثم انطلق من بين شفتيها أمر

جديد إلى الجنود. بأن يذبحوه..!

وأثبتت «سميراميس» أنها لم تعد بعد من الحمائم. وأنها قد أصبحت فى بابل وآشور.. أكثر قسوة من كل طغاة بابل وآشور..!

وعلم الشعب بما صنعته الملكة.. فهاج.. وتألبت الجماهير وتزاحفت إلى القصر تهتف بالثأر. وتنادى برأس الملكة..

وتلقت «سميراميس» نبأ الثورة وهى فى الحمام.. فلم تذعر.. ولم تأخذها رعدة. بل خرجت من الحمام نصف عارية.. فى شعر مفنوش.. وغدائر تنسدل على كتفيها كريش الطاووس.. وأطلت من شرفة القصر..!

وتحول الصخب فجأ ليصير همسا ضئيلاً.. وصمت الضجيج ليتحول بعد ذلك عبادة وصلاة للملكة القاتلة..!

وسجد الجميع.. ثم تفرقوا.. وقد أصبحت الملكة فى مقام الآلهة..

ومنذ ذلك اليوم.. جلست «سميراميس» وحدها على عرش آشور تحكم دولة مترامية الأطراف.. وتقود الشعب كل يوم إلى مجد جديد..

واستمرت «سميراميس» تحكم وحدها عشرين عاما.

ولم يعد ينقصها بعد كل الأمجاد التى صنعتها للشعب الا أن تتحول إلى الفتوح. وتحطم كبرياء كل الثوار.

وصنعت «سميراميس» جيشا لم تر آشور مثله جيشا قط. زحفت به لتخضع آسيا وميديا وفارس وأرمينيا وفينيقيا ومصر وليبيا.. ولم يعد هناك من بلد يقف فى وجهها إلا الهند.. ذلك البلد المسحور الذى تحدثت عنه كل القرون السابقات.

وإذن فإلى الهند..

وخرجت «سميراميس» على رأس جيشها الجبار. فما وقف أمامها عدو.. وما صمد دونها بلد.. حتى بلغت اطراف الهند وقد أنهكها طول السفر..

وكانت «سميراميس» قد استعدت قبل ذلك بسنتين لملاقاة جيش ملك الهند. وكان الهنود مشهورين بقدرة أخيالهم التى تستخدم فى الحرب فلا تقهر. فسعت هى إلى التغلب على هذه العقبة بحيلة حربية.. وأمرت بتغطية مائة ألف جمل بجلود الثيران السوداء المخاطة لتقلد بها الفيلة. وشيدت ألفى مركب لتشق بها نهر الهند.. وحملها لجيش معها على ظهور الجمال..

وبدأت الحرب وجها لوجه.. وكانت «سميراميس» قد أنزلت فيلتها المعركة.. فكسبت أولى الجولات.. وأسرت مائة ألف هندى.. وأغرقت ألف مركب من مراكب الأعداء فى نهر السند.

وتظاهر الملك الهندى بالتراجع والهرب.. ومن ورائه انطلق جيش «سميراميس» بغير نظام يبغى الغنيمة. وكانت هناك قنطرة كبيرة على النهر اضطرت «سميراميس» أن تنزل جيشها على جانبها وتوقفت المعركة.

وفى اليوم التالى عاد القتال.. وانطلقت الفيلة الزائفة براكبيها تطارد جيش الهند المتقهقر.. ولكن الهنود الذين اكتشفوا الزيف عندما عثروا على جثث الفيلة الميتة.. عادوا يكرون على جيش «سميراميس» بفيلتهم الحقيقية التى تمرست الحروب وخبرتها..

وانهار جيش «سميراميس».. وفر الرجال والجمال فى اضطراب لم يكن بعده سوى الهزيمة..

أما هى.. فقد أصابها سهم ونشاب من يد الملك الهندى. جعلها تسرع مع فلول جيشها المقهور إلى عبور نهر السند مرتدة إلى بلادها.. ولم يتبعها الملك الهندى بجيوشه إذ حذره كهانه من العبور..

وتم الصلح على تبادل الأسرى.. وعندما عادت «سميراميس» إلى آشور.. لم يكن يحيط بها من الجيش الذى خرجت به من قبل.. سوى الربع أو أقل قليلاً..!

وفى عاصمتها أحست «سميراميس» خيوط مؤامرة جديدة.. فقد كان ابنها ميناس قد ضاق بخمول ذكره أمام عظمة أمه وسلطانها.. فملأته الغيرة.. وطمع

فى الحصول على كل السلطان..!

شعرت «سميراميس» بما يديره ولدها.. وأرادت أن تجتذبه إليها وتتدارك أمر نفسها فتزوجته.. لكن هذا الزواج لم يجدها نفعا.. فقد لبث ميناس يحوك لها المكائد والدسائس حتى أحست كأنها محصورة فى مصيدة..!

وأتعبها الجهد.. ولم تجد أمامها إلا أن تتنازل عن العرش لولدها ميناس.

وخلعت «سميراميس» التاج الذى كسبته بالدم.. وخرجت من عاصمتها - بابل - التى شيدتها أيام مجدها.. لتعود إلى البادية التى تلقتها وليدة من قبل.. وهناك عاشت منبوذة وحيدة.. كأنها لم تكن ذات يوم شيئاً قط..!

ولم تطق «سميراميس» صبرا بعد.. فرفعت يديها إلى السماء تطلب من الإله بيلوس أن يأخذها إليه..

واستجاب لها رب الأرباب.. فحولها إلى حمامة بيضاء، رفرفت لتطير إلى السماء ومن حولها غمامة هائلة من حمائم أخرى بيض، تماما كتلك التى ربتها ورعتها ذات يوم..

وهناك.. عاشت «سميراميس».. كواحدة من ربات آشور وبابل.. وعبدها أهل الأرض تماماً كما يعبدون أهل السماء..!

■ ■ ■

أسطورة بابلية
شجرة الكريز

«هذه الأسطورة تنازعها كل من الأدب البابلى والهندى والإغريقى. والشجرة التى تعتبر بطلة الأسطورة تذكر مرة على أنها شجرة ورد، ومرة أنها شجرة توت ومرة- وهى الغالبة فى كل تلك الإساطير- على أنها شجرة كريز.

ومهما يكن الأمر، فالصفة التى تجمع كل هذه الأساطير، هى أن دم العاشقين اللذين انتحرا، سقى عروق الشجرة وثمارها البيضاء... فاذا ساقها ترتدى السواد حدادا عليهما.. وأذا ثمراتها تحول الى لون أحمر.. رمز الدم الذى جرى خلال حوادث المأساة!.»

فى مكان ما على شاطئ الفرات.. تنهض شجرة ضخمة من أشجار الكريز. تتدلى من بين أوراقها ثمرت حمراء قانية كلون الدم. ومنذ آلاف السنين لم تكن تلك الثمرات تصطبغ بذلك اللون قط.. بل كانت شفافة بيضاء بلون الثلج.. عندما كانت «تسيبا» و «بيرام» لا يزالان يلعبان ويرتعان فى صعب وضجة أمام منزليهما المتجاورين على مقربة من سور بابل العظيم.

كان منزلاهما متلاصقين يشتركان فى جدار واحد يفصل بين حجرة بيرام فى منزل أهله، وحجرتسيبا فى بيت أهلها. وكان بيرام يفوق كل صبيان بابل فى وسامته ورونقه واعتدال قومه. كما كانت ربه الحب والجمال قد خلعت على الصبية تسيبا أروع فنونها وأبرع ألوان جمالها ومحاسنها. وتعارف الجاران الصغيران وتصادقا، وصارا يلعبان فى الفناء المنبسط أمام الدارين كل يوم، وكل ساعة من ساعات النهار، حتى التصقت حياته بحياتها، ولم يعد أحد منهما يسبطيع فراق الآخر على الاطلاق.

ومرت الشهور والسنون. وشب بيرام، وامتلأت تسيبا واستدارت، وبدأ كل منهما يحس فى أعماقه شيئا آخر غير الود الصبيانى يملأ قلبه.. ود آخر اسمه الحب.. راح يتمكن كل يوم من قلبى الفتيين، ويأخذ بقواهما وحواسهما. حتى ما كان أحد منهما يستطيع أن يتصور غياب زميله عنة لحظات.. فهما معا طوال النهار حتى اذا جن الليل انصرفا على عناق طويل وقبلات حنون.. وانطلق كل الى فراشه وطيف صاحبه يرف عليه باجنحة الأمانى والآمال والأحلام الرائعات.

وجاء يوم.. مرت فيه آلهة النميمة بالعاشقين الصغيرين. فملأها الحقد والغيرة لمشهد الحب الطاهر الذى يغمر القلبين الفتيين. وأبى حقدها الا أن يعمل كمل تعود على تحطيم كل ما هو طاهر ونبيل. وتمثلت آلهة النمية فى ثوب فتاة تدعى «أورانيا» تطل دارها على الفناء الذى يجتمع فيه الحبيبان معتقدين أن لا رقيب عليهما هناك. وراحت» أورانيا «، وفى اعماقها روح النميمة، تتابع القلبين العاغشقين فى نجواهما وتسارهما وتبادلهما نجوى الهوى وحار القبل. وظلت الغيرة تنهش قلبها وهى تشهد كل يوم ألوان ذلك العشق البرئ.. وراحت تلعب دورها الخائن الشرير.

انطلقت أورانيا تحكى لكل صديقة تجلس اليها قصة العشق بين بيرام وتسيبا، وتعظم لها فى الأمر. وراحت تلك تنقل الخبر الى غيرها من بنات الحى مهولا ضخما. وهذه تنقله الى أخرى أشد هولا وأكثر اثما وكان لا بد أن يبلغ الأمر آذان الوالدين الذين لم يشكا فى ابنيهما يوما قط..!

ملأت حمى العار رءوس أهليهما.. فقد دنس الوالدان قدسية الأخلاق البالية، وداسا تقاليدها التى لا تأذن لشاب وفتاة بالاجتماع الا بعد اخذها من سوق الزواج.

وأسرع الوالدان معا الى حيث قيل لهما ان العاشقين الصغيرين يجتمعان. فأدركاهما يتعانقان ويتبالان قبلات الحب البرئ الطاهر. ولكن الأبوين لم يحسا

فقط ذلك الطهر. بل أخذهما جنون العار ورعب الفضيحة.. وأمسك أبو تسيبا بعرها الطويل وراح يجرها على الأرض حتى داره وهو يصب عليها اللعنات.. ودفع أبو بيرام ولده أمامه يركله، ويرميه على الأرض كلما نهض كلما نهض، وأبى الأبوان الغليظان الا ان يحرما على العاشقين الصغيرين اى لقاء..!

واستمرت قسوة الأبوين عنيفة رهيبة لا ل تلين.. وراحت تسيبا تتوسل الى ابيها ان يرحمها ويقبل زواجها بحبيبها.. ولكن الأب القاسى أبى الا أن يذيقها صنوف العذاب، وما اهتم قط لتوسلاتها ودمرعها، وما لان قلبه أبدا برغم اجتماع كل نساء بيته عليه يستعطفن ويتوسلن الفتاة المسكينة منهارة أمامهن.. لا تكاد تدرى كيف تعيش..

وكان بيرام يلقى المصير نفسه فى بيت أبيه.. لا أحد يرحم حبه. ولا أحد يشفق على قلبه وهو يتوسل أن يتاح له زواج فتاته التى عشقها وهويها فى جنون.

غير أن الحب لا يعرف الهزيمة ابدا.. بل راح اليأس يدفع الفتيين العاشقين الى التفكير فى وسائل أخرى للقاء.. والبعد عن رقابة الأبوين القاسيين..

وأدراك الفتيان أن حجرتيهما لا يفصل بينهما غير جدار واحد رقيق، فراح كل منهما يعمل من ناحيته حتى شقا ثقبا صغيرا لا يكاد يبن بين الحجرتين.. راحا يلسان اليه.. يتشاكيان آلام قلبيهما، ويتبادلان أنفاس الهوى العطر.. بعد أن أصبح الثقب هو سبيل اللقاء والاتصال بين المحبين الغارقين فى الحرمان..!

منذ ذلك الوقت والثقب الصغير يقوم جيدا بدور رسو الغرام.. فهما يسهران الى جراره الليل كله.. يتناجيان ويتهامسان حتى يحين وقت الرقاد.. فيودع الحبيب حبيبه بأعذب الألفاظ وارقها، ويقبلان الثقب الطاهر، وينصرفان ليعودا مع اليوم التالى الى اللقاء الحبيب..!

غير أن الثقب لم يكن يكفيهما على الاطلاق.. وما عاد يستطيع شفاء ما بقلبيهما من تبريح الهوى والشوق.. فلم يجدا بدا من ابتكار وسيلة أخرى للوصل

بين قلبيهما الصغيرين.. ولم تكن الوسيلة سوى مغافلة أهليهما خلال الليل.. وخداع حراس السور.. واجتياز ابواب المدينة.. والفرار الى الصحراء..

وعندما اتفق الفتيان على الوسيلة.. قررا أن يكون لقوهما عند قبر نينوس الملك..

كان يظلل قبر الملك نينوس شجرة كبيرة تتدلى من بين أوراقها ثمرات الكريز.. بيضاء شفافة كقطع الثلج. والى جوار الشجر كان هناك نبع بارد الماء حلو المذاق كأنه عسل انحل..!

وفى ظل تلك الشجرة اتفق المحبان فى أن يكون اجتماعهما بعد طول فراق..

وسكن الليل، وغفلت العيون، ونضت «تسيبا» من فراشها، ووضعت على رأسها غطاء يخفى وجهها الوضئ، وسارت فى خفة تتلمس الجدران وتستهدى بها الى باب الدار. وعندما دلفت منه ملأتها طمأنينة عذبة هادئة.. شجعتها فى السيدر بجوار السور حتى بلغت البوابة الشبرى. ولم يعد بينها وبين الصحراء سوى خطوات..

واطلت ربه الحب والجمال من السماء فشهدت الحيرة تملأ الفتاة فلا تعرف كيف تجتاز البوابة والحراس قائمون..

وبعثت الربه رسولتها لتهبط بين الحراس تشغلهم بدلالها وأغانيها والحان مزمارها. وغفل الحراس عن البوابة التى انسلت منها «تسبيا» كما ينسل شعاع النور من بين ظلمات الليل الداكن الطويل.

وفى حذر كبير مضت الحبيبة.. وهى تحس كأن نبضات قلبها دبيب خطوات عملاق. وكلما سمعت صوتا، أغاثتها لمسات الحب فخففت عنها رعبها، وشجعتها فى المضى الى حث لقاء «بيرام» الحبيب..

وبلغت تسيبا آخر الأمر قبر الملك نينوس. فانحنت على ماء النبع، وملأت

منه كفيها فغسلت وهها وروت ظمأها. ثم مالت لاجئة الى ظلال شجرة الكريز المخيمة عل النبع فى انتظار بيرام.

ولم تكد تمضى بها لحظات.. حتى ملأ سمعها زئير رهيب ردد صداه الغاب. وانتفضت الفتاة فى رعب قاتل، وانطلقت تجرى مذعورة على غير هدى حتى بلغت الغابة القريبة فاستترت بين أدغالها.. ونسيت فى خلال الرعب منديلها الحريرى الذى سقط عن كتفيها وهى تجرى.. واستلقى على الرمال ليرسم أول خيوط المأساة..!

كان الزئير الذى أثار الرعب فى قلب تسيبا.. صوت لبؤة افترست ثورا. وعندما انتهت من تناول طعامها أخذ بها العطش فانطلقت تبحث عن الماء حتى بلغت النبع الساكن الى جوار شجرة الكريز، وفلغت فى مائه حتى ارتوت، وبينما هى تعود الى الغابة عثرت فى طريقها بالمنديل الحريرى المستلقى على الرمال...

وبدا المنديل للبؤة كأنه عدو عنيد. وزأرت من جديد وهى تنهال على المنديل تمزيقا بأنيابها ومخالبها التى كانت هد غطتها دماء الحيوان الذى افترسته منذ لحظات...

وتلوث المنديل بدم الضحية المسكينة.. واستمر فى مكانه ممزقا ملوثا يثير الرعب..!

وكان الرعب من نصيب بيرام الذى وصل فى تلك اللحظة يملؤه الأمل باللقاء الحبيب. وكانت اللبؤة قد توارت وراء الدغل.. بينما تسيبا لا تزال مختفية تنتفض رعبا وهلعا، ولا تجرؤ على العودة الى مكان اللقاء.

وراح بيرام يطل بعينيه يمنة ويسره بحثا عن الحبيبة التى لم يعرف بعد اذا كانت قد سبقته ام لا تزال على الطريق.

وأخذت عيناه مشهدا عجبا.. لقد كان المنديل الذى أهداه لحبيبته منقى على الأرض ممزقا تلوثه الدماء.

وصرخ بيرام فى جنون.. وقد ملأه اليقين أن عذراءه قد التهمها وحش مفترس لم يترك بقاياها سوى ذلك المنديل المخضب بالدم.

واستمرت صرخات بيرام رهيبة موجعة تمزق سكون الليل. وراح الفتى يضرب صدره ورأسه بيديه ويصيح:

-يا ليل تبا لك.. لقد شهدت مصرع تسيبا الحبيبة.. وستشهد الآن مصرع محبها التعس الحزين. يا ليل سحقا لك.. لقد كانت تسيبا احق منى بالحياة.. ولكنك أنت، وربة القدر، ورب الموت، كلكم وحوش عمى لا تأخذكم رحمة ولا اشفاق على قلوب من تصرعون. ولكن لا أيتها الحبيبة.. ما قتلوك وانما أنا الذى قتلتك. أنا الذى انتزعتك من فراشك الدافئ، وبيت أسرتك الآمن، الى حيث المفازع والأهوال. لماذا لم آت قبلك يا تسيبا؟ اذن لكنت دونك فريسة الوحش الظلوم. أواه أين أنت أيها الوحش القاتل؟ أين أنتم جميعا أيتها الوحش الضارية؟ تعالى مزقى جسم بيرام أربا أربا.. فهو الذى قتل محبوبته واستحق العقاب على جريمته الشنعاء. افترسينى أيتها الضوارى المفترسة.. فأنا أحق بالقتال والطعن والتمزيق. ولكن لا.. فلن أنتظرك حتى لا يطول الانتظار. فلست أطيق أنا أعيش لحظة بعد أن ذاقت حبيبتى كأس المنون. أبدا لن انتظرك أيها الموت. فالجبان وحده هو الذى ينتظر الموت.. أما أنا فأسعى اليك، لست جبانا أيها الموت، انما شجاع، شجاع، شجاع.!

وانطلق بيرام فتناول المنديل المخضب بالدم، وحمله الى ظل الشجرة وهو يقبله ويبلله بالدموع. ومد بيرام يده فأخرج خنجره المسنون، وانقض به على صدره يصحنه.. ثم انتزعه من جرحه وألقى به جانبا قبل أن يسقط ممددا على أديم الصحراء.. مستندا على جذع شجرة الكريز..

ونفر الدم سخينا قانيا على جذع الشجرة وجذورها فنهلته.. وتلونت ثمراتها البيض بلون قرمزى كلون الدم الذى أروين به..

وظل الجسد ينفث دما، والمنديل لا يزال منضما الى مكان الصدر منه،

وسكرات الموت تأخذ به.

كان كل ذلك يجرى، وتسيبا مختبئة داخل الغابة لا تدرى من الأمر شيئا. وظلت الفتاة فى مخبئها حتى أمنت عودة اللبؤة، فانطلقت تحث الخطى الى مكان اللقاء الحبيب، وهى تخشى أن تكون قد تأخرت عليه.

انطلقت تسيبا وعيناها تسبقانها لترى الحبيب عند ظلال الكريز. ولكن العينين عرفتا المكان.. وانكرتا لون ثمار الكريز.. لقد تركتها منذ لحظات بيضاء كالبرد.. ولكنها الآن حمراء كالدم.

وعجزت عن الفهم.. أتكون قد عادت الى مكان آخر غير مكان اللقاء..؟! ولكن أبدا.. فها هو ذا قبر نينوس الملك.. وها هو ذا النبع الذى اغتسلت بمائه.. وهذا هو...

ولكن.. ما ذاك الهيكل المستلقى تحت الظالم القاتم لا يتحرك..؟! أيها الجنون.. انه بيرام.. جثة بيرام الحبيب لا يزال ينبثق منها الدم..!

وانهارت تسيبا المولهة فوق الجسد البارد تحتضنه وتقبله وتمزج دموعها بدمائه. ومن أعماق قلبها راحت الفتاة تهتف:

- بيرام.. بيرام ايها الحبيب.. اجبنى يا أعز شئ فى الوجود. اننى أنا تسيبا حبيبتك. أرفع رأسك قليلا وافتح مقلتيك وانظر الى آلامى وبلواى..!

وتحت سخونة الدموع، اختلج الجسد البارد، وفتحت العينان المغلقتان، ورنا بيرام اليها ونوة ملأى بمعانى الحب والحنان واليأس... ثم انتهى كل شئ.

وعادت تسيبا تصرخ وتبكى تنهار.. وتقلب الجسد البارد لعلها تستطيع رد الحياة اليه ومست كفها المنديل الذى كان لا يزال فى يد الحبيب المقتول. انه ممزق مخب بالدم.. وهذا الخنجر.. كيف.. كيف..؟!

وأدركت تسيبا كل ما كان.. وعادت فى جنون:

- بيرام.. اذن أنا التى قتلتك.. ومنديلى التعس كان هو السلاح الذى القى

يك الى التهلكة.. اننى أنا المجرمة يا بيرام.. حبى هو الذى سفك دمك.. ولكن لا.. أبدا يا بيرام .. أنا أعرف هذا الحب الذى قواك على أن تموت.. أنه هو الذى قوى يدك على خنجرك لتخترق به قلبك.. أنا أعرفه يا بيرام.. وأعرف أنه سيمنحنى القوة أنا ايضا لألحق بك أيها الحبّيب.. بيرام.. بيرام.. ان تسيبا تسرع اليك. انتظرنى يا بيرام.. فهأنا آتية اليك.. أما أنت يا والدى.. وأنت يا والد حبيبى.. أننى أرفع اليكما رجاء ولديكما التعسين الاتفرقاهما أمواتا كما فلتما بهما من قبل احياء. اتركاهما فى قبر وأنت أيتها الشجرة المسكينة التى شهدت مصرع حبيبى.. انك ستشهدين مصرعى أنا الأخرى.. فاحتفظى أثر اسشهادنا فى الحب.. التفى حتى الأبد بعباءة الموتع السوداء خزنا علينا.. واحملى ثمارك حمراء قانية.. تشهد بقسوة طالع عاشقين سقياك بدمائهما التى سفكتها أيديهما.

وانطلق الخنجر من جديد فى صدر تسيبا.. ليلقى بها ساخنة بنبثق منها الدم فوق جثة بيرام.

ويكى رب النسيم وهو يحمل الى آذان الآلهة، وآذان الوالدين، صرخات شهيدة الحب وتوسلاتها فرأفت بها الآلهة وجمعت روحها مع روح حبيبها معا فى الفردوس الخالد.. حيث نهار دائم ونور نقى وفرح لا يزول...

أما الأبوان.. فقد انطلقا معا يحرقان جسميهما الطاهرين.. ويضعان الرماد فى اناء واحد دفناه فى قبر تحيطه الأزهار والرياحين. أما شجر الكريز.. فقد التفت بملاءة حزينة سوداء.. وظلت ترسل ثمراتها التى كانت ذات يوم بيضاء.. فأذابها منذ ذلك اليوم حمراء قانية.. بلون الدم..

■ ■ ■

بيرام وتسيبيه

كان أجمل شباب بابل، وكانت أجمل حسانها، وكان بيتاهما متلاصقين، فكان يراها وكانت تراه، وكان يلقاها وكانت تلقاه، وكانا يتلاعبان فى الصغر، وطفلين كالملائكة، ثم شبا، فكانا ينفران إلى الخلاء.

ولم يقو بيرام على عذاب البعد، فاتفق وتسيبيه على أن يكلم أباه ليكلم أباها فى الخطبة، ولكن والد بيرام أبى واستكبر ورفض أن تكون هذه الفتاه- التى هى مطمع أبصار شبان المدينة- زوجة لولده، وكذلك أبى والد الفتاة، ثم شجر الخلاف واتسع، وكثرت شياطينه، وأحيا عداوات قديمة، فتدابر القوم وتناكروا، ولكن ما فى قلب الحبيبين ظل على ما كان عليه، بل ألهب البعد الذى جرت إليه الخصومة أوار حبهما، فازدادا هياما، وذابا غراما، وكانت عداوة أقليهما عليهما بردا وسلاما.

ولم يعد يفكر إلا فيها، ولم تعد تفكر إلا فيه، وراح ينظم الشعر يتغنى به برجاء، ويرسل موسيقاه يكلم السماء عسى أن ترق له آلهتها فترحمه مما يقاسى. وراحت هى تبكى وتتكلم بلغة الدموع إلى نفسها الملتاعة.

وتصدعت السماء، وانهمرت شآبيب الرحمة، وأنهل فيض الحنان، وأمرت الآلهة فزلزلت الأرض زلزالها. وكانت الغرفة التى ينام فيها بيرام ملاصقة للتى تنام فيها حبيبته تسيبيه، وكان يفصلهما جدار مشترك بين المنزلين المختصمين، أحداث الزلزال فى هذا الجدار صدعا صغيرا كالشعرة فوصل هواء الغرفتيت، وحمل كلام احبيبين وأخذت موسيقى بيرام، وأخذت النجوى الحلوة، والشكوى الجميلة، وغزل الكلام، وحنين القول ينتقل فى برج هذا الشق كأنها كواكب السعد تحدوها الآهات الملتهبة، وتذهب بها القبلات الحارة، ترف بأجنحة من أثير، من فم ألى فم.

وهكذا كانت أحاديث الحبيبين المعذبين كلما جنهما الليل، وضمهما غاشى الظالم، أحاديث كأوشية الروض، وأفواف الزهر، ونجوى البلابل، ممزوجة بعبرة أو عبرتين بريقيهما على جفاء الأهل، ولد الطباع، وقسوة الأيام، أخذت تصرف عن عينيها رؤى عفاريت الليل، وتصاوير الوهم المريض، ثم سخرت من خوفها وذكرت التوتة البيضاء، والنبع الذى عندها، فارتدت إليهما؛ لتجلس ثمة، ترتقب زورة الحبيب.

وجلست عند جذع التوتة تنتظر، وهى فى هذا وذاك تفكر فى بيرام، وتضرب لتأخره أخماسا لأسداس، ثم ذعرت الفتاة ذعرا كبيرا، وساخت الأرض تحت قدميها المرتجفتين الواهنتين؛ ذلك أنها لمحت شبح لبؤة تخرج من دغل قريب فجأة ثم تيمم شطر النبع الذى تعرش من فوقه التوتة. ماذا؟ إنها لبؤة ضارية أقبلت ترتوى كأنها عروس من الجن.

وأطلقت الفتاة ساقيها للريح، ولم تحفل بها اللبؤة، لأنها قد افترست فريسة قبل ساعة ونهشتها، وهذا فمها ملوث بالدم الغريض والدافئ.

لم تصنع اللبؤة شيئا، إلا أنها رأت الخمار الأبيض الذى كانت تسيبه ملتفعة به، ملقى على الأرض، فعاثت فيه، وكأنما أرادت أن تمسح فمها به، فلوثته بالدم، ثم همهمت نحو النبع فارتوت على مهل، وعادت أدارجها نحو الدغل الذى تركت فيه فريستها لتأتى على بقاياها.

أما الفتاة فقد ظلت تجرى حتى بلغت شجرة ضخمة وجدت فى أصلها فراغا فاختبأت فيه، وراحت تلهث من الذعر والتعب، وتتمنى ألا ترتد اللبؤة إليها وقد أيقنت أن «ديانا» إلهة القمر، قد سمعتها حين عابت على البدر عيه وبكمه، فساقت إليها ذاك الوحش فى هذا الليل.

ولم يمض وقت طويل على تلك الأحداث حتى أقبل بيرا وفى نفسه لهفة، وبقلبه قلق، فقصد إلى مقبرة نيتوس فلم يجد عندها شيئا.

وفجأة هتفا «ياللهول: ويا للفزع الأكبر، ما هذا؟ خمار حريرى أبيض! لمن

هذا الخمار يا ترى؟ أوه أنه خمارها لا ريب لقد شهدتها تتلفع به مرار. يا أرباب السماء ما هذا الدم؟! واأسفاه عليك يا تسبيبه لقد قتلتك الوحوش فلن أراك بعد اليوم، أنا السبب يا حبيبتى. لقد جررت عليك هذا باقتراحى الضال. ثم أغمد سيفه فى صدره وسقط يتجرع غصص الموت!

وهدأ روع تسبيبه، فبرزت من مكمنها فى أصل الدوحة:لترى من أين كان يتردد فى أذنيها هذا النداء الحبيب. وكان شبح اللبؤة لا يزال يتمثل لها فيفزعها فى الفينة، ولكنها كانت تسير بخطى وئيدة؛ لأنها ما شكت مطلقا فى أن النداء هو لحبيبها؛ لأن الصوت الفضى الذى كان يمتزج بأضواء القمر فيغمر أذنيها وقلبها، كان لا يزال يداعب أذنيها الصغيرتين ثم بدا لها أن تحث الخطى حتى تنبه بيرام إلى وجود اللبؤة فى هذا السهل الجميل جعلته كالفلاة فأسرعت وأسرعت.

- من هذا المستلقى على ضفاف النبع. هو من غير شك. ثم أسرعت أكثر من ذى قبل.

- بيرام ما هذا، السيف فى صدرك. له. حبيبى رد على! تكلم تسبيبه ها أنا ذى، لم قتلت نفسك يا بيرام. آه هذا الخمار الأبيض وى إنه ملوث بالدم؛ عاثت فيه اللبؤة الملعونة

- تسبيبه

وأرسل القتيل هذا الاسم المحبب وحشرجة الموت تعتلج فى صدره، ثم فتح عينيه قليلا فرأى فتاته تبكى فوق رأسه، فتبسم ثم مات

- بيرام لا. لا تمت. لابد أن تعيش من أجلى

ولكنه مات برغم هذه الأمانى.

- إذن أنا التى قتلتك يا حبيبى. اشهدى يا توتتنا البيضاء

ثم رفعت بصرها إلى فوق، ولكنها بدلا من أن ترى الثمر الشهى الأبيض، رأت ثمرا أحمر يقطر دما قانيا.

السيد وخادمه

إن المعضلات التى يثيرها علم الإلهيات، والمناجاة والصالح المتألم» ليست غريبة عن قصيدة أخرى، على الرغم من أن الصيغة والنبرة مختلفتان. وتتألف هذه المقطوعة من أحد عشر مقطعاً بأطوال مختلفة. أما الموضع فيبدو بسيطاً. إنهه حوار بين سيد وعبده.

فى بداية كل مقطع يدعو السيد خادمه ليخبره ماذا سيفعل. فيولفق الخدام سيده بحرارة. بيد أن هذا الأخير يعدل عن مشروعه. ومن باب اللياقة والتحفظ يجد العبد حججاً جيدة لما يقرره

سيده. وقد سار على هذا المنوال فى كل ما يقوله سيده من نوايا تتعلق بالاشتراك فى مأدبة أو الذهاب إلى الريف والزواج والمرافقة فى المحكمة، وإحياء ثورة والوصال وإتمام الواجبات الدينية أو توظيف مال أو تظوع للأعمال الخير العامة فأى درس نستخلصه من هذه المراوغة المستمرة التى تحس بكل مرافق الحياة الشخصية والعائلية أو العامة؟

إن النتيجة التى ترمى إليها القصيدة التى ليست بأقل من الانتحار غامضة جداً. ولهذا يفكر البعض بأن الخرافة الحكمية ترمى إلى البرهان على أن فى كل أمر من الأمور اليس ثمة أكثر مما ينبغى فعله أو عدم فعله سوى أن الحياة فى نهاية الأمر محال وأن الحكمة السديدة هى اللجوء إلى الحقيقة الوحيدة وهى الموت.

وبعضهم الآخر يرى أن هذه القصيدة ليست بأكثر من كتاب صلوات للمتشائم البائس، كما أنها تبدو نقداً اجتماعياً مسلياً. فالسيد غنى بطال متردد لا يفتش إلا عن قتل الوقت إنه حازم الرأى متردد يلجأ إلى خادمه كى يسوغ له

نواياه ويدفعه فى اتجاه أو آخر. وتكون بعض أجوبة العبد قليلة التهذيب متمردة على السلطة، تحمل نغمة الهذر أو النقد.

وفى الحقيقة لا اعتراض على وجود نوع من السخرية والنقد فى هذا الحوار. بيد أنه من المؤكد تحليه أحياناً بنغم رصين وقور. وهذا المظهر المزدوج غير متعارض إذا ما قلبنا أن المؤلف يتساءل هو نفسه عن معنى الوجود الإنسانى ويفهم من ذلك أن أول المعلقين على القصيدة تذكروا سفر الجامعة فى التوراة.

فما هى مرمى الشاعر؟ إننا فى حال الابتعاد عن التناقضات التى توجهها البشرية، ليس ثمة من مخرج إلا كسر الرأس أو السقوط فى الماء. إن الأجوبة الحقيقة عن كل الأسئلة التى يوجهها.

● البشر كامنة فيما وراء الغيب، وعند أقدام الآلهة. ومن هنا يقول السيد لعبده سأرسلك ويعد الموت فاستظهر روحك لتشف لى سر أحوال البشرية. غير أنه فى جواب الخادم تأخذ المهزلة نصيبها إذ يجيب: إذا قتلتنى فماذا تعمل من بعدى؟ إنك لن تستطيع أن تحيينى أكثر من ثلاثة أيام:

● -أيها العبد تعال وامتثال لأوامرى- نعم يا سيدى نعم!

● أسرع وجهز لى عربة، جهزها لأذهب إلى القصر

● اذهب يا سيدى اذهب فثمة هناك ممن فائدة لك هناك

● وعندما يراك الملك سيرفع من شأنك

● ولكن لا يا عبدى لن أذهب

● فالملك إذ يراك سيرسلك إلى جيث لا تريد

● وفى طريق لا تعرفها

● كما يعرضك للمشقة

● أيها العبد تعال إلى هنا وامتثل لأوامرى- نعم يا سيدى نعم!

- أسرع واجلب لى ماء لأغسل يدى فسأتعشى
- تعش ياسيدى تعش: إن وجبة طعام منتظمة تنشط القلب
- .... وجبة طعلم الإله، وعند غسل اليدين تمضى الشمس
- ولكن لا يا عبدى. لن تتعش!
- لا تتعش يا سيدى لا تتعش!
- يجب أن تجوع حتى تأكل وأن تعطش حتى تشرب. هذا ما يحتاجه الإنسان
- يا عبدى تعال وامتثل لأوامرى- نعم يا سيدى نعم!
- أسرع وجهز لى عربة حتى أذهب إلى الريف
- اذهب ياسيدى اذهب إن بطن من يذهب إلى الريف تكون ممتلئة
- إن الكلب الذى يصطاد له عظام يجب كسرها
- والغراب الذى يطوف الريف يبنى عشه
- والحمار الوحشى الذى يطوف حيثما كان يحصل على ما يشتهى فى البادية
- إذن، يا عبدى لا أريد الذهاب إلى الريف
- لا تذهب ياسيدى، لا تذهب
- إن فكر من يجوب الريف يتعكر
- ولاكلب الذى يصطاد تتكسر أسنانه فوراً
- والغراب الذى يطوف الريف ليس له من مأوى سوى ثقب فى الجدار
- والحمار الوحشى الذى يعدو هنا وهناك ليس له من مآوى غير الصحراء
- نطرح جانباً الفقرة التالية المختلفة فى جوهرها. فيست كل منهما

مخرومة فقط

● ولكنها مشوشة وذلك بفعل الخلط الذى أحدثه الناسخ فى معطيات الفقرتين. وبمقدار ما نمسك بالمعنى فإن إحدى الفقرات ذات علاقة بالزواج والأخرى بالعدالة.

● أيها لعبد تعال إلى هنا وامتثل لأوامرى- نعم ياسيعد نعم!

● سأقوم بثورة- اعمل هكذا يا سيدى اعمل

● إن لم تقم بثورة فمن أين لك أن ترتدى

● ومن هو الذى يقدم لك ملء بطنك

● إذن ى عبدى لن أقوم بثورة

● لا تقم بذلك ياسيدى لا تقم!

● إن الرجل الذى يحى ثورة يقتل أو يسلخ جلده

● يقلعون عينيه ويعتقلونه أو يزجونه فى السجن

● أيا العبد تعالى إلى هنا وامتثل لأوامرى- نعم يا سيدى نعم!

● إنى راغب فى أن أحب؛امرأة- أحب يا سيدى أحب

● الرجل الذى يجب امرأة ينسى كدره ووساوسه

● حسن يا عبدى لن أحب امرأة

● لا تحب يا سيدى لا تحب

● المرأة كالبئر إنها خزان وخندق

● المرأة كالخنجرالفولاذى تقطع به رقبه الرجل

● أيها العبد تعال وامتثل لأوامرى- نعم يا سيدى نعم!

● أسرع واحضر لى ماء لأغسل يدى

- أنا أريد أقدم لإلهى ذبيحة- قدم يا سيدى قدم!
- فمن يقدم لإله ذبيحة يصبح قلبه مسروراً ويهيئ لنفسه نفعاً على نفع
- حسن كلا يا عبدى لن أقدم ذبيحة لإلهى
- لا تقدم يا سيدى لا تقدم
- فإنك تجعل إلهك يعتاد فيقتفى أثرك كالكلب و يملى عليك:
- «أين طقوسى» أو لماذا لا تستشير إلهاك أو أشياء أخرى
- أيها العبد تعال وامتثل لأوامرى- نعم يا سيدى- نعم
- أريد أن أوظف مالى. وظفه يا سيدى وظفه
- فالرجل الذى يوظف ماله يحتفظ برأس المال ويضاعف فوائده
- حسن يا عبدى، لن أوظف مالى
- لا توظفه يا سيدى لا توظفه
- إن توظف المال ألذ من حب المرأة. غير أن استرجاعه أصعب من المخاض
- سيلتهمون رأسمالك ولن ينفكوا عن شتمك وسوف تخسر فائدة
- رأسمالك
- أيها العبد تعالى إلى هنا وامتثل لأوامرى- نعم يا سيدى نعم!
- أريد أعمل خيراً لبلادى- اعمل هكذا يا سيدى اعمل!
- إن الرجل الذى يعمل خيراً لبلاده صنائعه توضع فى دائرة مردوخ
- ولكن لا يا عبدى لن أعمل خيراً لبلادى
- لاتعمل يا سيدى لا تعمل
- اصعد إلى تلال العاديات ذات الأمجاد الغابرة واعبرها

● تأمل فى الجماجم المختلطة جماجم الفقراء والشرفاء

● أى منها أساء وأى عمل صالحا؟

● أيها العبد تعال وامتثل لأوامرى- نعم ياسيد نعم!

● قل لى إذن، ما هو الصالح؟

● هل هو كسر رقبتى ورقبتك

● أو لارتماء فى النهر. هل يكون ذلك عملاً صالحاً

من هو الذى له القدرة على الوصول إلى السماء

● من يستطيع أن يحيط بذراعيه الأرض

● إذن لا يا عبدى يجب أن أقتلك لتذهب قبلى

● نعم يا سيدى ولكن سيدى لا يبقى حياً بعدى ثلاثة أيام

■ ■ ■

أسطورة «إيرا»

الشخص الأساسى فى هذه القصيدة الطويلة ذات الخمسة أناشيد، هو الإله «إيرا» وهو إله مدمر يجسد الإله «ترجال» إله الجحيم. والطاعون تمينه فى هيجانه الدموى دون تروى الآلهة السبعة المنبعثة من السماء والأرض. ولم يكن وكيله «ايشوم» أقل منه حدة فى القتال حتى الموت. وعلى الرغم من ذلك فإن فى صدره رحمة. وبالفعل فإنه غالباً ما يتدخل لصالح البشر، محالولاً تهدئة هيجان سيده وإنفاذه من ضاحاياه.

لقد استطاع «إيرا» فى هذه القصيدة أن يدمر الأرض وبالتحديد «بابل» فأفلح فى الحصول من «مردوخ» على التخلى «مردوخ» عن تمثاله حتى أسرع «إيرا» وأشياعه المتعصبون إلى فسح المجال أمام جنونهم القتالى. وهكذا أصاب الدمار «بابل» والمدن الكبيرة المجاورة. ولكن بعد نهاية العمل الذى قام به «ايشوم» توصل إلى تهدئة «إيرا» فترك «بابل» تنمو من بين رمادها. وقد يسمح بقراءة هذه القصيدة التى تحكى غضبة على مسمع من الناس لتحميهم مما يلم بهم من شقاء وطاعون.

فهذا المؤلف الشعرى له مكانة خاصة فى الأدب الآشورى البابلى، إنشاؤه أولاً وصيغته ثانياً. وهناك قصيدتان أو ثلاث تشبهه وضعت دون شرح للأحداث فكأنها تتمة حوار طويل يدور بين الآلهة. كما زن أهمية المؤلف الشعرى ذاك تكمن فى قيمته الأدبية إذا أن قليلاً

جداً من النصوص ترقى إلى مرتبته بما فيها أدب أنبياء العبريين والأهم من ذلك المرامى العميقة التى تهدف إليه هذه القصيدة. فهى أشبه ما تكون بالتأملات الغنائية حول معضلتين كبيرتين فى الفسفة الدينية: فكيف وقد وجدت لحماية الإله، لا يمكنها أحياناً إنقاذ «بابل» من الدمار والموت وما هى

العلاقات الغيبية التى تستحدمها الآلهة مع غلافها الأرضى، التمثال المخصص للعبادة فى معبده؟

إن هذا التساؤل المزدوج فى القصيدة لا يعدو صدى عميقاً تثيره ذكرى تاريخية للأيام المأساوية التى كادت تمحو «بابل» إلى الأبد. وبخاصة إثر نهبها من قبل غزوات البدو «السوتيين» وفى الحرب الأهلية التى عرفتها هذه المدينة.

ثمة صدى لهذه الأحداث فى تاريخ «أداد- أبال- إدينا» الذى كان ملكاً على بابل عام (١٠٦٧ إلى عام ١٠٤٠ق.م) ولا يخالجنا شك فى أن معنى مضمون القصيدة هو أكثر وضوحاً من التذكير بالتاريخ الذى يمكن أن يفيد فى مدخل نص وثيقة ملكية على مدى جيلين لا حقين. وإن لهذا الصدى علاقة «ببابل» و«مردوخ» بل «بسيبار» و«شمس». بيد أن القصة التاريخية والانشغالات الدينية هى نفسها الواردة فى القصيدة. وليس من العبث أن نعيد على الأقل، ذكر القصة فى خطوطها الرئيسة.

أما بالنسبة للإله «شمس» الساكان في «الايبايارا»[1] الواقعة فى«سيبار» التى هدمها «السوتيون» الأعداء السيئين إبان الفوضى والانقلابات فى بلاد «أكاد»، فإن الصور قد أتلفت ومر النسيان على الطقوس كما أن شكل الإله وعلاماته خرجت عن المألوف، بحيث لم يعد أحد يتصور ذلك.

استنطق ملك «بابل» المدعو «سيماش- شيهو» الإله عما يتصل بصورته ولكن الإله لم يظهر له وجهه. واذ لم يحظ لا بصورته ولا برموزه فقد أعد له تقدمات نظامية. ولكن أثناء الاجتياح والمجاعة فى زمن «كاشو- نادين- آهى» توقفت التقدمات. وعلى أثر ذلك طرد ملك «بابل نابو-أبال- ايدنيا» أعداءه السيئين وهو «السوتيون». وفى عهده عاد الإله «شمس» الذى كان منذ زمن بعيد غاضباً على «أكاد» فأصبح صديقاً لـ«أكاد».

لقد وجد على الشاطئ العربى من الفرات نقش بارز من الآجر المشوى

---

(١) معبد شمش.

يظهر فيه الإله بشكله ورمزه. وإن كاهن «سيبار» الذى عثر على القطعة قدمها إلى الملك الذى طلب إليه بوحى من إلهه أن يعيد نقش هذه الصورة. وهكذا بمساعدة حكمة «ايا» وتقنية الإلهه «نين- ايلدو» و«غوشكين- باندا» و« نين-كورا» و«نين- زاويم» صنعت صورة الإله كما يجبّ أن تكون من الذهب الأشقر واللازورد اللماع وهى تمثال الإله السيد «شمس» وعلى ضفاف الفرات، أمام وجه الشمس غسل فم التمثال وفقاً لطقوس «إيا» و«مردوخ» المرعية وأقامه على كرسى.

وكما هو وارد فى القصيدة فقد كان لمغدرة الإله انعكاسات أهم مما حدث فى تعاقب الأحداث التاريخية. «فبابل» كانت تمثل المركز الرئيسى وعقدة العالم. ولذلك فإن بعد

«مردوخ» عنها قد أخل بالتوازن العالمى الذى تنطلق منه كل الشرائع الكونية. وفى التجارب التى عرفها سكان المدن تتمثل كل الصراعات وآلام البشر وكل الندمات على سعادتهم المفقودة. لقد كان كل شئ مثالياً تى الخاتمة، بوصف عظمة «بابل» فيما تكون عليه فى المستقبل، حيث تهدأ فى العالم وفى القلوب قوى الشر.

اللوحة الأولى

- إنه ملك جميع الأماكن المسكونة
- وخالق جميع الشعوب إنه «مردوخ» الذى سأنشده
- «هندور سانغا»[1] بكر «أنليل» حاكم العالم
- حامل الصولجان المعظم،راعى أصحاب «الرؤوس السود» وراعى جميع الشعوب
- «ايشوم» القاتل المجيد الذى صنعت يداه لتشق السلاح الرهيب.

---

(١) صفة إيشوم وتعنى الصولجان المعظم.

● الذى حين تلمع رماحه الحادة وهو على مقعده فإن «إيرا» نفسه الأكثر شجاعة من بين الآلهة يرتجف من أهوالها.

● إن قلبه يدفعه إلى القتال

● فيقول لسلاحه: اسقوا أنفسكم سم الموت

● ويقول للآلهة السبعة الأبطال بلا منازع: تقلدوا سلاحكم

● أما أنت يا «ايشوم» فيقول لك: أنا أروم الذهاب إلى الريف

● وستكون أنت المشعل وسيرون نورك

● ستكون أنت الرئيس وسيستقبلك

● أنت السيف وستكون القاتل

● انهض إذن يا «إيرا» وتغلب على البلاد

● ولتكن روحك مشعة وقلبك فرحاً

● أترى كلت ذراعاً «إيرا» كرجل عز عليه النوم

● ويقول لنفسه: هل سأنهض؟ أم سأبقى مضطجعاً

● وسيقول لسلاحه: ابق فى الزوايا

● وللآلهة السبعة الأبطال الذين لا مثيل لهم: عودوا إلى مساكنكم

● وإلى أن توقظه أنت وهو ملقى على فراشه

● فإنه سيمارس الحب مع «مامى»زوجته

● إن «اتجيدودو»[1] هو السيد الذى يغدو فى الليل ويروح إنه حارس الأمير اليقظ

● ومن أجل أن يكونا فى سلام أسهر على الفتية والفتيات واجعلهم يشعون كالنهار.

---

(١) صفة اخرى للإيشوم.

- أما الآلهة السبعة الأبطال دون منازع فإن ألوهيتهم تختلف عن الآخرين
- إن ولادتهم عجائبية وهم ممتلئون رهبة
- أما من يراهم فإنه يجمد حتى الرعب ونفسهم هو الموت
- ولشدة خوف البشر منه يلقون بمقاليدهم إليه
- و«ايشوم» كالباب الموصد أمامهم
- وحين أخصب «آنو» مالك آلهة الأرض
- خلقت له سبعة آلهة، أسماهم الآلهة السبعة
- إنهم هنا أمامه وقد حدد لهم أقدارهم:
- فنادى على الأول مصدراً إليه هذا الأمر:

واذ أنك ذاهب لتعاقب حاول ألا يكون ك خصم

- وقال للثانى: اشتعل كالنار وتوهج كاللهب
- وقال للثالث: ليكن شكلك كالأسد
- ومن يراك فليدخل فى العدم
- وقال للرابع: فلتضمحل الجبال عند امتشاقك سلاحك الغاضب
- وقال للخامس: انفخ كالريح وتفحص وتفحص مدار الكون
- وإلى السادس أعط المهمة التالية: فى الأعالى والأسفل اذهب ولا تراعى أحداً
- أما السابع فقد كلفه بسم التنين ليدمر كل حياة
- وبعد أن حدد «آنو» أقدار كل الآلهة السبعة
- سلمهم إلى الأله «إيرا» بطل الآلهة كى يسيروا من حواليه
- وقال: إن أقلقلك صخب البشر فى الأماكن المسكونة

- وإن تملكتك الرغبة فى أن تقدم مئة ذبيحة
- ومن إماتة ذوى «الرؤوس السود» وإتلاف مواشى «شاقان»
- فليكونوا أسلحتك الهائجة وليمشوا إلى جانبك
- وإذا هم يغضبون، يمتشقون السلاح
- قائلين لـ «إيرا»: انهض وسر إلى الأمام
- فيم تمكث فى المدينة كأنك هرم تعيس
- وفيم تبقى فى البيت كأنك طفل صغير
- وشبيه بمن لا يقوى على الذهب إلى الريف، أترانا نأمل خبز النساء
- وكأننا لانعرف القتال. أترانا نخاف ونرتجف
- إن الذهاب إلى الريف بالنسبة للفتيان أشبه بالذهاب إلى العيد
- فمن تراه سيبقى فى المدينة؟ حتى ولا أمير يقوى على الشبع من الخبز
- لأنه مرفوض من شعبه وشخصيته مقيتة
- أنى له أن يمد يده إلى من يمضى إلى الريف؟
- ومن سيبقى فى المدينة فلتتعاظم قدرته
- كيف وعلى أى شئ يعتمد ليمس أقوى ممن يذهب إلى الريف
- إن غذاء المدن مهما كان ثميناً لن يساوى فطيرة واحدة كامنة تحت الرماد
- إن جعة «ناشبو» الحلوة لن تساوى ماء تربة
- والقصر ذو السطح لن يساوى معسكراً فى حقل
- فيا «إيرا» الشجاع امض إذن إلى الريف، وسدد سلاحتك
- واصرخ على مدى صوتك حتى يرتجف من فى الأعالى وفى هذه الدنيا

- وإذ يتناهى إلى سمع «الايجيجى» صوتك سيمجدون اسمك
- وإذ يسمعك «الأنوناكى» سيتهيبون اسمك
- وإذ يسمعك الآلهة سينحنون تحت نيرك
- وإذ يسمعك الأمراء سيركعون عند قدميك
- وإذ تسمعك البلاد كلها فستقدم لك الجزية
- وإذ يسمعك الشياطين يبتعدون تلقائيا عنك
- وإذ يسمعك القدير سيعض إصبعه
- وإذ تسمعك الجبل سترتعد وتطأطئ رأسها
- وإذ تسمعك البحاد الهائلة ستتعكر فتدمر كل ما صنعته
- وستتكسر جذوع الأشخار فى الغابة
- وسيتكسر القصب فى المقصبة المحرم ذخولها
- وسيرتجف البشر واضعين حداً لصخبهم
- ولتتملك الفوضى الحيوانات فتعدو فخاراً
- وإذ يراك الآلهة آباؤك سيمجدون بطولتك
- فيا أيها المحارب «إيرا» علام تأخرت عن المضى إلى الريف ولم تبرح فى المدينة
- إن ماشية «شاقان» والحيوانات هى لا شىء بالنسبة لنا
- يا أيها المحارب «إيرا» إنا نكلمك آملين ألا تؤذيك كلماتنا
- قبل أن تصبح بلاد البشر أوسع مما نحتاج
- لعلك أنت قد سمعت كلامنا
- اصنع صنعاً حسناً «للأنوناكى» الذين يحبون السكون

- لأن «الأنوناكى» آسوا بسبب ضجيج البشر لا ينامون
- وداست الدواب المراعى التى هى حياة البلاد
- بكى الفلاح فوق حقله بمرارة
- وأفت الأسود والذئاب مواشى «شاقان»
- ولم يعد الراعى من أجل قطيعه يرقد وهو يتوسل إليك
- أما نحن الذين يعرفون معابر الجبال فقد نسينا دروبها
- ومدت العنكبوت خيوطها فوق سلاحنا الحربى
- وأحى قوسنا الجيد الثائر اليوم أعنف من قوتنا
- وأخذ رأس حربتنا الحاد يتآكل
- ولم يعد قادراً خنجرنا على الذبح بعد أن علا الصدأ رآسه
- حين سمع المحارب «إيرا»
- الكلام الذى قاله له الآلهة السبعة
- لذ له وكأنه الزيت الحلو
- فأخذ يتحدث إلى «ايشوم» قائلا:
- علام تظل صامتاً وأنت تسمع
- افتح لى الطريق كيما أبدأ بالسير
- وليرافقنى الآلهة السبعة أولئك الأبطال دون منازع
- اجعلهم أسلحتى الهائجة ودعهم يسرون إلى جانبى
- أما أنت فسر أمامى وسر خلفى
- طفق «ايشوم» وقد سمع هذه الكلمات
- يتحدث إلى المحارب إيرا قائلا:

● أيها السيد «إيرا» فيم تحمل أفكاراً سيئة بالنسبة للآلهة

● ولماذا تراودك أفكار سيئة لتدمير البلد وإفناء سكانها دون مغفرة

● فأخذ «إيرا» الكلام

● قائلاً لـ «ايشوم» السائر أمامه

● اصمت يا «ايشوم» واصغ رلى ما سأقول

● أما ما يتصل بمن يسكنون الأماكن الذى طلبت منى الصفح عنهم

● إى! «ايشوم» الذى يسير أمام الالهة، أيها الحكيم «ايشوم» ذو النصح الجيد

● إنى نور من السماوات وعلى الأرض أسد

● وفى البلاد ملك بين الآلهة الأكثر شراسة

● وبين «الايجيجى» الأشجع و«الأنوناكى» الأقوى

● وبين المواشى أنا الجزار وفى الجبل أنا صخرة «شوبو»

● وفى المقصبة أنا النار وفى الغابة أنا فأس الحرب

● وللمضى إلى الريف أنا الراية

● وكالريح أعصف وكإله الزوابع أنا ثقيل

● وكالشمس أتأمل دورة الكون الكاملة

● حين أعتلى الجبل أمسى كالكبش

● وحين ألج السموات أستقر فيها

● إن جميع الآلهة تتهيب منازلتى

● وهاهم البشر ذوو« الرؤوس السود» كسالى

● أما أنا بعد أن أضحوا لا يهابون اسمى

- فإنهم بالنسبة إل الأمير مردوخ وقد رفضوا كلامه وعملوا على هواهم
- أثير حفيظة الأمخير مردوخ واجعله يتخلى عن كرسيه، وأفنى السكان
- يمم المحارب «إيرا» شطر «شوانا»[1] مدينة ملك الآلهة
- ودخل «الإيزاجيل» قصد السماء والأرض ووقف حيال مردوخ
- أخذ فى الكلام قائلاً لملك الآلهة
- لماذا أمست زينتك وسخة وهى رمز سيادتك
- هى التى ينبغى أن تكون ممتلئة سنا كنجوم السماء
- لماذا أصبح شكل تاجك السنى محجوباً
- التاج الذى كان يجب أن ينير «الايهالنكى» «كالايتيمنكى»[2]
- فأخذ ملك الآلهة فى الكلام قائلاً لـ «إيرا» الأكثر بطولة بين الآلهة:
- أيها الملك «إيرا» إنى أجيبك بما يلى:
- بالنسبة للعمل الذى تطلب منى أداءه
- فقد مضى زمن طويل على غضبى
- فذهبت من على مقعدى وأحدثت الطوفان
- وإذ أنى تركت كرسى فقد اختل توازن السماء والأرض
- فاضطربت الآلهة ونجوم السماء
- وغيرت مراكزها السماوية ولم تعد إلى مكانها
- وإذ أن الجحيم قد ارتج وأضعف إنتاج الثلم
- على نحو أصبح من العسير استمراره

---

(١) اسم آخر لبابل.

(٢) الايتيمنكى أى البرج الكبير ذو عدة طوابق فى الإيزاجيل والإيهالتكى هو معبد الآلهة زربانيتو.

● ونتيجة لذلك فإنى أخليت فى توازن السماء الأرض

● فجفت المياه فى الأعماق وانكفأت الفيضانات متراجعة

● وحين عدت ورأيت ذلك أصبح من العسير على الينابيع أن تتفتح

● وانخفض تناسل البشر إلى حد كبير

● على نحو لم يعودوا فيها إلى حالتهم السابقة

● وقبل أن أود رحت كالفلاح أمسك بيدى بذارهم

● وقبل أن أبنى بيتاً أسكن فيه

● فإن زينتى اغبرت بفعل الطوفان وأصبح مظهرها قائماً

● ومن أجل أن أعيد لمعان قسماتى وتطهير ثيابى استخدمات النار

● وهكذا بعد أن عاد اللمعان إلى زينتى وأنهيت هذه المهمة

● ولبست تاجى المعظم وعدت إلى مقعدى

● بقيت ملامحى مروية ونظرى فزعاً

● أما بالنسبة إلى البشر الذين نجوا من الطوفان وكانوا شهوداً على هذا الفعل

● فقد هززت سلاحى قائلاً: هل أدمر الآن من تبقى

● وأما هؤلاء الحكماء، فقد أنزلتهم إلى الأسفل ولم آمر بعودتهم

● من شجر الميس والعنبر لقد غيرت المكان ولم أخبر أحداً

● والآن ومن أجل هذا العمل الذى تتحدث عنه أيها البطل «إيرا»

● فأين يوجد الميس لحم الآلهة ورمز كل ملك

● وأين توجد الشجرة المقدسة العاقة المتكبرة التى تناسب السيادة

● والتى تبلغ جذورها فى البحر الخضم على بعد مائة ميل تحت المياه

● وجذورها فى الأعالى حيث يبلغ رأسها قمة سموات «آنو»
● التى نثر فيها على اللزورد الصافى الذى طرحته جانباً
● ونجد فيها «نين- ايلدو» الإلهى نجار الآلهة العليا الكبيرة
● الذى يحمل الفأس الصافية ويعرف كل شئ
● ويعطى لما يصنعه بريق الضوء
● إنه الذى وضعته فى خدمتى
● فأين يوجد الإله «غوشكين بندا» خالق الآلهة والبشر ويداه طاهرتان
● أين نجد الاله «نينال غال» حامل المقصات
● الذى يقطع كالجلد، النحاس القاسى ويصنع الأمثلة
● أين توجد الحجارة الثمينة نتاج البحر الواسع
● أين توجد سبعة حكماء اللجة سمك اليورادو الصافى
● أولئك الذين هم مثل أبيهم «إيا» مفعمين إداركاً رفيعاً
● أما المحارب «إيرا» فكان يصغى إليهم وهو واقف
● فأخذ يتحدث إلى الأمير «مردوخ» قائلا:
● أنا يا «مردوخ».....
● سأعلى الايميشوا المحض الذى تشبهه
● سأعلى الميس الصافى الذى تشتهيه
● ولما سمع «مردوخ» هذا الكلام
● تابع الحديث قائلاً للإله «إيرا»:
● إذا تخليت ثانية عن كرسى
● ستحل ثانية عقدة التوازن بين السماء والأرض

- وستفيض المياه وتدمر البلاد
- ويصبح النهار المضىء ظلاماً
- وتهب العاصفة وتحجب نجوم السماء
- وتعصيف الريح الخبيثة فتحجب البصر لدى الأحياء
- وتنهض الأبالسة من الجحيم ويمسك الموت بالتشر
- وخناجر القتال غير قادرة عليهم
- تتدفق «الأنواناكى» تتدفق فتقتل الأحياء
- وما دمت لم أتقلد سلاحى ثانية فمن سيحرهم؟
- لما سمع الإله «إيرا» هذه الكلمات
- أخذ بالكلام ثانية وقال للأمير «مردوخ»:
- أيها الأمير «مردوخ» إلى أن تعود إلى بيتك
- وتطهر النار ثيابك تكون قد عدت رلى مكانك
- وفى كل هذا الوقت سأداب على المحافظة الشديدة لتوازن السماء والأرض
- وسأصعد إلى السموات شطر «الايجيجى» كى أعطى أوامرى
- وسأهبط إلى اللجة وأرقب «الأنوناكى»
- سأطارد الشياطين الهائجة فى «بالد لا رجعة»
- سأقيد جناحى الريح الخبيثة كما أقيد طير
- وفى البيت حيث تدخل.
- من بابك كالثيران الحارسة شمالاً ويميناً
- اجعل الإلهين «آنو» و «أنليل» يرقدان أيها الأمير «مردوخ»

- حين سمع الأمير «مردوخ»
- أقوال «إيرا» لذت له

اللوحة الثانية

نهض «مردوخ» من على كرسيه الذى لا يمكن الذهاب إليه

- وتوجه نحومسكن «الأنوناكى»
- فدخل غرفته المقدسة واستقر فيها
- ولما دخل أطلق لمعانه
- ويفعل أن توجه إلى مكان آخر فلم يعد يراقب الأرض
- فعصفت الرياح وحولت الظلمات إلى انهار مضئ
- والبشر فى كل البلاد.....

● ● ●

بعد هذه الأسطر الأولى التى انقطعت فجأة لم يبق من اللوحة ما هو ذو أهمية سوى جزء من خمسين سطراً من العسير إعادتها إلى مواقعها لأنها مشوهة لا تتيح المجال لتتبع السرد. غير أن النص يعود إلى الوضح قبل نهاية اللوحة بما يقارب الأربعين سطراً. فترى أن الإله «إيرا» الشرس يكشف عن مشاريعه المشؤومة:

- أفسح لى الطريق لأسلك دربى
- و نا أقول سأنزل البريق من السماء
- واحجب وجه القمر أثناء الليل
- وسأقول إلى «حدد»: تمكن من فخذك
- واطرد الغيوم وأوقف الثلج والمطر

- فلقد مضى «مردوخ» ليجلب الحكمة من «إيا»
- فمن كبر أيام الخصب فإنه يدفن أيما الحرمان
- ومن ذهب فى طريق بردته المياه يعود في طريق الغبار
- وسأقول إلى ملك الآلهة اجلس على الكرسى فى المعبد
- وسيحققون لك أقوالك وينفذون أوامرك كاملة
- أما إذا دعاك «أصحاب الرؤوس السود» فلا تقبل توسلاهم
- وسأضع حداً للبلاد واجعلها مزقاً من الخارب
- سأدمر المدن وأحيلها صحراء بلقعاً
- وسأقضى على التلال وأفنى الماشية
- سأجعل البحار تضطرب وزتلف ما تنتجه
- سألف المقاصب والحراج وأشعلها كالنار
- سأقضى على البشر ولن أترك روحاً حية
- لن أترك واحداً يتاسى
- ولن أترك ما يحيا لا المواشى ولا الحيوانات الأخرى
- وسأحكم من مدينة إلى أخرى
- الابن لم يعد يبحث عن صحة والده ولا الوالد عن صحة ولده
- ستشتهى الأم الموت لابنتها فى أفراح الحب
- وإلى مسكن الآلهة حيث لا يمكن للخبيث زن يدخل سأدخله
- وفى مسكن الأمراء سأسمح للسارق أن يمر بحرية
- وسأدخل الدواب.....

وسأحرم على كل من يرغب فى الدخول إلى المدينة المروقة، دخولها

● وحيث يضع قدميه، سأخرب الأماكن

● سأدخل فى مراكز المدن عدداً هائلاً من الحيوانات الوحشية

● وسأقيم الشؤم وأحزن المدن المقدسة

● وسأحول قصور الأمراء إلى صحارى

● وأضع حداً لصخب البشرية وأفقدها سعادتها

اللوحة الثالثة

لم يعر «إيرا» فى غضبه انتباهاً لأحد

● ولن يصغى إلى مشورة التى يمكن أن تقدم له

● وكذلك إن شكله كالأسد وصوته كذلك

● سأحول نور الشمس إلى ظلمة

وسآخذ..... من بيته وأقصر أيامه

● وسأنهى حياة الصالح إذا ما اعترض

● وسأضع فى مكانه الخبيث الذى يجز البلعوم

● سأغير قلب البشر ولن يعود الأب يصغى إلى ابنه

● والابنة إلى أمها وهى تضمر لها نيات كريهة

● وسأجعل كلامهم مقيتاً: وينسون إلههم

● وسيوجهون إلى إلهتهم وقاحات كبيرة وسأدفع باللصوص ليقطعوا الطرقات

● ويسرق الناس فى المدن ممتلكات بعضهم بعضاً

● وسأجعل آلهتهم فى غيظ فيقتلون الناس

● وأثير غيظ «سيدة الخلق» فتضع حداً للولادات

● فتحرم المربية من صراخ كل طفل

● وسأبعد عن الحقول إلى الأبد كل أهازيج العاملين

● وسينسى الراعى والبقار السطح الواقى

● سأحرم لباس البشر من كل لباس

● وسأجعله ينزل تحت الأرض دون ثياب

● وسيحرم من ذبيحة الخروف الضرورية لحياته

● وحتى للأمير يصبح نادراً الحمل الضرورى لقرارات «شمس»

● ويشتهى المريض بلا جدوى اللحم المشوى الذى يشتهيه قلبه

● ● ●

بعد أربعة أسطر لم تكتمل، يبدأ/... نقصض مهم يقارب السبعين بيتاً.../ من الشعر لا يبقى منها سوى مطلع كل بيت. ومع هذا يمكن ترجمة أو إعادة تركيب المقاطع التالية مع شئ من الواقعية:

● لقد هززت سلاحهم فى وجه الأحرار من البشر الذين يحميهم «نابو»«آنو» «داجان»

● وسقيت بدمهم وكأنه يسيل من أنبوب ضواحى المدينة

● وفتحت شرايينهم وجعلت الدماء منها تسيل مع النهر

● لقد ناح «أنليل» من الألم وانقبض قلبه

● فنهض عن كرسيه:

● كانت فيفمه لعنة لا كفارة لها

● وحلف ألا يشرب من ماء انهر بعد اليوم

- وإذ أنه رأى دمهم فلن يدخل المعبد بعد اليوم
- فدعا «إيرا» ايشوم» الذى يتقدمه
- كما دعا الآلهة السبعة، الأبطال دون منازع
- الذى لا يقوم إنسان على الوقوف فى طريقهم
- ولا يستطيع أحد التصدى لهم
- كان وجه «إيرا» مليئاً بالغضب
- وكان شكله كالأسد
- وفى غضب قلبه صرخ: افتح لى الدرب لأسلك طريقى
- ولتمش رلى جانبى السبعة آلهة الأبطال دون منازع
- وليكونوا هم سلاحى الهائج
- وسر أنت أمامى وسر خلفى
- حين سمع «ايشوم» منه هذه الكلمات
- أخذته الشفقة فقال فى نفسه:
- وأسفى على شعوبى الذين عضب عليهم «إيرا»
- وبالنسبة إلى «نرجال» فقد أثاروا لديه الثأر كما فى أيام القتال
- ولم تتوقف ذراعاه استعداداً للقتل
- وإذ كان الأمر يتصل بالخبيث «أنزو» فقد نشرت شبكة
- وعندئذ فتح «ايشوم» فاه فقال:
- هذه الكلمات للشجاع «إيرا»:
- فيم لديك أفكار سيئة نحو الإله والبشر
- وعلام عندك أفكار سيئة بلا مغفرة ضد البشر «ذوى الرؤوس السود»

● فأخذ «إيرا» فى الكلام قائلاً:

● ذهه الكلمات لـ «ايشوم» السائر أمامه:

● أنت بالنسبة «للايجيجى» تعرف الأفكار ورأى «الأنوناكى»

● وللبشر «ذوى الرؤوس السود» تعطى الأوامر وتفتح إداركهم

● فيم تتكلم أنت وكأنك واحد لا يعرف شيئاً

● وتتصحنى وكأنك نسيت ما قال مردوخ:

● لقد غادر ملك الآلهة كرسيه

● فكيف يمكن لجميع البلاد أن تظل هادئة؟

● لقد خلع تاج قداسته؟

● ونسى الملوك والأمراء واجباتهم كالعبيد

● وفك الوثاق الذى يغله

● فانقطعت العلاقات بين الإله والإنسان

● ومن العسير بعد اليوم إعادة اللحمة

● وبعد أن صيرت النار المؤججة حلته تلمع كالنهار

● وأعاد ثانية انبجاس ألوهيته الخلابة

● وكان يحمل المطرقة فى يمينه، سلاحه العظيم

● وبالنسبة إلى «مردوخ» فقد اهتاج بصره

●●●

هنا يظهر تلف مهم غير محدود. فالحوار بين «ايشوم» و«إيرا» يستمر حتى آخر مقطع من اعتراض «ايشوم» حيث يعود النص إلى الوضوح

● أخذ «ايشوم» بالكلام قائلاً للمحارب «إيرا»

- إنك يا «إيرا» المحارب تمسك بأعنة السموات
- أنت السيد المطلق على الأرض كلها وتحكم البلاد
- إنك تلقى الاضطراب فى البحر ولك أنت وحدك الأراضى المرتفعة
- أنت تحكم البشر وترعى المواشى
- إن «إيشارا» تحت تصرفك وفى يدك «انفورا»
- أنت تراقب «شوانا»[1] وتدير «الإيزاجيل»
- أنت فى ذاتك كل القدرات فترهبك الآلهة
- يخشاك «الايجيجى» وترتعد أمامك فرائض «الأنوناكى»
- وحين تبدى رأيا يصغى إليك «آنو» نفسه
- فيطيعك حتى «أنليل» ومن دونك هل من اعتداء
- وهل ثمة من قتال دون تدخل منك
- الدروع والمعارك من صنعك
- ولقد بينك وبين نفسك: «كانوا حيالى مهملين»

اللوحة الرابعة

- ألا ترهب أيها المحارب «إيرا» أمر الأمير مردوخ
- فمن «ديمكوراكى»[2] مدينة ملك الآلهة
- عقدة البلاد، قد حليت العقدة
- وغيرت ألوهيتك كيما تمسى شبيهاً بالإنسان

---

(١) أى بابل.

(٢) وتعنى بابل المعتبرة عقدة البلاد.

- وتقلدت سلاحك ودخلت المدينة
- وتحدثت فى بابفل مع السيد كمن احتل المدينة
- والبابليون كقصب المقاصب ليس لهم من رقيب
- لقد التحقوا بك كلهم
- فمن كان يجهل السلاح، راح يستل الخنجر
- ومن كان يجهل القتال أعلن المعركة
- ومن كان لا يعرف العدو طار كالعصفور
- فأمسى الضعيف يسبق والهزيل يتفوق على القوى
- وبحق الحاكم ممون مدينتهم المقدسة
- راحوا يتلفظون بالوقاحات الجسام
- فسدوا بأيديهم باب بابل الكبير مصدر رخائهم
- وفى معابد بابل أشعلوا النار كمن يحتل البلاد
- كنت أنت رئيسهم فأخذت زعيمهم
- ورميت بسهم «إيمجور أنليل» ولشدته ظل ينوح من الألم حتى اليوم
- وغرق كرسى الإله «موهرا» الذى يسهر على بابه الكبير
- بدم الرجال والنساء
- إن سكان «بابل» هؤلاء أشبه بالعصفير وأنت صفارة جذبهم
- لقد جمعتهم أيها المحارب «إيرا» فى الشبكة وأسرتهم وأجهزت عليهم
- ومن ثم تخليت عن المدينة وخرجت منها
- وجعلت نفسك شبيهاً بالأسد ودخلت القصر
- وحين رأوك تتكبوا سلاحهم
- وعندئذ عضب قلب الحاكم المنقم لبابل

● وكأنه ذاهب لينهب العدو فقد سير جنوده

● محرضاً على الشر الرئيس الذى يأمر الجند:

● وفى هذه المدينة التى أرسلك إليها أيها الرجل

● لا تخش الإله ولا تخف من إنسان

● صغراً وكباراً دون تمييز أمتهم

● ومن الأطفال الرضع لا توفر أحداً

● أما أنت فتستولى على الكميات المكدسة من أملاك «بابل»

● لقد تجمع جيش الملك ودخل المدينة

● وأخذ سالح الرمى يبرق والخنجر يستل

● لقد شهرت سلاح هؤلاء الرجال الأحرار الذين كانوا يحمون به «تابو» و«آنو» و «داجان»

● وسقيت من دمهم كماء المجرور ضواحى المدينة

● وإذ فتحوا شرايينهم جعلت النهر يحمله

● وحين رأى السيد «مردوخ» ما صنعت

● انتحب من شدة الألم وانقبض قلبه

● وبدت لعنة لا غفارة لها فى فمه

● فحلف ألا يشرب من ماء النهر بعد اليوم

● وإذ رأى فيه دمهم، فإنه لن يدخل أبداً «الإيزاجيل»

● واأسفاه يا «بابل» لكأنك النخلة التى تضجت ثمارها فجففتها الريح

● واأسفاه يا «بابل» لكأنك كرة الصنوبر التى امتلأت بالبذور ولم أحصل منها على كامل اللذة

● وأسفاه يا «بابل» كأنك الروضة السخية التى غرستها ولم آكل من ثمارها

● وأسفاه يا «بابل» لكأنك خاتم «إيلميشو»، وضعته فى عنق الإله «أنو»

● وأسفاه يا «بابل» لقد كنت أمسكها بيدى كلوحة الأقدار ولم أدعها لأحد

● وأسفاه يا «بابل».....

● وأسفاه يا «بابل»

● ما دام قد جفت المعابر على هذا النحو

● وسمح بالعبور على الأقدام

● وامتد بطول الحبل عمق الآبل ولن يظل أحد حياً

● فلتحمل بعنفها كتلة البحر الواسع زورق الصياد على مدى مئة ميل

● و«سيبار» المدينة الأبدية التى لم يأت سيد البلاد بالطوفان إلى ضواحيها

● دون موافقة «شمش» هدمت جدارها ودمرت سورها

● وأوروك مسكن «آنو» و «عشتار» مدينة بنات الفرح والبغايا وخادمات المعبد،

● اللواتى حرمتهن «عشتار» من الزوج ليبقين فى خدمتها

● وها هم « السوتيون» و«السوتيات» و«أنفيرثيس»

● الذين حولت «عشتار» رجولتهم إلى أنوثة من أجل إخافة البشر

● إنهم حملة الخناجر والسكاكين والخناجر المحددة والصوان

● الذى يرتكبون الموبقات من أجل أن يفرحوا قلب «عشتار»

● وقد زعمت عليهم حاكماً قاسياً لا يمكن التعامل معه

● فأيأس الناس وانتهك طقوسهم

● وإذ امتلأت «عشتار» غضباً تذمرت من أوروك

● وأثارت عدواً وكالحنطة الطافية فوق سطح الماء قضى على سكانها
● أما سكان «داكسا» فلم يتوقف نحيبهم بسبب دمار «ايوغال»
● والعدو الذى أثرته يرفض السلام
● والإله الأكبر تفوه بدوره بهذه الكلمات قائلاً:
● لقد جعلت من مدينة «دير» قفراً
● وكسرت الناس وكأنهم قصب حيث يعيشون
● وأسكت ضجيجهم كالزبد على سطح المياه
● حتى أنا، لم تدعنى حراً فأسلمتنى إلى السوتيين
● ولن أنطق أنا إذن من أجل مدينى «دير»
بأحكام عادلة ولن أتخذ أى قرار لمصلحة البلاد
● لن أعطى أوامر ولن يعرف أحد إرادتى
● وعندئذ يتخلى الناس عن العدل ليتخذوا طرقاً معوجة
● لقد تخلوا عن الخير ليعانقوا الشر
● وجعل الإله الرياح السبع تعصف فى هذا البلد وحده
● فمن لم يمت بالحرب مات بالطاعون
● ومن لم يمت بالطاعون اجتاحه العدو
● ومن لم يجتحه العدو نهبه السارق
● وم لم ينهبه السارق يأخذه سلاح الملك
● ومن لم يأخذه سلاح الملك صرعته الذئبة[1]
● ومن ذهب خارج البيت تجلده الريح

(١) صفة من صفات عشتار.

- ومن دخل بيته يضربه «رابيزو»
- ومن صعد الأعالى يموت ظمآن
- ومن هبط إلى الأسفل يموت من كثرة المياه
- لقد جعلت الأعالى والأسافل على حد سـواء
- تكلم حاكم المدينة إلى أمه على هذا النحو
- فى اليوم الذى ولدتنى
- ولأنك سلمتنى إلى مدينة حاكمها طاغ
- وسكانها كالقطيع وقاتلهم إليهم
- ومن لها زوج، ما انتزعوا منها زوجها حتى هلك فى الحرب
- ومن ولد ولداً وقال هذا ولدى
- الذى ربيته سينتقم لى
- فهذا الولد إنى أميته وأبوه يدفنه
- ومن ثم سأميت الأب ولن يكون له ضريح
- ومن بنى بيتاً وقال: هذا هو بيتى
- فإنه هو الذى أكون بنيته حتى أرتاح فيه
- وفى اليوم الذى فيه يأخذنى قدرى فإنى أكون قد نمت فيه سباتى الأخير
- هذا الرجل سأميته وأجعل بيته قفراً
- وبعد ذلك سأسلمه للتو إلى واحد آخر
- فيام أيها المحارب «إيرا» لقد أمت بحق
- وأمت من أهانك
- لقد أمت من أهانك

- وأمت من لم يهنك
- لقد أمت الكاهن الأكبر الموكل بتقديم الذبائح للآلهة
- لقد أمت خادم القصر المخلص لمكيته
- لقد أمت الشيوخ لعى عتبة بيوتهم
- لقد أمت فى أسرتهم الأحداث
- ولم تجد ثمة أى سكون
- وقلت فى نفسك: «كانوا مهملين»
- كما قلت فى نفسك: أيها المحارب «إيرا»
- أريد أن أقتل القوى وأفنزع المعوق
- أريد أهدم قلية المذبح وحاجز السور
- وعلى هذا النحو تنتهى المدينة الحية
- أريد أن أسحب المرساة، لتذهب السفينة إلي الحيد
- وأكسر دفة السفينة حتى لا تدنو من الشاطئ
- وسأنزع الصارى وما هو الضرورى له
- سأجفف الرحم حتى لا يقوى الجنين على الحياة
- سألجم الينابيع حتى تقل السواقى ولا تعود
- تجلب مياه الرخاء
- سأجعل الجحيم يرتعد حتى ترتج السماوات
- سأجعل من نجمة «شولبايا» اللمعان يتساقط
- وأجعل نجوم السموات بلا جدوى
- وسأجتث من الشجر الجذر حتى لا ينتج ثمرها

● وأهدم الحائط الأساس حتى يرتج أعلاه

● وسأمضى إلى كرسى ملك الآلهة حتى لا يعود يلتئم مجلسه

● وبينما يصغى إليه المحارب «إيرا»

● كانت هذه الكلمات التى قالها «إيشوم» كالزيت الحلو وقد لذت له

● وهكذا تكلم المحارب «إيرا»:

● ليقف البحر فى وجه سكان البحر[١] و«سوبارتو» فى وجه «سوبارتو» والآشورى ضد الآشورى

● والعيلامى ضد العيلامى والكاشى ضد الكاشى

● والسوتيانى ضد السوتيانى والغوتى ضد الغوتى

● واللولبى ضد اللولبى والبلاد ضد البلاد

١٣٥● والبيت ضد البيت والرجل ضد الرجل والأخ ضد الأخ

● وليقاتل الجميع بعضهم ضد دون رحمة

● بعدئذ وإذ تقوم أكاد فإنها تقوى عليهم وتحكمهم

● وقال لزعيمه «إيشوم» هذه الكلمات:

● اذهب يا «إشوم» وحقق على هواك الكلمات التى فهت بها

● فتوجه «إيشوم» إلى جبل «هيهى»

● وكانت تحت الخطى خلفه الإلهات السبع الأبطال، من دون منازع

● وصل المحارب إلى جبل «هيهى»[٢]

● ورف يده ودك الجبل

---

(١) سكان البحر أى سكان الجزر الفاصلة ما بين النهرين وعيلام.

(٢) جبل هيهى يقع غربى بلاد ما بين النهرين.

● مسح «هيهى» الجبل حتى القاعدة

● ومن غابة «هاشور» قطع أشجار الغابة الباسقة

● وحين اجتاز الطريق الملكية أصبح كإيشوم نفسه

● وإذ وضع حداً للأماكن المسكونة وجعل منها صحراء

● ودمر الأراضى المرتفعة وقتل مواشيها

● وعكر مياه البحار وقضى على إنتاجها

● لقد أتلف المقاصب وأحرقها فى النار

● فاستولى على الدواب الذرع فاستحالت إلى آجر

اللوحة الخامسة

● بعد أن استكان «إيرا» وعاد إلى مكانه

● رنا كل الآلهة إلى وجهه

● «إيجيجى» و«أنوناكى» كانوا كلها هنا فى هلع

● فأخذ «إيرا» بالكلام وقال للآلهة علناً:

● انتبهوا أنتم كلكم، واحفظوا كلماتى:

● نعم إننى بغلطة سابقة، خلقت الشر

● لقد وقعت فى غضب، رغبة منى فى سحق البشرية

● وكجندى مرتزق، أزخت من القطيع خروف الرأس

● وكمن لم يغرس بستاناً لم أتردد عن قطع الرأس

● وكم يخرب البلاد، فقد سحقت

● دون تميز الصالح والطالح

● من شدق الأسد وهو يزأر لا تنتزع الجثة

- وحيث يكون المرء فى غضب ليس ثمة من ينصحه
- ومن دون «إيشوم» السائر أمامى؟ من يقدر ما سيحدث؟
- فأين يصبح من يعنى بمعابدكم وشأين يمس كاهنكم الأكبر
- أين تكون قرابينكم؟ إنكم لم تعودوا تستافون رائحة البخور
- ثم أخذ «إيشوم» بالكلام وقال:
- متوجهاً بهذه الكلمات إلى المحارب «إيرا»:
- أيها المحارب، انتبه إلى واسمع كلمتاتى:
- نعم، عليك أن تهدأ الساعة، ها نحن أمامك وتحت أوامرك!
- أين هو الذى يمكن أن يتصدى لك، فى يوم غضبك
- عند سماع «إيرا» له، أبرق وجهه
- وشعت تقاسيمه كنهار دون غيوم
- ودخل فى «الإيميشلام»[1] حيث عاد إلى مكانه
- وبصوت عال، أعلن «إيشوم» عندئذ هتاف الغيب هنا
- وبانسبة إلى سكان «أكاد» المشتتين أمر بما يلى:
- ليتضاعف من جديد عدد سكان البلاد الذين قتلوا
- وليقطع الصغير والكبير على السواء طريق أكاد
- وليسحق الهزيل من الأكاديين السوتى القوى
- وليأت كل واحد بسبعة أسرى كالماشية الصغيرة
- سنجعل مدنه ركاماً وبواديه قفراً
- وستأخذ إلى «شوانا » الأسلاب الثقيلة

(١) معبد الإله نرجال.

● إن آلهة البلاد الذين غضبوا

● ستعيدهم هادئين إلى مقاعدهم

● وسوف تنزل إلى هذه البلاد «شاقان» و«نيسابا»[1]

وتعيد إلى البوادى غناها وإلى البحر خيراته

● ستجعل الحقول التى أتلفت

● منجة من جديد

● وسيقدم حكام جميع الأماكن المأهولة

● الجزية الثقيلة فى «شوانا»

● ومن المعابد التى دمرت

● فلترتفع قمتها كشروق الشمس

● وليوزع الفرات ودجلة مياههما بغزارة

● وكممون «للإيزاجيل» و«بابل»

● اجعل حكام الأماكن المأهولة يجلبون له الهدايا

● وليتوجهوا على مدى سنين لا عداد لها

● بالمديح إلى السيد الكبير «نرجال» وإلى البطل «إيشوم»

● وليقولوا إن «إيرا» فى غضبه كان يتحفز

● لسحق البلاد وإفناء سكانها

● غير أن إيشوم مستشاره الذى هدأه

● قد أبقى على من تبقى

● أما مؤلف هذه اللوحات «كابتى- إيلانى- مردوخ» ابن «دابيبو» فقد ظهرت

(١) شاقان إله المواشر ونيسابا إلهة المزروعات.

له فى الحلم فى إحدى الليالى

- وحين أفاق فى الصباح كتب القصة ولم يسقط منها شيئاً كما لم
- يضف إليها سطراً واحداً
- حين سمعه «إيرا» وافق على ما قال
- مما قال له «إيشوم»رئيسه قد لذ له
- وعندئذ عظمه الآلهة كلهم
- فقال المحارب «إيرا»:

فليمتلئ بالخيرات مديح الإله الذى يثنى على هذا اللحن

- أما الذى يرفضه، فيمتنع عنه استشاق البخور
- وأما الملك الذى يمجد اسمى فليحكم العالم
- وليبق من دون منازع الأمير الذى يشيد بشجاعتى
- والراوى الذى ينشده لن يفنيه الطاعون
- وستلذ كلماته الأمير والملك معاً
- إن الناسخ الذى يحفظه عن ظهر قلب، يشنعه العدو غير أنه
- يكون مكرماً فى موطنه
- وفى مكان العلماء المقدس، حيث يرددون دائماً اسمه
- سأحدث لهم الجاليات
- ففى كل بيت حيثق توضع هذه اللوحة
- فإذا غضب «إيرا» والآلهة السبعة تحروا
- فإن سيف الطاعون لن يدنو وتظل اللوحة فى أمان

- ليبث النشيد ويدوم إلى الأبد
- ولتسمعه البلاد كلها وتحتسى بطولتى
- وليعرفه السكان كلهم فى الأماكن المأهولة وليمجدوا اسمى

■ ■ ■

أعراس القمر

إن اللوحة ورمزها NK التى تحمل نصاً حول زواج القمر خفظت بكاملها دون أى تلف والنص مؤلف من خمسين سطراً.

فنلاحظ بوضوح ثلاثة أجزاء تتضمن القسم الوسط ويتألف من نصين ابتهاليين ومقدمة وخاتمة وذلك بعد ابتهال موجه إلى إلهة القمر نيكال وهى تحمل اسم إيبو وقد يكون معناه الثمر وموجه إلى «خير خيب» ملك الصيف وتتألف المقدمة من نشيد موجه إلى الآلهات «كوثاروت» وهن بصفة قابلات. وبالفعل فإن الإله المنير «ياريخ» سيحتضن امرأة فتية على وشك الولادة وذلك بمساعدة القابلات، كوثاروت يصف القسم الأوسط فى اللوحة زواج الإله القمر «ياريخ».

وقد طلب هذا الإله من «خير خيب» أن يعطيه نيكال زوجة له وهو مستعد أن يقدم إلى والدها هدية عرس فخمة. غير أن «خير خيب» اقترح على «ياريخ» أن يتزوج «بيدريا» إحدى بنات بعل وهذا سيثير الغيرة لدى «أشتار» أكد على طلبه ونجح فى ذلك فاتخذ نيكال زوجة له. وهنا نحضر هدية العرس المقدمة إلى عائلة نيكال وعند ذلك يتم الزواج.

إن المقدمة المفصولة عن بقية القصة، تسبق النشيد الموجه إلى الإلهات «كوثاروت» المتلكة صيغة العرس والربع من أجل الزواج والوضع إن دور الـ«كوساروت» وهن الآلهات الثانويات. هو التأثير الحسن على الزوجين أثناء الزواج وتسهيل وضعهن بصفتهن القابلات المجربات واسمهن يدل عليهن أى الإلهات الماهرات. كما أن اسم «كوسار» يعنى الماهر. ومن هنا نفهم لماذا بموجب فقرة من قصة يورفير الإلهة الفينيقية «خومارتيس» حيث يستدل عنها تحت اسم «خوساروت» كيف تتمثل «كورو» أى الإلهة المصرية تويريس فرس الماء التى تحمى النساء الحاملات.

تظهر الكوثاروت أيضاً فى دورهن، فى قصة أمهات بصفة قابلا. ومن نحو آخر يمكن أن يكون قد ظهر اسمهن فى قصيدة بعل والعجلة وفى النص الذى نشر مؤخراً تحت عنوان الهيكل الأوغاريتى واسمهن فى اللغة السومرية ساسورتم.

إن النشيدين الموجهين إلى الآلهات كوساروت فى مطلع ونهاية القصيدة كما سميناها أعراس القمر يشملان زواج إلهتين قمريتين: ياريخ ونيكال فيبدوان لأول وهلة غامضين ولكن يبدو، أنهما ينشدان عند الولادة الدفع كما يمكن أن ينشدا أثناء الزواج كدعوة مسبقة لولادة سهلة.

إن فهم نص هذه القصيدة يتوضح أكثر فيما إذا قورن بنص آشورى. حيث يوصف قران شخصيتين قمريتين: «سن وبقرة سن» ويقولون فيما بعد «بقرة سن» ففى آلام الوضع تنزل روحان قديستان من السماء تحملان عقاقيروزيتا ومياه الخلاص من أجل تسهيل الدفع وكذلك كوساروت القابلات فى نصنا هذا تنزل ومعها عقاقير لتسهيل الوضع. وعلى غرار النص الآشورى إن النص الأوغاريتى له صفة التعزيمة إذ إن الكوثاروت تمتلك صيغاً سحرية لتسهيل الوضع.

ومن جهة أخرى إن لقصيدة أوغاريت علاقة بطقس العرس أى زواج الآلهة القمرية مثل الزواج البشرى الناجح الخصب. والقمر الذى يتجدد تلقائياً هو مثال الإنجاب السهل. ولذلك وجدت حضارات عديدة صلة بين القمر والخصب.

فى القصيدة الأوغاريتية، تبدو وظيفة القمر رمزية مأساوية لوجود إلهتين قمريتين: إله قمرى غربى ياريخ وإلهة قمرية شرقية نيكال.

كما يمكن أخيراً أن نلاحظ فى وصف زواج ياريخ المحادثات التى جرت قبل العرس وحفلة تقديم هدية العرس، وكلها يمكن أن تكون من عادات شعب أوغاريت اليومية.

NK

مقدمة ترتيلية .

- إني أغني «نيكال»[1] أبيو[2]
- خيرخيب ملك الصيف
- فعند غروب الشمس يتأجج ياريخ[3]
- إذ سيحتضن من ستولد
- ابنة.....
- أي يا «كوثاروت» بنات هلال، السنونو
- ها أنا صبية ستضع للعالم ابناً....
- فلتلقى كوثاروت عليها نظرة
- لتحى كل جسدها بالدم....
- وعندما العروس....
- اسمعن يا كوثاروث الإلهيات
- ألقين نظركن عليها
- من أجل أبيها....
- داجان توتو....
- أي يا كوثاروث، بنات هلال[4]، السنونو

(١) لقب للإله سين ويعني القمر. ففي بلاد ما بين النهرين سين يرمز إلى القمر الذي يولد ذاته.

(٢) اسم غير معروف في النصوص القديمة .

(٣) ياريخ أحد أسماء سين.

(٤) ليس للبنات اسم واضح إنما كما يبدو يستعمل كمسهل ويساعد على المخاض.

زواج ياريخ

- ياريخ: يا قنديل السماوات، أرسل مبعوثاً إلى خير خيب ملك الصيف
- أعط نيكال، أن ياريخ سيتزوجها
- ولتدخل أيبو بيتها
- إنى أعطى مهرها إلى أبيها
- ألف قطعة من الفضة وعشرة آلاف قطعة من الذهب
- سأرسل لها حجارة كريمة وهاجة
- وسأقدم لها منطقة مغروسة بالكرمة
- ملكاً من.....
- اجاب خورخيب ملك الصيف:
- إيه أيها المختار من الآلهة يا صهر بعل
- أدفع ثمن مهر «أشتار» غيوراً
- إذن قدم الهر إلى «إبيردماى» ابنته
- وإذ ذاك سيضطرب الأسد:
- أجاب ياريخ قنديل السماء:
- سأتزوج من نيكال
- ما كان من ياريخ إلا أن حصل على نيكال زوجة له
- ركز أبوه قاعدة الميزان

- كما ركزت زمه كفتى الميزان
- ووضع أخوته ما يميل بدفة الميزان
- فاهتمت إخواته بالأوزان
- إنى أغنى نيكال «زيبو»
- فيا نور ياريخ إن ياريخ ينيرك

■ ■ ■

خاتمة ابتهالية

- إنى أنشد للآلهات كوثاروت بنات هلا السنونو
- بنات هلال سيد المنجل
- اللواتى ينزلن مع النبات..... مع النبات[1]
- نعم إن قوتى من إيل الرحجيم ذى القلب الكبير
- وعلى شفتى تعويذتهم
- أنها وهى مهره وممتلكاته
- وهى مقابل الصالح معها
- فصفقن شديداً أمام «بروبخاس»
- أنتن الجميلات الصغيرات يا كوثاروت



(١) الترجمة الحرفية: شاطئ البحر أو الجزيرة وهو المكان الخصب مقارنة مع البادية.

نصائح حكيمة

إنه توبيخ فى مجال الأخلاق ونصائح حكيمة وإرشادات سليمة وهى التى عنى بها الأدب الأكادى فى مختلف المؤلفات ذات الأهمية المتفاوتة الدرجات، سواء أكانت مجموعة من الأمثال أم الحكايات والرموز أم التعاليم الأبدية.

إن إجدى هذه المجموعات من الأرشادات الأخلاقية التى نقدم ترجمتها فيما يلى. اشتهرت فى بلاد ما بين النهرين القديمة شهرة واسعة حتى أتى ذكرها فى رسالة ترقى إلى زمن السرجونيين، كما ذكرت فى رقية كتبت بلغتين تعود إلى العهد الفارسى.

يتوجه أب بالكلام إلى ابنه يحضه على الاهتمام بأموره الخاصة ويبتعد عن المعاشرات السيئة وألا يفترى على أحد أو يشتمه أو يهزأ به، وأن يكون عطوفاً حتى على أعدائه وأن يغيث التعساء ويحذر خاصة من النساء فيما إذا أعطى أهمية إلى عبدة أو فى حال زوجه من غانية. وأن يحذر من الأخطار التى يتعرض لها بفعل محاباته للكبار وأن ينتبه فى كلامه وأن يقوم بانتظام بواجباته الدينية وأن يكون شريفاً فى علاقاته سواء أكانت من حيث الصداقة أم العمل.

إن ما يتراءى لنا هنا، ليس سوى قواعد سلوك حذرة أكثر منها تعاليم أخلاقية من مستوى عال. إن الفقرة التى تبحث فى الدين لا تعنى مطلقاً الروع إلا كوسيلة إضافية فى طريق النجاح .

ولا تخلو هذه المجموعة من التذكير بحكمة «أحيقار» الشهيرة على الرغم من أنها ليست فاتحتها التاريخية. وبالفعل فإن انبوة والأسلوب الإنشائى والعلم الأخلاقى نفسه كلها تنبع من مصدر واحد هو الحكمة الشرقية.

- من لا يقف فى مكانه ولا يراقب بيته

- تصبح زوجته بالنسبة إليه شيطاناً حقيقياً
- ومن يعاشر السيئين يصبح محتقراً
- وله سمعة سيئة بين ذويه
- لا تقرر شيئاً مع صانع الحكايات
- ولا تتشاور مع عاطل عن العمل أو كسول
- فعلى الرغم من حسن نيتك تصبح من عقليتهم
- لا تقلل من إنتاجك وتتخل عن سبيلك
- وتفسد فكرك مهما كنت حكيماً متواضعاً
- ليكن كلامك دقيقاً وحديثك مراقباً
- فهنا تكمن قوة الرجل ولتكن شفتاك ثمينتين
- وليكن مكروهاً لديك السباب والاغتياب
- فلا تتلفظ بهزء ولا برأى منافق
- إن من يخترع القصص يعامل باحتقار
- لا تذهب إلى المحكمة وتتوقف فيها
- وحيث يتخاصم الناس لا تقف
- ففى النزاع يكون لك نصيب
- كيلا تأتى وتشهد ضدهم
- وفى دعوى ليست دعواك سيأتونبك للتأكد
- وعند حضور مخاصمة، اذهب ولا تكترث
- أما إذا كانت الخصومة تخصك فأطفئ فوراً النار المشتعلة

● لأن النزاع أشبه بخزان مفرغ

● إنه جدار صلب يدفن عدوه

● وعندها يتذكرون ما خفى بحق هذا الرجل فيعترضون عليه

● لا تكن خبيثاً مع من يفتش عن خاصتك

● ومن آذاك رد عليه بالحسنى

● ومن كان خبيثا بحق كن عادلاً معه

● ولتبق روحك تجاه عدوك صافية

٥٦● لا تحتقر الضعيف بل كن عطوفاً عليه

● لا تحتقر من يتعرضون للتجارب

● ولا تشمئز منهم بتكبر

● إذا لهذا السبب يتخلى الإله عن كل واحد

٦٠● إن ذلك لا يحلو لـ شمش فيرد على ذلك بالجزاء

● أعط خبزاً للأكل وجعة قوية للشرب

● قدم ما يطلب إليك وأطعم وبارك

● بذلك يفرح الإله

● إنه يحلو لـ شمش فيرد عليه بالخير

٦٥● قدم كل إشارات المساعدة وقدم الخدمات كل يوم

● وفى بيتك لا تعط أهمية لخادمة

● ولا تدعها تصلح مخدعك وكأنها زوجة حقيقية

● فإن تركت الخادمات الفتيات يعملن فلن تعود تعرف تدبير شئونك

● وإن صعدت واحدة إلى السطح فلن تستطيع أنت النزول عنه
● كما يقول عنك أخصاؤك هكذا:
● إن البيت الذى تحكمه خادمة يخرب
● لا تتزوج من بغى فأزواجها كثر
● ولا من ابنة عشتار التى نذرت نفسها للإله
● ولا من بنت هوى لأنه الكثيرين يقتربون منها
● فإن وقعت فى شقاء فإنها لن تساعدك
● وإن حملوك على المشاجرة فإنها تسخر منك
● فالاحترام والخضوع لن يكونا من شأنها
● واذا أصبحت لها السلطة على البيت فاطاردها
● إذا يكون فكرها قد ترجه إلى الغرباء
● إنها متقلبة: فالبيت الذى تدخله يدمر وزوجها لا يعود موجوداً
● يا بنى إذا كانت هذه هى إرادة الأمير الذى أنت تخصه
● وإذا كان دلوه معلقاً فى عنقك
● افتح غرفة ثروته وادخل
● لأن ليس سواك من يستطيع ذلك
● وسترى فى الداخل ثروات لا تقدر
● ولكن إياك أن يقع نظرك، على كل شئ من هذا
● أوتدع رغبتك تقودك إلى اقتراف ما هو ممنوع
● إذا إن القضية تتكشف بعد ذلك

● ويكتشف ما اقترفته
● وإذ يعلم به السيد فإنه يغضب
● ووجهه الضاحك لك يصبح مهدداً
● وعندئذ تقع على عاتقك مسألة صعبة

● ● ●

● لا تقم بوشاية، قل دائماً أقوالاً جيدة
● لا تضمر شراً ولتكن كلماتك كلها طيبة
● إن من يفترى ويقول أقوالاً خبيثة
● ينتظر عبثاً مكافأة شمش
● ولا تدع فمك يهذر، راقب شفتيك
● ولا تبح بأسرارك ورن كنت وحدك
● فما تقوله مرة ستلقاه بعد حين
● ولذلك درب فكرك على مراقبة أحاديثك
● قدم الاحترام كل يوم إلى إلهك
● بالذبيحة والصالة وبما يلزمه من بخور
● احتفظ لإلهك بالذبائح المفاجئة
● إن هذا يليق بالألوهة
● صلوات وتضرعات وعبادة
● وإذا قدمت ذلك يومياً فإن قوتك تعود إليك
● وكأنك تسير مع الإله فى الصراط المستقيم

- ومن كل ما تعلمت انظر إلى ما هو موجود على اللوحة
- إن احترام الآلهة بسبب حظوتهم
- والذبيحة تطيل بعمرهم
- ناهيك عن ذلك إن الصلاة تفك عقدة الذنوب
- فمن يحترم الآلهة لا يقع فى شبكة الموت
- ومن يحترم «الأنوناكى» تطول أيامه
- مع رفيق وشريك لا تقل.......
- لا تقل سفالات ولا تتفوه إلا بطيبة
- وإذا وعدت أوف بالوعد
- وإذا أحدثت الثقة فأكمل ما أنت تستحقه
- حقق لشركائك ما تشتهيه لنفسك
- ومن كل ما تعلمته انظر إلى ما تحمل لوحتك

● ● ●

- لا يجوز الحصول على الثقة وعدم الاحتفاظ بها
- إن تعد ولا تفى، هو تجديف على مردوخ
- ومن أجل إيشيم- كاراب ابن أنليل باندا
- فالمؤمن بالإله «إيا» يوجوه فتزداد خيراته

■ ■ ■

المصادر والمراجع

١صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية، ترجمة صبحى حريرى، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ١٩٨٣

٢مجدى كامل: أشهر الأساطير فى التاريخ، دار الكتاب العربى، دمشق القاهرة ٢٠٠٢

٣صموئيل نوح كريمر: أساطير العالم القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤

٤أنيس فريحة: ملاحم وأساطير من الأدب السامى، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٩

٥فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨٠

٦سليمان مظهر: أساطير من الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧

٧خزعل الماجدى: الدين السومرى، دار الشروق، عمان الأردن ١٩٩٨

٨رينيه لابات وآخرون: سلسلة الأساطير السورية ديانات الشرق الأوسط، ترجمة: مفيد عرنوق، منشورات دار علاء الدين، سوريا، ٢٠٠٦

٩خزعل الماجدى: المعتقدات الآرامية، دار الشروق، عمان الأردن ٢٠٠٠

١٠فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثانى، دار علاء الدين، سوريا ٢٠٠٧

١١صلاح أبو السعود: أساطير سومر وبابل، دار مشارق، ٢٠٠٩

١٢خزعل الماجدى: الآلهة الكنعانية، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن ١٩٩٩

١٣الطفى وحيد: أشهر الديانات القديمة، مكتبة معروف، بدون تاريخ

١٤خزعل الماجدى: المعتقدات الأمورية، دار الشروق، عمان الأردن ٢٠٠٢

١٥ج كونتنو: الحضارة الفينيقية، ترجمة: د محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة: د طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧

مواقع عربية وأجنبية على شبكة الإنترنت الدولية

فهرس المحتويات



الشياطين وطرد الأرواح - الجحيم وآلهة الجحيم - أساطير الخلق البابلية والسومرية - إنكى - الطوفان - عشتار وجلجامش - سميرا ميس - شجرة الكريز - بيرام وتسيبيه - السيد والخادم - أسطورة إيرا - أعراس القمر - حكماء وأساطير الصعود - آدابا - عشتار والعرافون - إيتانا - أسطورة سرجون -

تتألف أساطير سوريا وبلاد الرافدين غالباً من قصص الأرباب و الأبطال من حيث مولدهم وموتهم، وأحقادهم ومؤامراتهم، وانتصاراتهم وهزائمهم، وأعمال الخلق والتدمير. فالأساطير هى أحلام البشر، غريبة بكل ما فى الكلمة من معنى، حيث تروى البدايات والنهايات... والحياة والموت.

كانت الأساطير تتلى أو تنشد فى الاحتفالات الدينية العامة، من ذلك مثلاً أعياد رأس السنة فى بابل، حيث كانت تتلى وتمثل أسطورة التكوين البابلية، وأعياد الربيع حيث كانت تتلى وتمثل عذابات الإله تموز.

ولقد عالجت ملحمة جلجامش قضية بحث الإنسان عن الخلو[illegible] الحقيقى الذى لا يقربه الموت، وأن الخلود لا يكون إلا للآلهة فـ[illegible] البشر فالموت كتب عليهم منذ أن خلقوا. وأتركك عزيزى القارئ بقراءة الأساطير لعلك تجد منها الخيال المحبب إلى النفس.

كنوز
للنشر والتوزيع